

ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري



ملتهذا الطبع والنشر
 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سَعِيد البوصيري

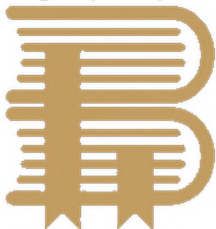
المادحون وأرباب الهوى تبع
الله يشهد أني لا أعارضه
وإنما أنا بعض الغابطين ومن
مدحه لك حب صادق وهوى
لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
من ذا يعارض صوب العارض العرم
يقبط وليك لا يذمم ولا يلم
وصادق الحب يمل صادق الكلم
أحمد شوقي

تحقيق

محمد سيد كيلافي

ماجستير كلية الآداب : جامعة القاهرة

شبكة كتب الشيعة



ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

shiabooks.net

رابطه يديل < mktba.net

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

(حقوق الطبع محفوظة)

الاهداء

إلى أمير الشعراء ، وخليفة أحمد شوقي ، الأستاذ الجليل عزيز أباظه :

أَمِيرَ الْفَنِّ وَالشُّعْرِ وَأَعْظَمَ نَائِبِي الْقَمَرِ
سَلِيلَ السَّادَةِ الْأَطَهَا رِ آلِ أَبَاظَةَ الْفُرِّ
جَمَعْتَ إِلَى مَا بَرَّهْمَ طَرِيفَ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَكَمْ أَهْدَيْتَ لِلْفَصْحَى مِنْ الْأَلَامِ وَالْبِدْرِ
وَكَمْ قَدَّمْتَ لِلتَّمَنِّيِّ كُلَّ يَتِيمَةٍ بِكُرِّ
تَمَّتْ إِلَى الْحَقَائِقِ وَهِيَ تُعْطَى نَفْثَةَ السَّحْرِ

* * *

أَزُفْ إِلَيْكَ دِيوَانًا يَرِفُ كِيَانِجِ الزُّهْرِ
مُصَوَّرَةً خَوَاطِرُهُ مِنْ الْإِحْسَاسِ وَالْفِكْرِ
يُسَبِّحُ الدِّينُ أَضْوَاءَ بِهِ كَالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
وَيَنْبِسِمُ فِي حَنَائِيَا النَّفْسِ مِثْلَ تَبَسُّمِ الْفَجْرِ
وَمَا هُوَ غَيْرُ تَعْبِيرٍ لِإِعْجَابِي مَعَ الشُّكْرِ

المخلص

محمد سيد كيلاني

أول يولييه سنة ١٩٥٥

مقدمة

البوصيرى

٦٠٨ - ٦٩٦

اسمه ونسبه ولقبه ومولده :

هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن أبى سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجى .

وقيل : محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى الجبىنى الصنهاجى أبو عبد الله شرف الدين الدلاصى المولد ، المغربى الأصل ، البوصيرى المنشأ .

وعلى كل فقد أجمع المؤرخون على أن اسمه محمد ، واسم أبيه سعيد . ثم اختلفوا بعد ذلك فى بقية نسبه ؛ فمنهم من ينقص ومنهم من يزيد . وهم متفقون على أنه ينتمى إلى بنى حبنون ، وهم فرع من قبيلة صنهاجة الكبيرة التى عاشت ببلاد المغرب .

وقد أشار البوصيرى ، إلى أصله المغربى معترفا به فى قوله :

فقل لنا من ذا الأديب الذى زاد به حى ووسواسى ؟

إن كان مثلى مغربيا فما فى صحبة الأجناس من باس

وإن يكذب نسبى جثته يجبتى الصوف ودفاسى

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دلاص . أما بوصير فهى بوصير قوريدس ، أو بوصير الملق . وتقع بين الفيوم وبنى سويف ، وفيها قتل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية . وإليها ينسب أبو القاسم هبة الله بن على ؛ أحد رجال الحديث المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

وأما دلاص بفتح الدال، فقد ذكر ياقوت أنها كانت اسم ولاية تقع غرب النيل، مركزها مدينة دلاص، وكانت ملحقة بالبهنسا. ومنها أبو القاسم حسان بن غالب بن نجيح الدلاصي، يروي عن مالك بن أنس والليث بن سعد. وكان ثقة. وتوفي بدلاص سنة ٢٢٣ هـ.

وقد أراد الشاعر أن يخلع على نفسه لقب الدلاصيرى، وهي كلمة منحوتة من لفظتي دلاص وبوصير. قال ابن تغرى بردى: «وكانت له - يعنى البوصيرى - أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين، مثل قوله فى كساء له: كساط. فقليل له: لماذا تسميه بذلك؟ فقال: لأنى تارة أجلس عليه، وتارة أرتديه، فهو كساء وبساط»، إلا أن هذا اللقب ظل مجهولا، ولم يشتهر إلا بالبوصيرى، ويكنى بشرف الدين.

وقد ذكر المقرئى، أن البوصيرى ولد بناحية دلاص، فى حين أن ابن تغرى بردى ذكر أن مولده ببهشيم من أعمال البهنسا. واتفق هذان المؤرخان على أنه ولد فى يوم الثلاثاء أول شوال. ولم يقطع المقرئى بالسنة التى ولد فيها الشاعر، فذكر ما قيل من أنه ولد سنة ٦٠٧ أو ٦٠٨ أو ٦١٠ هـ. أما ابن تغرى بردى فذكر أن ميلاده كان فى سنة ٦٠٨ وتبعه فى ذلك صاحب شذرات الذهب وابن حجر الهيثمى.

ثقافته :

ليس لدينا من أخبار البوصيرى ما يكشف لنا كيف قضى طفولته أو صباه. غير أنه يمكن القول إنه بدأ حياته الدراسية كما كان يبدوها معاصروه، وذلك بحفظ القرآن. ثم جاء إلى القاهرة، والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر^(١)، حيث درس العلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب، وجانباً من التاريخ الإسلامى، وبخاصة السيرة النبوية. وربما يكون قد درس فى مساجد أخرى غير مسجد الشيخ عبد الظاهر.

وقد حدث أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبى الذى تولى ملك مصر سنة ٦٣٧ هـ أخرج ثلاثة آلاف دينار لتوزع على طلبة المدارس، وعهد فى توزيعها إلى أحد الفقهاء، فلم يوزع شيئا على طلبة مسجد الشيخ عبد الظاهر. فنظم البوصيرى قصيدة على لسان هذا المسجد، بين فيها

(١) بحثنا عن ذكر لهذا المسجد فى كتب التاريخ فلم نثر على شئ.

أن المال الذى أخرجه السلطان قد اختلس . ومن هذه القصيدة نفهم أن الشاعر كان يطلب العلم فى المسجد المذكور . فلو فرضنا أن السلطان أخرج هذا المال فى العام الذى تولى فيه ، وهو عام ٦٣٧ لكان البوصيرىّ إذ ذاك فى الثلاثين من عمره تقريبا .

ثم أقبل على التصوف ، فدرس آدابه وأسراره . وقد تلقى ذلك عن أبى العباس المرسى ، الذى خلف أبا الحسن الشاذلى فى طريقته . وكان بين البوصيرىّ وشيخه علاقة حب . وقد تأثر البوصيرىّ بهذه التعاليم ، وظهر أثر ذلك فى شعره واضحا .

وقد عرضت عليه وظيفة الحسبة ، وهذه الوظيفة لاتسند إلا لمن ألمّ بمبادئ الفقه .

ثم إنه اشتغل كاتبا فى بلبس . فلا بد أن يكون قد ألمّ بالأعمال الحسائية التى ينبغى أن تتوافر فيمن يعين فى مثل هذه الوظيفة .

وكان يطالع المؤلفات التى يضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم . وقد رأى فيها إنكارا لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام . فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة كما درس تاريخ ظهور المسيحية . ثم أخذ يرد على أصحاب هذه الديانات ، محاولا إقناعهم بأن الأناجيل التى بين أيديهم لاتدل على ألوهية عيسى وإنما تدل على نبوته . وأن هذه الأناجيل تخبر بظهور نبي من أبناء إسماعيل . ثم استنكر ما تنسبه التوراة إلى الأنبياء من ارتكاب المعاصى .

وإلى جانب ما تقدم ، كان البوصيرىّ يحيد فن الخط . وقد ذكر ابن حجر الهيتمىّ أن البوصيرىّ كان من عجائب الله فى النثر والنظم . ولكننا لانعرف عن ثمره شيئا ، وما كتبه تعليقا على قصيدته « الحرج والمردود على النصارى واليهود » لا يدل على براعة فى النثر .

أما الذين أخذوا عن البوصيرىّ : فمنهم أبو حيان الأندلسىّ المتوفى سنة ٧٢٥ هـ بالقاهرة . وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمرىّ المتوفى سنة ٧٣٤ ، وعز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . ويبدو أنهم أخذوا عنه شعره ونوادره . وكان يجلس أحيانا فى جامع الظاهر ، وينشد مدائح النبوة على الحاضرين .

وعلى كل فمن الراجح أن البوصيرى لم يصب حظا كبيرا من الدراسة المنظمة ، لأنه مع كثرة المدارس في عهده لم تسند إليه وظيفة التدريس في أى مدرسة . وقد فتح كتابا لتحفيظ القرآن . وهذا عمل لا يزاوله إلا من أوتى قليلا من الثقافة .

صفاته وأخلاقه :

وُصِفَ البوصيرى بأنه مختصر الجرم ، ومعنى هذا أنه كان قصيرا نحيفا ؛ ومن أجل هذا كان موضع دعاية الناس ، يسخرون منه أحيانا ، وتقحمه عيونهم .
وقد أشار إلى ذلك بقوله :

ورب أديب ذى لسان كبرد بدا من فم كالكبر أو هو كبر
أراد امتحانا لى فزيف لفظه نتان بدا من نظمه وخير
إذا ما رآنى عافنى واستقلنى كآنى فى قعر الزجاجة سور
ويعجبه أنى نحيف وأنه سمين يسر الناظرين طرير

الخ . . .

فمن هذه الأبيات وغيرها ، ندرك موقف الأدباء من البوصيرى الذى كان ضيق الصدر ، لايحتمل أن ينقد أحد شعره . وكان يطلق لسانه فى كل من يتعرض لشعره بنقد . ومن أمثلة ذلك ، قوله فى هجاء زين الدين بن الرعاد أحد شعراء ذلك العصر :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجا
وشعرى بحر لا يوافيه ضفدع ولا يقطع الرعاد يوما له لجأ

وقد نقل المقرئى ، عن صاحب مسالك الأبصار ، عن الشهاب محمود ، وهو معاصر للبوصيرى ، أن صاحبنا كان على غزارة فضله ممقوتا ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . فلا عجب أن كرهه الناس أجمعون ، حتى تمنوا له الموت . والدليل

على ذلك ، أنه مريض مرة ، وأغشى عليه لمدة طويلة ، فأشاع الناس أنه مات ، وتناقلوا خبر موته .
ولكنه برى وسجل فرحه بشفاؤه ، وعرض بأعدائه الذين أشاعوا خبر موته بقوله :

عاشَ من بعد موته البوصيريُّ وحياءُ السكّالِ موتُ الخيرِ
عاشَ قومٌ مذُقلَ إني قد مِيتُ فأتوا قبلي بوخزِ الصدورِ
لست ممن يموت أو يقدموني وأبكى عليهم في القبورِ
وصحيح بأنني كنت قد مِيتُ وأحياني جود هذا الوزيرِ

فلم يكن البوصيريّ مكروها من كتاب النصارى واليهود وحدهم ، بل كان مكروها من الناس
أجمعين ، حتى من أقرب الناس إليه ، وهي زوجته .

ولما كان ببليس ، كان كتاب النصارى يدارونه خشية لسانه ، ويحملون إليه الهدايا
في أعيادهم . وقد حدث أن أهملوه في أحد الأعياد ، فهجّام بقوله :

يهود بلبس كل عيد أفضل عندي من النصارى
أما ترى البغل وهو بغل في فضله يفضل الحمارا
فلما سمع النصارى هذين البيتين ، عتبوا عليه وهددوه ، فاضطر إلى أن يقول :
ما للنصارى إلى ذنب وإنما الذنب لليهود
وكيف تفضيلهم وفيهم سر الخنازير والقروء

وقد كان البوصيريّ كثير السؤال للناس . فمنهم من كان يحسن إليه اتقاء لسانه ، وهو مع
ذلك كان يسيء الأدب في السؤال . فمن ذلك قوله يطلب كنفانة من القاضي عماد الدين :

ما أكلنا في ذا الصيام كنفاه آه وا بُعْذَهَا عَلَى مسافة
قال قوم إن العماد كريم قلت هذا منكم حديث خرافه

واستطرد بعد ذلك في أبيات كلها تشنيع على القاضى المذكور . فاعجب من شخص يهجو الناس ليتصدقوا عليه بشيء من مطاعهم .

وكان له صديق اعتاد أن يبعث إليه شربة في كل سنة . فتأخر عنه في إحدى السنين . وكان من عادة البوصيرى إذا عمل فيه إنسان معروفا في مناسبة من المناسبات ، أن يعد هذا واجبا مقدسا يلزمه القيام به نحوه ، وويل لمن يتأخر ، فإنه يطلق فيه لسانه . فلا هو يذكر ما وصله به من بر ، ولا هو يلتمس عذرا لمن يتأخر عنه . وهذا ما حدث لهذا الصديق الذى كان يحسن إلى الشاعر بشربة . فإن البوصيرى لم يهمله ، بل بعث إليه طالبا منه أداء هذا الواجب ، فوصف ما يعانيه من ألم ، وعاتبه على إهماله في إرسال الشربة ، ثم ذكر أنه في ضيق شديد ، وختم قصيدته بما نعت عن ذكره .

والواقع أن طبقة فقراء الصوفية في ذلك العصر، فرضوا أنفسهم على الناس فرضا، وعاشوا عالة على المجتمع . فأراد البوصيرى أن يحذو حذوها ، ولكنه لم يتقن الفن الذى مكن الصوفية من العيش على حساب غيرهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه ، كان كما وصفه مؤرخوه ، سليط اللسان ، ويظهر ذلك واضحا فيما نظمه من هجاء .

وكان البوصيرى يقف دائما إلى جانب ذوى السلطان، مؤيدا لهم سواء، أكانوا على الحق أم على الباطل . فوقف إلى جانب العنصر التركى، ومدح الممالك مدحا فيه غلو كبير، وهجا العرب هجاء مرا . ولما فرغ علم الدين سنجر الشجاعى من إقامة مجموعة المباني المنصورية ، أفتى بعض العلماء ومنهم الشيخ محمد المرحانى بعدم جواز الصلاة فى الجامع المنصورى ، وذلك لما وقع على الناس من عسف وسخرة حين بنائه . وقد ألح الشجاعى ، الذى كان مرهوب الجانب من الناس لشدة بطشه ، على المرحانى أن يلقي ولو درسا واحدا فامتنع . قال القرينى ، بعد أن ذكر ذلك : « ولكن البوصيرى مدحه » ، فلم يكن البوصيرى يعرض نفسه لفضب الأمراء مهما فعلوا .

ويبدو من شعره أنه كان يحب حياة الدعة والتعطل ، وأنه كان يرى من حقه على الناس أن يحملوا إليه كل ما يحتاج إليه من أسباب العيش .

ولم يذكر له المقرئى سوى منقبة واحدة . وهى أنه كان كريما . ولعل كرمه هذا ، أو سوء
تديره المال ، كان من أسباب إملاقه .

أما للصوفية ، فإنهم ذكروا للبوصيرى مناقب كثيرة ، منها أنه بلغ مقام العوئية الكبرى ،
وكان إذا مشى فى الشوارع أسرع إليه الناس يقبلون يديه حتى الصفار ، وكانت تنبعث من جسده
رائحة طيبة ، وكان يرتدى الملابس الجميلة ، منور الشيبة ، بسام النغر متواضعا ، زاهدا ، ذا عفة
ووقار ، إلى غير ذلك مما لا دليل عليه من شعره أو من أقوال المؤرخين الثقات .

تصرفه وعمله :

يبدو أن البوصيرى نشأ فى أسرة فقيرة ، ولذلك اضطر إلى السعى لطلب الرزق منذ
صغره ، فزاول كتابة الألواح التى توضع شواهد على القبور .

ثم أخذ يتقرب من بعض الأمراء والوزراء ، ويمدحهم بشعره ، فعرض عليه أن يكون محتسب
القاهرة . فاعتذر عن قبول هذه الوظيفة ، وشرح لنا أسباب امتناعه فى قصيدة طويلة مطلعها :

لَا تَظْلَمُونِي وَتَظْلَمُوا الْحَسْبَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا نَسَبٌ

غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ دَرَبٌ وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي دُرْبٌ

فهو كما يقول يجهل هذا النوع من العمل . وليست له خبرة بأحوال الأسواق ، ولا بأنواع
التجارة ، والأعيب التجار ، وما يتعلق بالبيع والشراء من مقاييس ، ومكايل ، وموازين ،
وغير ذلك .

ومضى ، فى هذه القصيدة ، يصور لنا أعمال المحتسب ، وطوافه فى الأسواق ، وجلوسه فيها
وما يوقعه على الناس من العقوبات ، فقال :

أَجْلَسَ وَالنَّاسَ يَهْرَعُونَ إِلَيَّ فَعَلَى فِي السُّوقِ عَصَبَةٌ عَصَبَةٌ

أَوْجَعَ زَيْدًا ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُ لَكَا كَأَنِّي مَرْقَصُ الدَّبَّةِ

وَيَكْسِبُ الْغَيْظَ مَقْلَتَى وَخَذَى أَحْرَارًا كَزَامِرِ الْقَرْبَةِ

فهو لا يريد أن يرهق نفسه ، ولا أن يشتم ويضرب . وهو يخشى أن يكون ظالما في عمله ، لأنه يكره الظلم .

وقد عرّض بأحد المحتسبين المعاصرين له ، وذكر لنا ما جره عليه سوء عمله . فيبدو أن صاحبنا خشى أن يصيبه مثل ما أصاب ذلك الرجل . وعلاوة على ما تقدم ، فإن شخصا يسمى « الفخر القيشي » كان ينافسه في الحصول على هذه الوظيفة . فرأى البوصيرى أن يتقى شر هذا المنافس ، وأن يبتعد عن الحسبة ومتاعبها . وقنع بما يكسبه من كتابة الألواح ، ونظم الشعر . وفي ذلك يقول :

ماسوى حرفة الكتابة لى من^(١) وطر أبتغى ولا إربة^(٢)
والشعر ميزانه أقومه وليس تنقام منه لى حدبة

وإلى جانب ذلك ، فإنه أخذ يتغنى بإتقانه للأعمال الحسابية إلى درجة أنه لم يخطئ قط . قال :

إنى امرؤ حرفتى الحساب فلا يدخل ريب على فى حسبة
ولا ترد الكتاب جائزة على حساب منى ولا شطبة
يشرق منى بريقه رجل يشرب مال العمال فى شربة

ويبدو أنه لم يجد عملا حسابيا فى القاهرة . فاضطر إلى قبول وظيفة فى بلبس . ولم يكن الرجل ماهرا فى الأعمال الحسابية كما ادعى ، بل كان كما روى المقرئى ، قليل المعرفة بها .

ولذلك كثر عنده الخطأ . وكان كتاب النصارى ؛ وهم أعلم منه بالحساب ؛ يكتشفون هذه الأخطاء ، ويقررون عدم صلاحية البوصيرى لما أسند إليه . فأخذ يدافع عن نفسه ، ويرمى هؤلاء الكتاب بالجهل ، ويذكر أنه أعلم منهم . فن ذلك قوله :

يغالطنى بعض النصارى جهالة إذا أوجب الملقى وألغى الموجب
وما كان من عد الثلاثة واحدا . بأعلم منى بالحساب وأكتبها

(١) سقط هذا البيت من ص ٥٢ من الديوان ، فنلفت نظر القارىء إلى ذلك .

ثم انهال عليهم بالشتائم ، ورماهم بكل موبقة . فنشب عدااء بينه وبينهم ، إلا أن الفقر اضطره إلى مصابرتهم على مَصَص . وكان نصارى بلبس ، مع ذلك ، يحاولون إرضاءه بالهدايا .
ويبدو أنه كان موضعاً للدعابة الكتاب . وقد حدث أن ناظر الشرقية استعار حمارة البوصيرى ، فأعجبته ، فاحتفظ بها ، وبعث إليه مِئَتَى درهم . ولكن البوصيرى كان حريصاً على حمارته ، فكتب على لسانها قصيدة إلى ناظر الشرقية ، تدل على ما طبع عليه من ميل إلى الدعابة ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه .

قضى البوصيرى أعواماً في بلبس ، متمتعاً بطيب العيش ، متنقلاً بين المدن والقرى التابعة لتلك المنطقة . فرأى البتيات ، والحراز ، ونبتيت وشبرا اليوم ، وحاجر ، وقلوب ، وبنها ، وأثريب ، وشمنديل ، وسعدانة ، وغيرها . وقد علفت بذهنه ذكريات جميلة عن تلك الأيام التي قضاه بين الريف ، فنوه بها في شعره . فقال بعد أن سرد أسماء هذه القرى :

أقر تلك القرى السلام فإن أعيتك منها عبارة فإشارة

أذكرتنا عيشاً قديماً نزعنا ه لباساً كالخلعة المستعارة

ويقول المقرئى : إن البوصيرى كان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف فى المباشرات ، وياشر فى الشرقية بلبس ، ورمى المباشرين بأوابد .

وصناعة الكتابة التي يذكرها المقرئى هى كتابة الحساب . وكانت وظيفة البوصيرى صغيرة ، لأن نزاعه مع الكتاب ، يدل على أنه كان واحداً منهم ، وربما كان تنقله بين المدن والقرى التي ذكرها فى شعره بحكم عمله .

ثم حدث أن عين للشرقية ناظر جديد ، اسمه ابن عمران ، وقد صوره البوصيرى فى صورة الجبار المتغطرس ، فقال :

وابن عمران وهو شر متاع للورى فى بطانة وظهره

يتجنى بسوء خلق على النا س ونفس ظلومة كفاره

وهذان البیتان من قصيدة رفعها البوصیریّ إلى صاحب بهاء الدین بن حنا . وفي هذه القصيدة ، صور لنا معركة حدثت بین بعض الموظفين فی بلیس سالت فیها الدماء .

ویبدو أن الشاعر لم تطب نفسه بالعیش فی هذا الجو ، فترك وظيفته ، وقرر أن یسلك مسلك الصوفیة . ولكن كيف یتيسر له ذلك وهو رب أسرة كبيرة ؟ قال :

أحسب الزهد هینا وهو حرب لست فیهِ ولا من النظارة

وقال :

ولوأنتی وحدی لكنت مریدا فی رباط أو عابدا فی مغاره^(١)

وقد صور فی هذه القصيدة ، ما یعانیه من بؤس وحرمان وذكر أن أولاده فی حالة جوع شدید . وأخذ یتندر عطف ابن حنا ، ویتغیث به لیحسن إلیه ، وینقذه من هذه الضائقة . وقد ذكر مؤرخو البوصیریّ أنه اختص بالصاحب زین الدین یعقوب بن عبد الرفیع . وهذا الوزير بقى فی منصبه من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ .

فالراجح أن البوصیریّ ذهب إلى بلیس بعد عزل ابن الزیر ، أى فی سنة ٦٥٩ هـ . ویبدو أن إقامته فی بلیس لم تطل . وذلك لأن السلطان الظاهر أدخل فی سنة ٦٦٣ هـ تعديلا على نظام القضاء ، بأن عین قاضیا لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وللبوصیریّ أبيات فی هذا الصدد ، تدل على أنه كان مقیم بالقاهرة .

ومع أن عصر البوصیریّ امتاز بكثرة الوظائف والموظفين ، وبخاصة وظائف التدريس ، إلا أنه لم یظفر بعمل یعیش منه ، فاضطر إلى أن یفتح کتابا لتحفیظ القرآن . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

قد صار کتابی ویتی من بنی غیری وأبنائی كبُرُجِ حمام

ولعلّ ربحه من هذا الكتاب كان زهيدا ، فاضطر إلى إغلاقه ، وخرج من القاهرة سعیا وراء الرزق ، فذهب إلى الحلة ، ومدح ناظرها . ویبدو أن هذا الناظر قرر له إعانة شهریة ،

(١) الشطر الأول من هذا البيت غیر موزون ، والشطر الثانی من الخفيف ، وهكذا جاء فی مخطوطات الديوان .

ولكنه ، كعادته ، لم يستطع أن يكسب عطف الكتاب ، وبخاصة النصارى ، فأخروا عنه مرتبه حتى مضت عدة مشهورون أن يعطوه شيئا . فأثر هذا في نفسه تأثيرا شديدا ، وانهاى على هؤلاء الكتاب بهجاء مقذع ، ووصف مالا لاقاه من الجوع ، بسبب تأخرهم في صرف ماتقرر له فمن ذلك قوله :

وقد قيل كتاب النصارى مناسِرٌ فما مثل كتاب الحلة منسِر
فبرّد فؤادى بانتقامك منهم فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهورا ولم أصل إلى حظهم حتى مضت لى أشهر
وحسبك أنى منهم متصور وكل امرئ منهم كذا يتصور

وقد بقيت جوانحه تنطوى على الحفيظة الشديدة لنصارى الحلة . وظهر أثر ذلك في شعره .
فمن قوله فى مدح الصاحب شمس الدين عيسى الذى ولى وزارة الصحة سنة ٦٧٨ .

إن النصارى بالحلة ودُّهم لو كان جامعها يكون كنيسا

ومنها :

من لم يقر لى منهم بوظيفتى جرّسته بلامتى تجريسا

وفى الحلة ، تعرف ببعض الأدياء ، ومنهم زين الدين بن الرعاد ، الذى أشرنا إليه سابقا ، وقلنا إنه نقد شعر البوصيرى ، وأن البوصيرى لم يحتمل هذا النقد فهجاه .

وحدث أن دعاه بعض أصدقائه للذهاب إلى أحد الحمامات فى الحلة ، حيث زلت به قدمه ، فأصيب بكسر فى ساقه . وفى ذلك يقول :

كونوا معى عوناً على الأيام لاتخذونى يابنى عرام
إن كان يرضيكم وحاشا فضلكم ضرى ، نحسبى زلقة الحمام

وكثيرا ما وجدنا البوصيرى يشكو من هذا الكسر فى شعره . ولما وقعت له هذه

الإصابة انتقل إلى سخا ، وأقام بها بعض الوقت . ولم يكن من السهل أن يلتئم كسره إذ كان كبيرا ، وفي ذلك يقول :

ونتهنى عن المسير إليهم شدة البأس من سخا في مسير
ويقول في نفس القصيدة وهي في مدح تاج الدين حفيد بهاء الدين بن حنا :
من لشيخ ذى علة وعيال ثقلت ظهره بغير ظهير

وقد صور في هذه القصيدة ما وصل إليه من ضيق . فقد ازدردته الولاة ، وهجره أصحابه وضنوا عليه بالعون . قال :

وازدردتنى بعض الولاة وقد أصبح شعرى فيهم كخبز الشعير

رجع البوصيرى إلى القاهرة وأعاد فتح كتابه . وكان دأب رجال الصوفية في ذلك الوقت أن يكثرُوا من التنقل من بلدة إلى أخرى . وكانت الاسكندرية إذ ذاك موطننا لقوم من الصوفية الوافدين من بلاد المغرب . وكان أبو العباس المرسى شيخ البوصيرى يزور الإسكندرية من حين إلى حين . وقد استقر بها أخيرا إلى أن مات سنة ٦٨٦ هـ .

فمن المحتمل أن يكون البوصيرى قد دفعه الفقر إلى مغادرة القاهرة ، والذهاب إلى الإسكندرية . ويغلب على الظن أن سفره كان قبل وفاة أبي العباس أى قبل سنة ٦٨٦ هـ . ولكن هل استقر البوصيرى في الاسكندرية أو كان يتنقل بينها وبين القاهرة ؟ لقد نظم أبياتا في فتح عكا تدل على أنه كان مقما بالقاهرة . وهذا حدث سنة ٦٩٠ هـ . ثم إن المقرئى ذكر أنه توفي بالمارستان المنصورى بالقاهرة . وروى العياشى الرحالة المغربى الذى جاء إلى القاهرة سنة ١٠٧٣ هـ ، أنه زار قبر شرف الدين البوصيرى بناحية الإمام الشافعى . وعلى كل حال فليس في شعر البوصيرى ما يدل على سفره إلى الاسكندرية ، ومن المؤكد أنه لم يزاول عملا خطيرا هناك ، لأنه كان شيخا كبيرا ، ضعيفا سقما .

ولاشك في أن البوصيرى أخفق في حياته العملية . وذلك ، لأن الانسجام كان مفقودا بينه وبين الناس . وقد عرفنا من أخلاقه ما يكفي لإدراك سر إخفاقه .

فى سنة ٦٦٣ هـ غير السلطان الظاهر نظام القضاء ، فجعل القضاة أربعة ، لكل مذهب قاض ؛ بعد أن كان يتولى القضاء قاض واحد ، ينتمى إلى المذهب الشافعى .

وقد أنكر بعض الفقهاء على السلطان ذلك ، لأنهم رأوا فيه تفرقة لكلمة المسلمين . وقد روى أن بعضهم رأى السلطان الظاهر فى النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : « ما رأيت أشد علىّ من ولاية قضاة أربعة . وقيل لى فرقت الكلمة » . ولكن البوصيرى لم يجد بأسا فى هذه التفرقة ، بل وجد فيها توسعة ويسرا . وقال إن بنية الإسلام كانت مريضة ، فصحت بهذا العمل ، وإن اختلاف الآراء لاخطر له ، مادام الدين واحدا ، والكل يأخذ عنه :

فهم بنية الإسلام صحت وكيف لا تصحّ وهم أركانها والطبائع
فهم رخصا أبدوا لنا وعزائما هديناها فهمى النجوم الطوالع
فلا تبتئس أن وسع الله فى الهدى مذهبنا بالعلم والله واسع
تفرقت الآراء والدين واحد وكل إلى رأى من الحق راجع
فهذا اختلاف جر للخلق راحة كما اختلفت فى راحتين الأصابع
والرخص التى يشير إليها البوصيرى ، هى ما يحلله مذهب وتحرمه بقية المذاهب . وقد نهى
الفقهاء عن تتبع الرخص .

وقد صار هذا رأى عقيدة عند المسلمين فيما بعد ، وسندهم فى ذلك حديث معناه أن
اختلاف أمتى رحمة . وقد أنكر ابن تيمية وأتباعه هذا رأى ، وطعنوا فى صحة الحديث المتقدم ،
وقالوا إن الاختلاف نعمة . هذا مذهب البوصيرى الفقهى .

أما موقفه من الفرق الدينية فقد عبّر عنه بقوله :

وتبارأنا من النصب والرفض وأوجبنا لكل جنابا

فهو لا من الناصبة الذين يكرهون آل علي ، ولا من الروافض الذين يسبون ويكفرون
أبا بكر وعمر وعثمان .

ويقول في قصيدة أخرى :

أئمة الدين كل في محاولة إلى صواب اجتهد منه موكول

ليقتضى الله أمرا كان قدره وكل ما قدر الرحمن مفعول

وهذا شأن المتصوفة الذين يحترمون الصحابة أجمعين . وقد تغنى البوصيري كثيرا بفضائل
أبي بكر وعمر وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة . ولكنه عرض بالأمويين ، وهو يوافق
الشيعة فيما يزعمون من أن معاوية دس السم للحسن . وفي ذلك يقول :

أترجون من أبناء هند مودة وقد أرضعتهم دَرَّ بغضتها هندُ

ويقول :

من شهيدين ليس ينسبني الطَّفُّ مصابيها ولا كَرَّ بلاء

ما رعى فيهما ذمامك مرءو س وقد خان عهدك الرؤساء

إلى قوله :

رب يوم بكر بلاء مسى ، خففت بعض وزره الزوراء

وفي هذا البيت إشارة إلى انتقام العباسيين من بني أمية . وربما أورد هذه الإشارة ، بجملة
للخليفة العباسي الذي كان يُقيم بالقاهرة إذ ذاك . وفيما عدا ذلك لانجدله أية إشارة إلى الخلافة
العباسية ، فكَانَ لم يعترف بهذا الخليفة الذي كان على مقربة منه .

* * *

وله قصيدة أنشدتها أمام ضريح السيدة نفيسة مطلعها :

جنابك منه تستفاد الفوائد وللناس بالإحسان منك عوائد

يذكر البوصيري في هذه القصيدة أنه ركن أمام ضريح السيدة نفيسة ، وعرف وجهه بترابها .
ويقول إنها سليله خير العالمين التي لم يحمدها فضلها أحد . وقد ورثت صفات المصطفى وعلومه .
ومن علمها أخذ العلماء ، ومن زهداها استمد الزهاد . ويقول إن هذه العلوم أخذت تنتقل
في الأئمة من سلالتهما الذين :

إذا ماضى منهم إمام هدى أتى إمام هدى يدعو إلى الدين راشد
ويذكر أن قلبه مغمم بحب بني الزهراء ، وأنه يدافع عنهم ويجادل من أنكر فضلهم ؛
وإن اعتقادا خاليا من محبة وحب لكم آل النبي لفساد
ثم حمل على خصوم بني الزهراء ، الذين غصبهم حقهم . وقال إنه كلما تذكر المظالم التي
وقعت عليهم ، أصابه حزن عميق ، وألم شديد . ووجه اللوم العنيف لأولئك الذين قعدوا عن
نصرة الحسين . وشبه الفتنة التي حدثت بين المسلمين عقب مقتل عثمان بالفتنة التي حدثت بين
بنى إسرائيل بعد أن فارقهم موسى . قال :

فيا فتنة بعد النبي بها غدا يهدم إيمان وتبنى مساجد
وما فتنت بعد ابن عمران قومه بما عبدوا إلا ليهلك عابد

ثم قال إن ما حدث لآل البيت كان بإرادة الله وقضائه ، وإن الله اختار لهم السعادة ، وقدر
لأعدائهم الشقاوة . ومدح الله آل البيت في كتابه بأن أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .
وأخذ يطري السيدة نفيسة ، فذكر أنها هي العروة الوثقى ، والرتبة العليا ، والغاية القصوى لمن
قصدها واستنجد بها ، وأنها منبع الكرم . ولولا وجودها ما اخضر يابس . ثم شكوا إليها
ما يجده من الضيق والبلاء ، وتوسل إليها أن تدركه وتنقذه مما يعانيه .

ولما انضم إلى الشاذلى وأصبح من أتباعه ، أخذ ينافح عن الصوفية ضد طبقة الفقهاء ،
ويعرض بهذه الطبقة تعريضا فاحشا . ثم وصف أبا الحسن بأنه قطب الزمان وغوته وإمامه ،
وعين الوجود ، ولسان سر الموجد ، وأنه ورث علومه عن النبي ، فساد معاصريه ، حتى قصروا عن
اللاحق به . وأن تعاليم الشاذلى مؤيدة بروح القدس .

فتلقّ ما يلقي إليك فنطقه نطق بروح القدس أى مؤيد

ولما مات الشاذلىّ بصحراء عذاب سنة ٦٥٦ هـ ، عهد برياسة الطريقة إلى تلميذه المخلص
أبى العباس المرسىّ ، وهو من الأنصار . وقد مدح البوصيرىّ أبأ العباس بشعر جيد ،
منه قصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد

شبه فيها الشاذلى بموسى وأبأ العباس يوشع . والصوفية يقولون إن النبى لا يأتى بشريعة
جديدة ، وإنما يحىء مؤيدا لشريعة من قبله ومصدقا لها . وذلك بعكس الرسول . وفى ذلك
يقول البوصيرىّ :

اليوم قام فتى على بعده كيما يبلغ مرشدا عن مرشد
فكان يوشع بعد موسى قائم بطريقه المثلّى قيام مؤكّد

وقد ألف ابن عطاء الله السكندرى ، وهو صديق البوصيرىّ ، وزميله فى الأخذ عن
أبى العباس ، كتابا فى مناقب شيخه سماه [لطائف المنن ، فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه
أبى الحسن] وقد سجل البوصيرىّ فى قصيدته للمتقدمة بعضا مما ذكره ابن عطاء الله من
مناقب هذين القطبين . وهكذا اشترك البوصيرىّ مع زميله فى الدعاية للطريقة الشاذلية .
ولكن ابن عطاء الله لم يعرض بالفقهاء ويلصق بهم المثالب ، مثلما فعل البوصيرىّ ، الذى كان
يتنهر كل فرصة للتشهير برجال القضاء .

وفى هذه القصيدة ، يشرح البوصيرىّ آداب المرید ، التى تقوم على الطاعة العمياء
لشيخه . قال :

فاحب أبأ العباس أحمد آخذا يد عارف بهوى النفوس منجد
فاذا سقطت على الخبير بدائها فاصبر لمرّ دوائه وتجلد

ومن مناقب أبي العباس التي ذكرها ابن عطاء الله أنه كان يرحب بالمردين ، ويسرع إلى لقائهم ، ويشرح لهم تعاليمه . وفي ذلك يقول البوصيري :

جعلته لم يرَ للحقيقة طالبا إلا يمد إليه راحة مجتدى
ألفاظه مبذولة بذل الحيا ومصونة صون العذارى الخرد

ثم أخذ يعرض بالفقهاء الذين يأخذون علومهم من الكتب ، في حين أن أبا العباس جمع علوم الحقيقة والشرعة ؛ وأنه يسبح في ملكوت الله .

ساحت رجال في القفار وإنه ليسبح في ملكوت طرف مُسَهَّد

ثم أشاد في أبيات كثيرة بالأنصار ، ووصف أبا العباس بأنه سيف من سيوفهم . قال :

سيف من الأنصار ماض حدّه فاضرب به في النائبات وهذد

ولهذه القصيدة ، شرح اسمه « البرد القشيب » ، في تفسير كتب المشيب « لابن محبوب المعتقلاوي ، من علماء أوائل القرن الحادى عشر ؛ منه نسخة خطية بدار الكتب تحت رقم ٩٣٠٤ — أدب .

* * *

وقد أراد البوصيري أن يكون صوفيا فأخفق ، وهو كرجل لم يستطع أن يتشرب تعاليم الشاذلى . وإننا لنجد في أخلاقه وحياته المنزلية ما لا يتفق مع أخلاق الصوفية . ثم إنه كان رب أسرة كبيرة ، فاضطر أن يمدح الأمراء والوزراء ، وقد يكون فيهم الظالم الذى يستحق القدح ، وليس هذا من شأن الصوفية ، الذين كان الحكام يتزلفون إليهم . وعلاوة على ما تقدم ، فإن البوصيري كان تغلب عليه الدعابة ، وقد عرف بها بين الناس ، حتى فضله بعضهم على الجزار ، أحد من اشتهروا بالدعابة فى ذلك الوقت . وكل هذا وغيره لا يتفق مع طابع التصوف .

أما البوصيري كشاعر ، فإنه تأثر بالتصوف إلى حد كبير .

يبدو من شعر البوصيري أن حياته في منزله كانت جعيا لا يطاق ، وهو لا يلوم نفسه ولا يحملها شيئا من التبعة في ذلك ، بل يلقي كل اللوم على زوجته . وذنبا الأول في نظره أنها كانت ولودا ، فأثقلت ظهره بالأولاد . وكثيرا ما شكى في شعره من ذلك . فقال :

إليك نشكو حالنا إننا عائلة في غاية الكثرة

وقال :

إن زرتها في العام يوما أنتجت وأتت لستة أشهر بغلام

أوكل ما حملت به حملت به من لى بأن الناس غير نيام

أصبحت من حملى همومهم على هَرَمَى كَأَنى حامل الأهرام

وهكذا كان البوصيري متبرما بكثرة أولاده . فتمنى لو كانت زوجته عقيمًا ، أو أنه كان خادما في منزل ، أو أنه عدل عن الزواج إلى ارتكاب الفاحشة ، أو جارى بعض الصوفية في الشذوذ الجنسي . وذكر أنه سافر إلى الحلة ، سعيا وراء ما يكتفى أولاده ، فلم يعجبهم سفره ولا إقامته بينهم . قال :

فارقتهم طلبا لرزقهم فلا صَرَفِي يسرهم ولا استخدأني

ولأن البوصيري كان مقترا عليه في الرزق ، ظلت الخصومة محترمة بلا انقطاع بينه وبين زوجته .

وحدث أن ذهبت تلك الزوجة لزيارة أختها ، وشكت إليها ما تعاني من الضيق . فحرضتها أختها على طلب الانفصال عنه ، وأشارت عليها إن أبى أن يطلقها ، أن تنهال عليه بالضرب ، وتشد لحيته ، وتنفض شعرة شعرة ، وأخذت أختها تهون من قدر البوصيري ، حتى اقتنعت الزوجة ، وصممت على تنفيذ ما أشارت به أختها . فلما جاءت إلى المنزل وبدأت تشبك مع زوجها

أظهر لها الحدة والغضب ، فما كان منها إلا أن أمسكت آجرة وقذفت بها رأسه . واستمرت المعركة بينهما تارة باليد ، وأخرى باللسان ، من أول الليل حتى مطلع الفجر . وقد روى لنا هذه القصة ، في قصيدة مدح بها صاحب بهاء الدين بن حنا ، مطلعها :

يأيها المولى الوزيرُ الذى أيامه طائفة أمرة

وفي هذه القصيدة يصور لنا حياة أولاده تصويرا مؤلما ، فهم من شدة الجوع ، عبرة لمن أبصرهم ، وإن شربوا من البئر ، لأنه لا زير عندهم ، ولا طعام لهم سوى الخبيزة يسلقونها فى الماء . فإذا اجتمعوا حولها ، قال لهم تنزهوا فى الماء والخضرة ، وقد أقبل عليهم العيد ، ولا قح عندهم . وإذا أبصروا كمكعة فى يد طفل ، أو تمر ، شخصت إليها أبصارهم ، وأرسلوا شهقة تتبعها زفرة . وهو إذ يرى أولاده على تلك الحال تأخذه الحسرة ، ويشتد ألمه ، لماسهم فيه من حرمان ، ويدكر أن أولاده يتجمعون حوله ، ويسألونه عن سبب امتناعه عن إحضار طعام لهم ، ويعجب من فطنة هؤلاء الأطفال وذكائهم مع صغر سنهم ، ثم يخلص من ذلك إلى طلب الإحسان .

ويذكر فى قصيدة أخرى ، أن عنده بنتا خطبت وستزف إلى بعلها ، وأنها تطالبه بإعداد ما يلزم من متاع ، مع أنه لا يملك فى بيته حصيرا . ويقول إن حياته أصبحت كدرا ، وإن أصدقاءه هجروه وقاطعوه ، وأبوا مساعدته بخلا منهم .

وعلى الجملة ، فإن هذه الحياة ، القاسية التى تتركز على الفقر والشيخوخة ، وما صاحبها من أسقام ، كانت موضوعا للشاعر ، يعرضه فى مدائحه ، ليستدرّ عطف ممدوحيه .

وقد نقل المقرئى ، أن الشهاب محمودا ، حينما قدم مصر ، أراد الاجتماع بالبوصيرى . فلم يلبث أن طرق الباب عليه طارق ، وإذا به البوصيرى . قال : « ثم أدخلته الدار ، فتحدثنا ، وشكا إلى فاقة عظيمة ، وضرورة زائدة ، ثم أطلق لسانه فى الحكم والكتاب » ، فأشار عليه الشهاب محمود ، بأن ينظم قصيدة فى مدح الوزير القائم فى الحكم إذ ذاك ، عسى أن يميزه . ففعل وكان أن ظفر بصلة .

فمن هنا نعلم أن الرجل لم يكن مبالغاً فيما صور به حياته القاسية . والعجب بعد ذلك لمن يعتقد أن البردة تجلب الرزق ، وتطرد الفقر .

أما الذنب الآخر الذي يؤاخذ به زوجته ، فهو شكواها من أنه لا يشبع لها رغباتها الجنسية . وقد ذكر ذلك في عدة قصائد : فمن قوله :

حسبت علقى تزول فقالت يا كثير التهوين والتهوير
كل داء له دواء فعجل بمداواة داء عضو خطير
وقوله :

وبليتى عرس بليت بمقتها والبعل ممقوت بغير قيام
جعلت بإفلاسى وشيبي حجة إذ صرت لا خلقي ولا قدامي
بلغت من الكبر العتي ونكست في الخلق وهي صبية الأرحام

الخ ...

وفي أواخر أيامه انتابته الأسقام، فكان يصاب بالإغماء لمدة طويلة، حتى يظن أنه مات ، ويذكر أنه مصاب بالبرسام، وهو التهاب في الصدر. قال :

لولم أرض علقى بمكتب صبية حميت على عوارض البرسام

وكان من عادته، كما مر بنا، أن يتناول شربة في كل عام، وربما فعل ذلك لاضطراب في معدته . وليس في شعره ما يدل على أنه أصيب بالفالج، وإنما هناك ما يدل على أنه أصيب بكسر :

* * *

ولتقف في حياة البوصيري عند هذا الحد، فإن المقدمة لاتسع لأكثر من هذا . ولنبدأ الكلام على شعره في المديح النبوي .

إذا ألقينا نظرة تاريخية على المدائح النبوية عند البوصيرى ، وجدناها تنقسم قسمين :
قسما نظمه قبل أداء فريضة الحج ، وقسما نظمه بعد أداء الفريضة .

ومن المؤكد أنه لم يذهب إلى الحجاز قبل سنة ٦٥٤ ، لأنه في هذه السنة نظم في مدح
الرسول قصيدة دالية ، سماها « تقديس الحرم ، من تدنيس الضرم » وكانها بأمر نارين . وكان
سبب نظم هذه القصيدة : ما ذكره المقرئ من ظهور نار في المدينة ، نتيجة لهزات أرضية
عنيفة . وبعد أن خمدت ، اشتعلت نار أخرى في مسجد الرسول ، نتيجة لسقوط مسرجة القيم .
فلما طارت هذه الأخبار في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، أحدثت ألما شديدا في النفوس ، انعكس
صداه على ألسنة الشعراء ، ومنهم البوصيرى ، الذى نظم قصيدة مطالعها :

إلهى على كل الأمور لك الحمدُ فليس لما أوليت من نعمٍ حدٌ
ونظم قصيدة حائية مطالعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيحُ لولاك ما غفر الذنوب صفوح
وقد ختم هذه القصيدة كما ختم التى قبلها ، بإظهار شوقه إلى زيارة الرسول .

وقيل ذهابه إلى الحج ، نظم لاميته في الرد على النصارى واليهود . وفي نهايتها مدح الرسول ،
وأعرب عن عزمه القاطع على الرحيل إلى الحجاز ، لزيارة الرسول ، وذكر أنه سيدع التسويف .
قال :

فلا قطعنّ حبال تسوينى التى منعت سواى إلى حماه وُصولا
حتى أضْمَ بطيبة الشُّمل الذى أنضى إليها العرْمَسَ الشُّمْلِيا

* * *

ومن أهم قصائده التى نظمها قبل الحج ، قصيدته التى عارض بها كعب بن زهير ، وسماها
[ذخر المعاد ، فى معارضة بانة سعاد] وقد سبقه إلى معارضة كعب ، شعراء أهمهم ابن الساعاتى
لتوفى سنة ٦٥٤ هـ . وكان من عادة الشعراء الذين يتصدون لمعارضة كعب ، أن يسيروا على نهجه

فيبدءون قصائدهم بالغزل، أما البوصيريّ، فإنه خرج عن الطريق المألوف، وافتتح قصيدته بالوعظ والإرشاد، وزجر النفس، وحضها على الزهد في الدنيا والاستعداد للآخرة، وانتهى إلى إظهار شوقه العظيم إلى زيارة الضريح النبويّ .

هذه هي المدائح النبوية، التي نظمها الشاعر قبل أن يذهب لأداء فريضة الحج . فلما صحت عزيمته على السفر، وامتطى بعيره متجها إلى الحجاز مع الركب، نظم قصيدة عبر فيها عما يشعر به من الفرح العظيم مطالعها :

سارت العيسُ يُرَجَّعنُ الحنيننا ويحاذبن من الشوق البرينا
وأخيرا وصل الشاعر إلى المدينة فوقف أمام الضريح النبوي، وأنشد قصيدة مطالعها:
وافاك بالذنب العظيم المذنبُ خجلا يعنّفُ نفسه ويؤنبُ
ثم نظم قصيدة مطالعها :

بمدح المصطفى تحيا القلوب وتُغْتَفَرُ الخطايا والذنوبُ
ولما فرغ من أداء الفريضة، وهم بمغادرة الأراضي الحجازية، نظم قصيدة مطالعها :
أزمعوا البين وشدّوا الركابا فاطلب الصبرَ وخلّ العتابا
ولما عاد الشاعر من الديار الحجازية، واستقر في القاهرة، شرع في نظم قصيدة طويلة سماها [أم القرى، في مدح خير الورى] وهي المعروفة بالهمزية، مطالعها :

كيفَ ترقى رقيق الأنبياء باسماء ما طاوتها سماء
وقد ذكر في هذه القصيدة، الأماكن التي سلكها حين ذهابه إلى الحجاز . ومنها نعلم أنه لم يركب البحر، بل اتخذ طريق البر، الذي يبدأ من بركة الحج خارج القاهرة، ثم يتجه شمالا بشرق، ويلتف حول خليج العقبة، ثم يم جنوبا مارا بالعوجاء، والخوراء، وينبع، وحُنين، وبدر، والصفراء، وبزوة، ورايغ، والجُحفة، إلى أن يصل إلى الزاهر خارج مكة .
وقد حازت الهمزية إعجاب الأدباء، فأقبل بعضهم على شرحها .

والآن نتكلم على أهم قصيدة نظمها البوصيرىّ في هذا الباب وهي البردة . وأول من حدثنا عنها هو ابن شاكر الكتبي، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ إذ ذكر قصة إصابة البوصيرىّ بالفالج، ونظمه لهذه القصيدة وشفاءه، وإنشاده للنبيّ الذي أعجب بها، وألقى عليه بردة . ثم أورد قصة إصابة سعد الدين الفارقي برمد أشفى منه على العمى، لولا أن وضع قصيدة البردة على عينيه، فنجّا من شر هذه الآفة .

ثم جاء المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ وابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ فأوردا هذه القصة بنصها، كما هي عند ابن شاكر .

والملاحظ أن عصر البوصيرىّ، كان يزخر بالخرافات . وكان الصوفية أجمعون يدعون أنهم يرون النبي يقظة ومناما، ويخاطبونه ويخاطبهم، وقد سبق أن ذكرنا أن البوصيرىّ أصيب بكسر . وفي ذلك يقول :

ماضركم جبرُ الكسيرِ وحسبُهُ ما يلتقى في الجبر من آلامٍ

ومع أن الشاعر هنا يتلاعب بالألفاظ، إلا أننا نستطيع أن ندرك أنه كان مصابا بكسر . وقال :

ما حال من مُنِعَ الركوبَ وطرفُهُ يشكو إليه رِباطَهُ محبوسًا

والطَّرْف هنا بمعنى الساق . فهو يقول إنه عجز عن الركوب، لأن ساقه المكسورة، كانت قد لفت عليها الأربطة، فتعذرت عليه الحركة . وعلاوة على ما تقدم فإن الفالج لا يربط . ومن هنا نستطيع أن ننفي إصابته بالفالج نفيًا تاما .

وأمر آخر نستطيع أن نبطل به دعوى إصابته بالفالج، وهو ما أشار إليه في الأبيات التي يشكو فيها من زوجته الولود، والتي يقول فيها :

أو هذه الأولاد جاءت كلها من فعل شيخ ليس بالقوام

فهو يقول، إنه مع وجود هذه العلة، كان يباشر زوجته، وينجب منها . فكيف تكون

هذه العلة فالجا بطل نصفه؟! هذا وقد ذكرنا من قبل، أن البوصيرى كان مصابا بعدة أمراض .
فلو كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض ، لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها .

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي ، قصة الفالاج ، ثم أردفها بما نصه : « وقيل إنه اشتد رمده ، بعد
نظمها ، فرأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم ، فقرأ عليه شيئا منها ، فتغل في عينيه فبرى لوقته »
وإذا أخذنا بما يرويه ابن حجر ، انتهينا إلى أن البوصيرى ، لم يصب بفالاج ، وأن ما يقال من أن
النبي ألقى عليه بردة ، لم يحدث قط .

ولاشك في أن كل ما قيل حول البردة ، فهو مختلق ومن نسج الخيال . ولقد أمعنوا
في الكذب والاختلاق ، فذكروا أن البوصيرى ، لما وصل إلى قوله : « فبلغ العلم فيه أنه بشر »
توقف . فقال له النبي : قل يا إمام . فقال البوصيرى : إني لم أوفق للمصراع الثاني . فقال النبي :
قل يا إمام « وأنه خير خلق الله كلهم » فأدرج البوصيرى هذا المصراع في قصيدته . وهذا كله
إفك وبهتان . وإلا فكيف استطاع البوصيرى أن ينظم القصيدة كلها وعجز عن هذا الشرط ،
وتوقف فيه ، حتى قام ينشدها أمام الرسول؟! والعجب من قوم لم يتورعوا عن الكذب على
رسول الله! هذا وقد ورد عجز البيت المتقدم بنصه ، في إحدى قصائد الصَّرَصْرِى المتوفى سنة ٦٥٦
التي يقول فيها :

محمد خير خلق الله كلهم وهو الذي لفخار المجد ينسبُ

* * *

فكيف إذا أخذت البردة اسمها ؟ لقد اعتاد الشاعر أن يطلق على مدائحه النبوية أسماء
معينة . فقصيدة اسمها « ذخر المعاد ، على وزن بانة سعاد » ، وقصيدة اسمها « تقديس الحرم ، من
تدريس الضرم » وكنيتها « أم نارين » ، وثالثة اسمها « أم القرى ، في مدح خير الورى » ، ورابعة
اسمها « الخرج والمردود ، على النصارى واليهود » .

وواضح أن هذه الأسماء، لاتبخى وراءها أسراراً، ولم يقصد بها أكثر من معناها الظاهر .
وقد أطلق البوصيرى على القصيدة التى نحن بصددھا، اسم [السكواك الدرية ، فى مدح خير
البرية] . فليس ببعيد أن يكون البوصيرى ، قد كناها بالبردة ، لاشتغالها على مناقب الرسول .
وحينئذ يكون قد قصد المعنى المجازى ، لا أكثر .

وقد شبه البوصيرى مدأخه النبوية بالبردة ، لأنها حوت محاسن الرسول . قال :
. حاك من صنعة القريض برودا لك لم تحك وشيها صنعاء
وأحياناً يشبهها بالحلة ، فيقول :

ها حلة بخلال منك قد رقت مافى محاسنها للعب تخليل
ألبستهمك حسناً فازدهت شرفاً بها الخواطر منا والمناويل
وقد ذكر الشاعر كلمة « بُرْدَة » ، فى غير المناسبات السابقة . ومثال ذلك قوله :
تعذر فى المشيب وكان عيا وبرد شبابه ضاف قشيب
وقوله :

نسجت برود بلاغتيه وأبدت إبداع فى الآساد والآجام .
وقد شبه نفسه بكعب . ولكعب كما نعلم ، قصيدة اسمها « البردة » . فمن الراجح أن
البوصيرى ، أراد أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب ، وذلك من باب التبرك .
وللبردة ، اسم آخر هو البروة . وذلك لأن البوصيرى ، كما يزعمون ، برى بها من علته .
وقد سميت كذلك ، بقصيدة الشدائد . وذلك لأنها ، فى زعمهم ، تقرأ لتفريج الشدائد ،
وتيسير كل أمر عسير .

ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة ، بل وضعوا لقراءتها شروطاً
لم توضع مثلاً لقراءة القرآن . منها : التوضؤ ، واستقبال القبلة ، والدقة فى تصحيح ألفاظها

وإعرابها ، وأن يكون القارىء عالما بمعانيها ، إلى غير ذلك . ولا شك في أن هذا كله من اختراع الصوفية ، الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس . وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراءة البردة ، كانت تستدعى في الجنائز والأفراح ، نظير أجر معين .

ووضعوا لها من المناقب والفضائل ما لا يقع تحت حصر . فهي تشفى من عدة أمراض . وتفترج الشدائد ، وتسهل كل أمر عسير . وقد استغلّ المشعوذون والدجالون قصيدة البردة ، لا بتباز الأموال ، والاحتتيال على صغار الأحلام ، وضعفاء العقول . واتخذوا منها تائم وتعاويز ، وشرعوا يوهمون الأغرار بفوائد هذه التائم ومنافعها ، ويتقاضون على ذلك ما يملأ جيوبهم .

وقد ترتب على ما تقدم ، أن سار ذكر البردة في الآفاق شرقا وغربا ، وحفظها الخالص العام ، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار ، وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات . قال ابن حجر الهيتمي : « كيف وقد ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن » . وقد ترجمت إلى بعض اللغات الشرقية والغربية ، وأقبل الشعراء عليها ، فمنهم من يشطرها ، ومنهم من يعجزها ، ومنهم من يحمّسها ، ومنهم من يسبعها ، ومنهم من يتسعها ، ومنهم من يعشرها ، ومنهم من ينهج نهجها ، وأوسعها الكتاب شرحا وتعليقا .

أما سبب ذبوع تلك القصيدة ، فيرجع الفضل فيه إلى الصوفية الشاذلية الذين ينتمى إليهم البوصيري . وإلى المغاربة منهم بنوع خاص . فإن هؤلاء المغاربة ، كانوا زمن الدولة الفاطمية يتمتعون برغد العيش . فلما ذهبت تلك الدولة ، أرادوا أن يحتفظوا بمستواهم المادى ، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة ، واتخذوا من البردة مجالا لنشاطهم ، فوضعوا لها المناقب على نحو ما تقدم . واحتكروا نسخها وتأجيرها ، وقراءتها في حلقات الأذكار ، والمائم والأفراح . وكان من دأب هؤلاء المغاربة ، أن ينتقلوا من مدينة إلى أخرى ، ومن إقليم إلى آخر ، فعملوا على نشرها في جميع أنحاء العالم الإسلامى .

وقد ظلت البردة ، بالرغم من طعن ابن تيمية فيها ، مقدسة عند المسلمين . ثم قام محمد بن عبد الوهاب

في نجد ، فأعاد هو وتلاميذه الطعن فيها ، وبينوا ما اشتملت عليه من شرك أكبر في زعمهم .
وقد أنكر ابن تيمية على البوصيري قوله :

دع ما ادعته النصارى في نبهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وذلك لأن البوصيري ، وإن كان قد أسقط الربوبية عن النبي ، إلا أنه غالى في مدحه غلوا
أضاع معه قيمة إسقاط الربوبية .

* * *

وقد امتاز البوصيري في مدائحه النبوية بقوة الأسلوب ، وحسن الصياغة ، وجودة المعاني
وجمال التشبيهات ، وروعة الصور .

والصوفية ، يزعمون أن النبي حتى في قبره ، يسمع ما يخاطب به ، وما يقال في مدحه .
لذلك اجتهد البوصيري في الفوز بإعجاب الرسول ، حتى تغفر له ذنوبه ، وينجوه من عذاب النار ،
ويدخل الجنة . ولا شك في أن محاولته محاكاة كعب وحسان ، كانت حافزا له على الإجاداة
في هذا الباب . وقد لعبت العاطفة الدينية الصادقة ، دورا هاما في هذا الصدد ، وكذلك روح
التصوف الذي عرف بها البوصيري .

وإنك لتجد الشاعر يجادل النصارى واليهود في أثناء المدائح النبوية ، جدالا منطقيا وتاريخيا ،
مع الإشارة إلى بعض النصوص الواردة في التوراة والإنجيل ، ويصوغ ذلك صياغة جيدة ، مطبوعة
بالطابع الموسيقى ، الذي ينبغي أن يكون عليه الشعر . ومن تأمل قصيدته [المخرج والمردود]
أدرك صحة ما نقول .

وامتاز البوصيرى فى مدائحه النبوية ، بحسن اختياره للألفاظ المناسبة للمقام . ومثال ذلك قوله فى وصف جند الرسول :

كأما الدين ضيفٌ حل ساحتهم بكل قرمٍ إلى لحم العدا قرمٍ
يمرّ بحر خميس فوق سابعة يرمى بوج من الأبطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للكفر مصظم
الخ . . .

فالشاعر، استخدم كلمات جزلة ، وذات رنين خاص يناسب مقام الحرب . وبهذه المناسبة، نذكر أننا لم نجد شاعرا اهتم بوصف جند الرسول ، وبرع فى ذلك مثل ما برع البوصيرى .
هذه إشارة عابرة عن الأسلوب . أما من ناحية المعانى ، فإننا نلاحظ تكرارها ، نظرا لتكرار ذكر المعجزات . ولكنه كان يصوغها فى كل مرة صياغة جميلة ، ويضعها فى ثوب جديد، فتبدو فى نظرنا ، وكأننا لا عهد لنا بها من قبل . ومثال ذلك ، قوله فى اختفاء النبيّ فى الغار وهو :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرّف من الكفار عنه عَمِي
فالصدق فى الغار والصديق لم يرَ ما وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تفسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
وفى هذه الحادثة نفسها ، يقول قصيدته التى عارض بها كعبا :

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبى معمور ومأهول
كأما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهب فياحبذا نسج وتجميل

عناية ضلّ كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زينها حول
والصورة الأولى أقوى وأشد تأثيراً في النفس . وقوله « وما حوى الغار من خير ومن كرم »
أقوى من قوله :

كانما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواها غيل
ومصدر قوته يرجع إلى ما فيه من صدق ؛ فالثابت أن أبا بكر كان خائفاً . وأن النبي هدأ
من روعه ، وقد حكى القرآن ذلك في قوله « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » والثابت
كذلك أن العنكبوت والحمام قد لعبت دوراً هاماً في صرف أنظار المشركين عن الغار .
وقوله :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأطم
أقوى بكثير من قوله :

عناية ضلّ كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
وقوله : « وكل طرف من الكفار عنه عى » أقوى من قوله « كأن أبصارهم من زينها
حول » . هذا ولكل من الأبيات الأولى والثانية إيحاء خاص في النفس .
وقد أشار البوصيرى إلى إعجاز القرآن في الحمزية واللامية ، ولكن المعنى تبلور في ذهنه ،
واتسع وقوى ، فجاء به في البردة على نحو رائع إلى حد بعيد ، وهذا هو مظهر الجدة الذى أشرنا
إليه ، فلم يكن التكرار عنده عبثاً ، يأتي به لملء الفراغ ، بل كان لعرض فكرة قد ازدادت
وضوحاً في ذهنه ، وهذا مما يشوقنا إلى قراءة قصائده ، والوقوف عند المعانى المشتركة فيها ، والموازنة
بينها ، واستنباط أوجه القوة على اختلاف درجاتها ، وانظر إلى ما في أبيات البردة من التشبيهات
القوية ، والصور الرائعة ، والحكم الخالدة .

ولسنا في حاجة إلى القول بأن الشعراء الذين مدحوا الرسول بعد البوصيري سطوا على معانيه ، التي وردت في الهمزية والبردة ، وسطوا على ألفاظه وعباراته .

* * *

أما البوصيريّ كشاعر ينظم في الأغراض المختلفة، فإننا لا نجد في ديوانه من تلك الأغراض سوى المدح ، والهجاء ، والرد على النصارى واليهود ، والدعابة .

وتمتاز مدائح البوصيريّ بميزة قلما نجدها عند غيره من الشعراء . هذه الميزة هي ظهور البيئة المصرية فيها ظهوراً واضحاً ، مثال ذلك قوله :

وأقبلت تحمي الأرض من بعد موتها وفي الجود ما يحيي الموات وينشر
فهاهي تحكي جنة الخلد نزهة ومن تحتها أنهارها تتفجر
وأعطيت سلطاناً على الماء عالياً به يزخر البحر الخضم ويسجر
فياصالحاً في قسمة الماء بينهم ولا ناقة في أرضهم لك تعقر
ففي بلد من حكمك الماء راكد وفي بلد من حكمه يتحدر
فهذا له وقت وحد معين وهذا له حد ووقت مقدر

فالمدوح اهتم بشئون الريّ ، فحفر الترعة وأنشأ الجسور، وضبط مياه النيل، فلانفتح الأحواض إلا في وقت معين ، ولا تقفل إلا في زمن محدد . ثم إن هذا المدوح اهتم بتوزيع الماء على الزراع توزيعاً عادلاً، انعدمت أو قلت معه أسباب الشكوى .

ومعلوم أن حياة الأرض في مصر تقوم على مياه النيل ، وقد عاش الشاعر في الريف مدة من الزمن ، فعرف حاجة الفلاحين إلى حاكم يهتم بمثل هذه الشؤون .

لذلك تغنى بما قام به المدوح في هذا الصدد، مطمئناً إطناباً يدل على ارتياحه وتقديره لهذا العمل العظيم ، في وقت اشتدت فيه حاجة الفلاح لهذه الإصلاحات .

والأمر الثانى الذى يهم الفلاح هو العمل على نشر الأمن ، والقضاء على اللصوص الذين
يغيرون على المواشى وينهبونها ، وعلى المحاصيل فيسرقونها ، فإذا جاء حاكم وعمل على استتباب
الأمن ، وقطع دابر اللصوص ، فإن الألسنة تلهج بالثناء عليه ، وهذا الحاكم الذى يمدحه البوصيرى
قد قام بهذا العمل العظيم ، وسهر على حفظ الأمن ، وقد أشاد البوصيرى بذلك فقال :

فطهر وجه الأرض من كل فاسد وما خلته من قبله يتطهر
ومهد للسالكين من الأذى فليس به الأعشى إذا سار يعثر
أنام الرعايا فى أمان وطرفه لما فيه إصلاح الرعية يسهر
ومن مظاهر البيئة الريفية فى مدائحه قوله :

والمال يجنى كما تجنى الثمار بها حتى كأن بنى الدنيا له شجر
وتابعت بعضها الغلات فى سفر بعضا إلى شون ضاقت بها الخدر
وسيق الخيل للأبواب مسرجة لم تحص عدا وتحصى الأنجم الزهر
والهجن تحسبها سحبا مرفوعة فى الحق منها فضاء الجو منحصر
فالجنى والثمار والأشجار والغلات والشون والخيل والهجن ، كلها من وحى الريف .
وفى مدائحه صور وتشبيهات ريفية مبتكرة ، لم يسبق إليها ، ومثال ذلك قوله :

كأنه الدلو يعلو حين تملؤه ماء ويفرغ ما فيه فينحسر
والدهر يرفع أطرافا كما رفعت أذناها لقضاء الحاجة البقر

وله قصيدة بدأها بذكر مدن الشرقية وقرأها ، والتحسر على الأيام السعيدة التى قضاها

بين ربوعها .

وتظهر في مدائمه آثار التصوف بصورة واضحة ، مثال ذلك قوله في أحد ممدوحيه :

معنى الوجود الذى تم الوجود به وهل بغير المعانى قامت الصور

وقوله :

ولم تفتحه من الأوراد ناشئة فى ليلة قام يحميها ولا سحر

يطوى النهار صياما وهو مضطرم والليل يطوى قياما وهو معتكر

وهذه من صفات الممدوح عند المتصوفة ، وقد أسندها الشاعر إلى ممدوحيه بجانب المناقب الأخرى ، فإن مدح الإنسان بالعدل والكرم والشجاعة ، لم يكن كافيا فى ذلك العصر الذى انتشر فيه التصوف ، فكان لابد من إسناد صفات الصوفية إلى الحكام والوزراء .
انظر إليه حين يمدح أحد الوزراء فيقول :

وصل النهار بليله فى طاعة وصلاته موصولة بصيام

كملت بتقوى الله مقلته التى لم تكتحل أجفانها بمنام

يمسى ويصبح طاويا أحشاءه كرما على سَقَب وحرّ أوام

عجباله يطوى حشاه على الطوى وتحضه التقوى على الإطعام

نزعت وماهمت به النفس التى نزعت من الشهوات نزع همام

فتنعم الأرواح ليس بمدرك إلا بترك تنعم الأجسام

قرن الوزارة بالولاية فهو فى حل من التقوى ومن إحرام

وهذه صورة قطب من أقطاب الصوفية ، لا صورة أحد الوزراء الذين يقومون بالحكم ، فروح التصوف التى غابت على عقلية الناس فى ذلك العصر ، جعلت البوصيرى يصور ممدوحه فى صورة من يقوم الليل كله ، مصليا متعبدا لا ينام قط ، ولا يففل عن ذكر الله ، ويدبم الصيام

فيتترك معدته خالية على حين هو يطعم الناس، وهو بذلك قد ابتعد عن الشهوات التي ينفس فيها غيره ، ثم أورد الشاعر رأى المتصوفة في أن الأرواح لا تتمتع بالنعيم إلا إذا أعرض الإنسان عن لذات الدنيا ، وسلك مسلك الورعين المتنسكين ، الذين يؤثرون العيش الخشن ، فهذا الوزير ، كما يبدو من شعر البوصيرى ، صوفى ، قرن الوزارة بالولاية ، وحل في التقوى وأحرم بها .

ومن مناقب المدوح في ذلك الوقت مايجود به على المتصوفين من عطاء ، وفي ذلك يقول البوصيرى :

وما يزال يعين الطائعين إذا تطوعوا بحميل أو إذا نذروا
ومن أعان أولى الطاعات شاركهم في أجر ما حصروا منه وما تجروا
فما أتى الناس من فرض ومن سنن ففي صحيفته الغراء مستطر
فحج وهو مقيم والحجاز به قوم يقيمون لاحتجوا ولا اعتمروا

وهذا من آراء المتصوفة التي نشروها إذ ذاك ليرغبوا الناس في إعانتهم ، فهم يزعمون أن الذى يمدحهم بالعطاء ، ينتفع بصلاتهم وصيامهم وحجهم ، بأن يرجع إليه ثواب ذلك حتى ولو كان ممن لا يؤدون هذه الفرائض ، وهذا مما لم يعرفه المسلمون الأولون ، وهو من غير شك من اختراع المتصوفة ، والذى عليه المسلمون أن الإحسان لا يعنى فاعله من القيام بالفرائض .

ومن آثار التصوف في مدائح ذكره للفقر والفقراء ، مثال ذلك قوله :

قد أغنت الفقراء وافترت لهم همُ الملوك فما تزال مؤمله
والفقراء هنا هم المتصوفة ، فالمدوح قد أغناهم بالعطاء ، وهم الملوك مفقرتة إلى هؤلاء الفقراء

واستعمل كلمة « الفقر » بمعناها المتعارف ، وهذا أيضا من أثر التصوف . والتصوف واضح في قوله من قصيدة يمدح بها الصاحب زين الدين أحمد :

وفى علوم الأولين حقوقها والآخريين وفاء من لم يجحد
أفضى به علم اليقين لعينه ورآه حاسده بعينى أرمد
كشف الغطاء له فليس كخائر فى دينه من أمره متردد
قد كان يحكم فى الأمور بعلمه شهد الحق لديه أم لم يشهد
لولا يخاطبنا بقدر عقولنا جاءت معارفه بما لم نعهد

وهذه من مناقب الوزراء فى ذلك الوقت ، فصفاة المدح التى عرفت من قبل تتضاءل
حتى تكاد تختفى فى بعض مدائح البوصيرى ، وتحمل محلها صفاة الأقطاب الذين كشف عنهم
الغطاء ، فأدركوا خفايا الأمور ، والوزير المتصف بهذا يحكم بما يقضى به علمه بهذه الخفايا
فهو ليس فى حاجة إلى من يبصره بالحق ، أو ينبهه إلى الخطأ ، فأين صفة العدل أو الكرم
بجانب هذه الصفاة التى خلعتها الشاعر على ممدوحه ؟

وقد مدح أبا العباس المرسى بقصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد
والقصيدة كلها فى التصوف والإشادة بمناقب المرسى والتعريض بالفقهاء الذين يأخذون
علومهم من الكتب ، فى حين أن المرسى يأخذ علومه من الله ، وعن الله ، وشرح
لآداب المرید

والشاعر لا يمل من وصف أحوال المستخدمين ، وما كانوا عليه من فساد ، وما انتشر بينهم
من رشوة واختلاس وتزوير . يذكر هذا فى كثير من مدائحه ، ويظهر غيرته على الرعية
وأموالها ، ويستنكر ما يقع عليها من ظلم ، حتى إنك لاتجد شاعرا أسرف فى ذكر الرعية ، والرعاة ،
والراعى ، ورعى ، ويرعى ، والأمة ، والسياسة ، مثل ما فعل البوصيرى ؛ فن ذلك قوله :

يرعون أموال الرعية بالأذى لو يجلبون لأشبهوا الجاموسا

وقوله :

عم الرعية والأجناد معدّلةً فما شكا نفرا من عدله نفر

وقوله :

لولاك ما عدلوا من بعد جورهم على الرعايا ولا عفوا ولا انحسروا

وقوله :

ومن السياسة أن تكون مراعيًا للصالحين تبرهم وتسوسا

وقوله :

وكم سعدت بالطالع السعد أمة وكم شقيت بالطالع النحس معشر

وفي مدائح البوصيرى مبالغات هي مما بقي من الصفات التي كان يخلعها الشعراء على الأئمة في العصر الفاطمي ، وتظهر هذه الناحية عند الشاعر بوضوح في مدائحه لآل حنا الذين ينتسبون إلى آل البيت .

وكثيرا ما يمزج البوصيرى مدائحه بالدعابة المضحكة التي تترك أثرها في النفس ، ويصور حياته وما فيها من ضيق و بؤس ، و بيته وقد خلا من الطعام والفراش والضروريات ، وأولاده الجياع العراة ملتفين حوله في صورة مؤلمة ، و يطنب في ذلك ليستدر عطف الممدوح ، وقد يسوق في أثناء ذلك قصة وقعت له مع زوجته ، أو مع بعض الناس في أسلوب ساخر ، وقال مجسم حى ، حتى كأنك ترى بعينك ما يقع عليه ، ويمزج الجد بالهزل ويتبرم بالشيخوخة والمرض ، وكثرة الأولاد وتنكر الأصحاب ، وينتهى من ذلك إلى طلب الإحسان ، فكانت مدائحه وبخاصة التي نظمها في أواخر حياته ، يغلب عليها هذا اللون ، ولذلك كانت بالاستجداء أشبه منها بالمدح ، هذا موجز عن فن المدح عند البوصيرى .

ننتقل بعد ذلك إلى فن هجاء المستخدمين الذى اشتهر به الشاعر فى عصره و بعد عصره .
وقد ذكر المقرئى أن البوصيرى " كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يباشرها ويبغض
طائفة الكتاب ، ويضطر إلى أن يعاشرهم ، ولا يزال رزقه مقترأ عليه ، ويرى الكتاب فى النعمة
يتقلبون . " وقد يكون هذا الدافع الأول للبوصيرى على التنديد بهذه الطائفة ، وبخاصة أنه فى هجائه
للمستخدمين يوازن بين ما هم فيه من نعيم ، وبين ما هو فيه من جحيم ، مثال ذلك قوله :

ملأت بيوتهم الغلال فلم تجد منها كبيتى فارغا مكنوسا
وقوله :

بأى أمانة وبأى ضبط أرد عن الخيانة فاسقينا
ولا كيسا وضعت عليه شعا ولا بيتا وضعت عليه طيفا
ولكن الفكرة تطورت عنده ، فبعد أن كانت متعلقة بمصلحة ذاتية ، أصبحت متعلقة
بالمصلحة العامة ، وبعد أن كان يتألم من أجل نفسه ، أصبح يتألم من أجل الرغبة ، وما يقع عليها
من مظالم ، انظر إلى قصيدته التى مطلعها :

انظر بحقك فى أمر الدواوين فالكل قد غيروا وضع القوانين
ومنها :

اكشف بنفسك أسوانا ومن معها من الصعيد بلا قوم مساكين
فما الذى دفع الشاعر إلى الحملة على مستخدمى أسوان ، مع بعد المسافة بينه وبينهم ؟
لابد أن يكون قد سمع بما وقع على الرعية من الأذى والظلم ومصادرة الأموال ، فنظم هذه القصيدة
الطويلة ، وهى تنم عن ثورة نفسية جاشت بين جوانح الشاعر ، فانها على موظفى أسوان بالمطاعن ،
حتى إنه لم يترك منقصة إلا نسبها إليهم .

ويعلن البوصيرى فى قصيدة أخرى عن استعدادة لجهاد هؤلاء المستخدمين إذا نصرته
الرعية ، قال :

وإن تنصروني قمت فيهم مجاهدا فإنهم لله أعصى وأكفر
ويذكر أن حديثه عن المستخدمين ، حديث العارف الخبير ، لأنه عاشهم أعواما ، فوقف
على أسرارهم ، ويقول إنه لم يجد واحدا منهم متصفا بالأمانة والنزاهة ، بل وجدهم كلهم على
غير الصراط المستقيم ، قال :

ثكلت طوائف المستخدمين فلم أر فيهم رجلا أمينا
ولم يقصر حملته على كتاب النصارى ، بل حمل على الكتاب المسلمين كذلك ، قال :
وكيف نلوم فساق النصارى إذا خانت عدول المسلمين
ثم ذكر بعض المستخدمين المسلمين ، ووصفهم بأنهم من كبار اللصوص المتخصصين
في سرقة الغلال من الحقول ، وهم لا يستترون بل يكشفون عن سرقاتهم ، بما يلبسون من حرير ،
وما يشربون من خمر ، وما يقتنون من العبيد والجواري .

وربما كانت تعود عليه فائدة لو أنه اقتصر على التنديد بالكتاب النصارى ، وسالم الكتاب
المسلمين ، ولكن الرجل لم يفعل ذلك ، لأنه كان يستهدف المصلحة العامة ، ومن أجل تلك
المصلحة وحدها قرن حملته على المستخدمين بالجملة على الفقهاء ، فمن ذلك قوله :

تحيلت القضية فخان كل أمانته وسموه الأئمة
وكم جعل الفقيه العدل ظالما وصير باطلا حقا مبينا
وما أخشى على أموال مصر سوى من معشر يتأولونا
وانظر إلى مافي البيت الأخير من تقديم مصلحة مصر على كل اعتبار ، فلم يذكر مصلحة
ذانية لهم ، وإنما ذكر مصلحة مصر ، في وقت لم تعرف فيه سوى المصلحة الذاتية ، وهذه من
غير شك وثبة من وثباته ، لا يسعنا إلا أن ننحى أمامها إجلالا وإكبارا .

ومن أسباب حملته على الفقهاء ، وجود التنافس الشديد بين هذه الطبقة وطبقة ، المتصوفة

التي ينتمى إليها البوصيرى ، فالفقهاء ينكرون على المتصوفة مزاعمهم وآراءهم التي ينشرونها بين العامة ، ولم يرتاحوا لإقبال الملوك على إنشاء التكايا لهؤلاء المتصوفين ، ووقف الأوقاف الواسعة عليها ، ولم يعجبهم النفوذ القوى الذي تمتع به هؤلاء القوم في أوساط العامة والخاصة ، لذلك كانت الخصومة عنيفة بين الطرفين ، وليس هناك من شك في أن حملة البوصيرى على الفقهاء كانت صدى لتلك الخصومة العنيفة .

وليس معنى ما تقدم أن الفقهاء كانوا كلهم أبرارا . كلا ! فإن عدوى الفساد قد سرت إلى كثير منهم ، وقد ساعد نظام الأوقاف الذي انتشر في ذلك العصر انتشارا واسعا على إفساد بيئة الفقهاء ، وكانت نظارة هذه الأوقاف تسند إلى رجال القضاء الذين كان منهم من يساعد الأمراء على اغتصابها عن طريق الاستبدال ، فيأخذون القصور العامرة مقابل الخرائب ، والأراضي الزراعية مقابل الأراضي البور ، وقد اتخذ البوصيرى من هذا وغيره مادة للطعن في هذه الفئة ، وتصويرها تصويرا لا يخلو من مبالغة .

أما رده على النصارى واليهود فيرتكز على :

١ — رفض الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الديانة المسيحية ، وهي فكرة ألوهية عيسى ، ومحاولة دحض هذه الفكرة دحضا عقليا ومنطقيا .

٢ — رفض فكرة الأقانيم الثلاثة التي يدين بها النصارى ، وقد ناقش الشاعر هذه الفكرة مناقشة مشوبة بالسخرية .

٣ — رفض فكرة الفداء ، وبالتالي القول بصلب المسيح ، مستندا في ذلك أيضا على العقل والتاريخ

ننتقل بعد ذلك إلى فن الدعابة التي اشتهر بها البوصيرى ، فنقول إن الشعراء فى ذلك الوقت انصرفوا إلى مدح الوزراء والسلاطين وكبار الحكام، أو بتعبير أدق إلى استجدائهم ، ولم يكونوا قادرين على هجاء من يمتنع عن إعطائهم ، فعمدوا إلى استدرار عطف المدوح عن طريق تصوير حياتهم القاسية تصويراً قوامه الدعابة الساخرة ، فمن ذلك قول البوصيرى :

لهم من الخُبَيْزِ مسلوقة فى كل يوم تشبه النشرة
أقول هما اجتمعوا حولها تنزهوا فى الماء والخضرة

الخ ...

فانظر إليه وقد صور حياته فى صورة ضاحكة ساخرة ، وتأمل قوله « تمتعوا بالماء والخضرة » وانظر كيف عرّض نفسه على لسان أخت زوجته ، وكيف صور نفسه مهزوما مغلوبا على أمره أمام زوجته ، التي قذفته بأجرة فأدمت رأسه ، فهذه الصور ، وإن أضحكنا إلا أنها تجعلنا نعطف على الشاعر ونرتى لحاله .

وللبوصيرى دعابات قصد بها مجرد الزراية ، وأتى فيها بصور هزلية مضحكة ، وهو يميل فى الدعابة إلى أسلوب الحوار وإلى سرد القصص ، وأحيانا إلى إجراء الكلام على السنة بعض الحيوانات ، فنظم قصيدة على لسان بغلة ، وأخرى على لسان حمامته .

وقد حدث أن قوما حكم عليهم بأن تحلق نصف لحية كل منهم ، فنظم الشاعر فى ذلك أبياتا نذكر منها :

ثم قالوا عن ذقون حلقت قلت لا بد لها أن تخلفا
إن حلق الذقن خير للفتى يا بنى الأعمام من أن تنتفا
والذى حلق أنصاف اللحى كان فى الأحكام عدلا منصفاً
حلق النصف بذنب حاضر وعفا بالنصف عما سلفا

فانظر إلى هذه السخرية التي أصاب بها الشاعر الحاكم ، فجعله عادلا ، لأنه لم يأمر بحلق اللحية كلها ، وإنما حلق نصفها جزاء ما ارتكبه المحكوم عليهم من الإثم ، وترك النصف الآخر ، لأنه تفضل فعفا عما سلف للمحكوم عليهم من الذنوب ، وطبيعى أن الحاكم لم يفكر فيما ذهب إليه الشاعر ، ولو أنه حلق اللحية كلها لكان أعدل ، أما أنه ترك نصفها فذلك إمعانا في التنكيل ، لما يظهر من قبح المحكوم عليهم ، ولما يجره هذا من لفت الأنظار إليهم ، والإغراق في الضحك منهم ، فما كان من البوصيرى إلا أن قلب القضية ، فجعل الإفراط في الظلم ينتهى العدل ، والقسوة رحمة ، والإساءة إحسانا ، ولهذا النوع من السخرية وقع عظيم في النفس ، وبوساطته يستطيع الكاتب أن ينال من الطغاة دون أن يلحقه أذى ، وقد اشتهر بعض كبار أدباء أوربة بإجادة هذا الفن ، ولم يقصر البوصيرى فيه .

* * *

أما بعد ، فهذه مقدمة درسنا فيها بإيجاز حياة البوصيرى وشعره ، فمن أراد المزيد فليقرأ كتابنا « البوصيرى : دراسة ونقد » الذى أرجو أن أتمكن من نشره قريبا .

ديوانه

لاشك في أن شهرة البوصيرى بقصيدتيه « البردة » و « الهمزية » جعلت الناس ينسون بقية شعره ، فلم يهتم بديوانه أحد ، ويبدو أن الشاعر نفسه لم يجمع شعره في ديوان . والبوصيرى شاعر مصرى مثل عصره خير تمثيل ، لذلك رأيت أن أهتم بنشر شعره .

وقد وجدت في دار الكتب المصرية نسختين خطيتين من ديوانه ، إحداها تحت رقم

٢٣١١ — أدب ، والثانية تحت رقم ٨٢٦ شعر تيمور .

أما النسخة الأولى فإنها مجهولة الأصل، مع أنها حديثة العهد ، إذ كان الفراغ من كتابتها سنة ١٣٢٦ هـ .

وجاء على غلافها ما نصه :

« ديوان شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حبان ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري أو الأبوصيري ثم الدلاصي المتوفى سنة ست مئة وأربع وتسعين ، رحمه الله رحمة واسعة » .

وفي نهايتها ما نصه : « قد وقع الفراغ من كتابة هذا الديوان لأربع ليال خلون من شهر ذي الحجة سنة ألف وثلاث مئة وستة وعشرين للهجرة » .

وهذه النسخة واضحة الخط ، كثيرة الأخطاء النحوية ، والقصائد فيها مرتبة القوافي على جروف الهجاء .

* * *

أما النسخة التيمورية ، فقد نقلت عن نسخة قديمة محفوظة بالمكتبة المرجانية ببغداد ، ويبدو أنها مجهولة الأصل والتاريخ ، لأن الناسخ لم يثبت تاريخ الفراغ من النسخة التي نقل عنها ، ولم يعن الناسخ لهذا المخطوط بإيراد الهمزية أو البردة ، أو اللامية التي رد بها البوصيري على النصارى واليهود ، بل أورد مطلع كل قصيدة من هذه القصائد ، وبدأ المخطوط بالقصيدة الخائية التي مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيح لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وقد ذكر أنه أغفل نقل هذه القصائد ، لشهرتها وذيوها .

وفي أول هذا المخطوط ، نجد الديباجة التي وردت في نسخة دار الكتب ، مع زيادات طفيفة أشرت إليها في الهامش .

وعلى غلافها ما نصه :

« ديوان البوصيرى عليه الرحمة » .

وفى نهايتها :

قال جامعه الأستاذ السيد محمود شكرى الألوسى : هذا آخر ما أردنا نسخه من ديوان العارف بالله ، كنز الفضل والأدب والعرفان ، العلامة الشهير بالبوصيرى ، مادح النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد صلاة الجمعة ، لعشرين خلت من ربيع الثانى من سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية ، وكانت نسخة الديوان المنقول عنها فى غاية التحريف والغلط ، وقد بذلت الجهد فى تصحيحها ، والحمد لله على التمام .

وبعد هذا نجد الناسخ قد أُلحق بالديوان ما كتبه البوصيرى نثرا ، وزاده على قصيدته :
« المُنْخَرَج والمردود ، على النصارى واليهود » .

والنسخة التيمورية جيدة الخط نادرة الأخطاء .

وقد انتفعت فى تحقيق شعر البوصيرى بالكتب الآتية :

١ — منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .

مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٤٤ علم الكلام .

٢ — البرد القشيب فى تفسير كتب المشيب ، لعمر بن محبوب المعتقلاوى مخطوط رقم

٩٣٠٤ — أدب — دار الكتب المصرية .

وقد انتفعت بهذا المخطوط فى تحقيق القصيدة التى نظمها البوصيرى فى مدح أبى العباس

المرسى ، وتعزيتة فى شيخه أبى الحسن الشاذلى والتى مطلعها :

كتب المشيب بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرد

وقد اعتنى العقلاوى ، وهو من علماء أوائل القرن الحادى عشر بشرح الناحية الصوفية
فى هذه القصيدة .

٣ — المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية لإسماعيل النبهانى ، وقد وجدت فى هذه المجموعة
أن لامية البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود ، تختلف اختلافا كبيرا عن رواية الديوان
فى ترتيب أبيات القصيدة ، كما أن بها زيادة تقرب من خمسين بيتا ، فأنتيت بهذه الأبيات
الزائدة ووضعتها بين أقواس مشيرا فى الهامش إلى عدم ورودها فى أصل الديوان ، ولعل
معظم هذه الأبيات الزائدة ليست من شعر البوصيرى ، وإنما هى دخيلة عليه من تشطير
بعض الشعراء .

٤ — وانتفعت بكتب أخرى منها المخطوط ومنها المطبوع .

وقد رمزت لديوان البوصيرى نسخة دار الكتب بالحرف : « د » ، وللنسخة التيمورية
بالحرف : « ت » ، والمجموعة النبهانية بالحرف : « م » ، ولخطوط « البرد القشيب » بالحرف « ك » ،
وذكرت المراجع الأخرى بأسمائها .

ووجدت للبوصيرى شعرا لم يرد فى ديوانه ، بل ورد فى كتب أخرى ، فأثبتته مشيرا أمام
كل قصيدة إلى الموضع الذى نقلتها عنه .

ولا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى للسيد العالم الجليل أستاذى مصطفى السقا على
معونته التى أسداها إلى فى تحقيق هذا الديوان .

كما أشكر للسادة ناشرى هذا الديوان « أصحاب شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى
الحلبى وأولاده عظيم عنايتهم بإخراجه ، وتشجيعى على نشره بدارهم ، التى مازالت تعمل على
نشر نفائس الآداب العربية ، والثقافة الإسلامية منذ قرن من الزمان . وأخص بالذكر السيد
رسم الحلبى مدير المطبعة على معونته الفنية .

أما بعد ، فأرجو أن ينتفع القارئ بهذا الديوان ، والله الموفق .

محمد سيد كيمونى

القاهرة فى ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ
١٦ يوليو سنة ١٩٥٥ م

فهرس

الموضوع	الصفحة	العين
إهداء		٢٢٤
المقدمة	١	٢٣٠
قافية الهمزة		الفاء
يا سماء ما طاولتها سماء	١	١٢٧
الباء		الكاف
فاطلب الصبر واخل العتابا	٢٩	٢٣١
وتغتفر الخطايا والذنوب	٣٥	٢٣٢
خجلا يعنف نفسه ويؤنب	٤١	١٢٧
فأصبح منها كل قطر مطيبا	٤٨	١٧٢
الحيم		١٨٥
ومن عاب أشعاري فلا بد أن يهجا	٢٢٩	١٨٨
الحاء		١٨٩
لولاك ما غفر الذنوب مديح	٥٥	١٨٩
الذال		٢٣١
وللناس بالإحسان منك عوائد	٥٨	١٩٠
فليس لما أوليت من نعم حد	٦٣	٢٠١
بفضاء ما بيني وبين الخرد	٦٩	٢٠٧
فأخو السيادة أحمد بن محمد	٧٨	٢٠٨
وإنما الذنب لليهود	٨١	٢٢٦
رست سن بناء محكم فوق جلمود	٢٣١	٢٣٣
الراء		النون
وتوجه تلقاء بئر عماره	٨٢	٢٠٩
وطاب منه ومنك الأصل والثمر	٨٧	٢١٢
وبشرك للراجي نذاك بشير	٩٦	٢١٤
يصليل عداه أو بصير	١٠٦	٢١٨
ووجهك من شس الأصائل أنور	١١٠	٢٣٢
أيامه طائعة أمره	١١٧	٢٣٣
أفضل عندي من النصاري	١٢٠	٥١
والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا	٢٢٤	١٢٦
عينيه سرا أي سر	٢٢٩	١٨٦
وحياة السكلاب موت الحمير	٢٣٢	٢٢٤
السين		٢٢٧
فلطالما أنفست إليه العيسا	١٢٠	٢٢٨
والمثق في الجلود والباس	١٢٥	٢٢٩
فتنمى يا مهجتي بالباس	٢٣٠	٢٣٢
الطاء		٢٣٤
فبين الدهر منا موضع النلظ	٢٢٨	
فله كهف للأئمة جامع		٢٢٤
على له أبي إلا امتناعا		٢٣٠
أنكم رحم إليهم مرصفا		١٢٧
وأشبعوا الكافرين حكا		٢٣١
بجمل قدمت بين يديكا		٢٣٢
فأني أقل العالمين عقولا		١٢٧
وأنت عن كل ما قدمت مشول		١٧٢
فامدحه مرتجلا أو غير مرتجل		١٨٥
مثل خلق العشاق والعدال		١٨٨
جبلوا على التحريف والتبديل		١٨٩
ألغاطي له بأنه فاضل		١٨٩
تجنبه فيما يقول ويفعل		٢٣١
الميم		١٩٠
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم		٢٠١
وبجيرة فيها على كرام		٢٠٧
على غير الصراط المستقيم		٢٠٨
يرجي لدفع العظام		٢٢٦
محمد خير من يمشي على قدم		٢٣٣
ما بين كل العرب والعجم		٢٣٣
ويجاذبن من الشوق البرينا		٢٠٩
دون غيري والإلف للرحمن		٢١٢
فالكل قد غيروا وضع القوانين		٢١٤
فل أر فهم رجلا أمينا		٢١٨
لتصحح الأجسام والأبدانا		٢٣٢
بأن عبدك محتاج للقان		٢٣٣
المهاء		٥١
فليس بيني وبينها نسبة		١٢٦
آه وابعدنا علينا مسافة		١٨٦
وأراح قلبي من مكابدة الوله		٢٢٤
أخذني عن المذكور ما معناه		٢٢٧
والليل دجا من وفرته		٢٢٨
والتصابي بعد المشيب رعوته		٢٢٩
على حقوق الإخوان مؤتمنه		٢٣٢
الياء		٢٣٤
وصير حلها حد اليماي		٢٣٢
البوصيري في كتب التراجم		٢٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة ، الرُّحْلَةُ الفَهَامَةُ ، تاج الأدب ، وواحد الفضلاء ، مفيد الطالبين ، وعمدة المحققين ، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن حيَّان ابن صَهاج بن مَلاك الصَّنْهَاجِي الحَبْنُونِي البُوصِيرِي أَو البُوصِيرِي أَو البُوصِيرِي ، ثم الدَّلَاصِي رحمه الله^(١) ، يمدح سيد الكونين ، نبي الساعة ، وصاحب الشفاعة ، المخصوص بالمقام المحمود^(٢) ، والحوض المورود ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

كيف تَرَقَّى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءُ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عِلَّاكَ وَقَدْ حَا لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاهُ^(٣)
إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَلَتِ النُّجُومَ الْمَاءُ^(٤)

(١) ت : رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وبرد بشآبيب الرضوان مضاجعه ، يمدح سيد الأكوان ، وخلاصة
ابن عدنان .

(٢) ت : والآراء المعقود ، والحوض المورود ، صلى الله تعالى وسلم عليه ، وزاده شرفا وكرما لديه ، وآله
الطيبين ، وصحبه التابعين أجمعين آمين ، من الخفيف :
كيف ترقى رقيك الأنبياء إلى آخر القصيدة . . .
وقال عفا الله عنه من البسيط :

أمن تذكر جيران بذى سلم إلى آخر القصيدة . . .
وقال رحمه الله تعالى وأسكنه الجنة ، وهذه القصيدة سماها المخرج والمردود ، على التصاري واليهود ، وهي من الكامل :
جاء المسيح من الإله رسولا إلى آخر القصيدة . . .
وقال رضى الله عنه وأرضاه ؛ من الكامل :
أمدائح لى فيك أم تسبيح لولاك ما غفر الذنوب صفوح
وهذه القصيدة تبدأ النسخة التيمورية كما ذكرنا .
(٣) السنا : الضوء ، والسنا : الرفعة . (٤) مثلوا : صوروا .

أَنْتَ مُصْبِحُ كُلِّ فَاتَصَدَّرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءِ
لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ وَمِنْهَا لَأَدَمَ الْأَسْمَاءِ
لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَارُ لَكَ الْأَمَهَاتُ وَالْآبَاءُ
مَامَضَتْ فَرَقَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ
تَتَبَاهَى بِكَ الْعَصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلَيْهَا بَعْدَهَا عَلَيْهَا
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كَرَمَاءُ (١)
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ قَلَدَتْهَا نَجْمُهَا الْجُوزَاءُ (٢)
حَبِذَا عِقْدُ سُودُودٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَاءُ (٣)
وُحْيًا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيٌّ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ (٤)
لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدِّينِ سُرُورٌ يَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ (٥)
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْمَوَاقِفِ أَنْ قَدْ وَلِدَ الْمَصْطَفَى وَحَقَّ الْهِنَاءُ (٦)
وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْ لَا آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ (٧)
وَعَذَا كُلُّ بَيْتٍ نَارٍ وَفِيهِ كَرْبَةٌ مِنْ تُخُودِهَا وَبَلَاءُ
وَعِيونٌ لِلْفَرَسِ غَارَتْ فَهَلْ كَانَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ
مَوْلِدُكَ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءُ
فَهَيْئًا بِهِ لَأَمْنَةِ الْفَضْلِ الَّذِي شَرَّفَتْ بِهِ حَوَاءُ

(١) د : فتبدأ للوجود ، والتصحيح عن م . (٢) د : حسب . والتصحيح عن م .

(٣) العصاء : البيضاء .

(٤) أسفرت : أضاءت . والنزراء البيضاء المقمرة ، روى ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم .

(٥) ازدهاء : خفة الطرب . (٦) المواقف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه

(٧) د : تدعاء ، تدعى . والتصحيح عن م .

مَنْ لَحِوَاءِ أَنهَا حَلَّتْ أَحْمَدَ أَوْ أَنهَا بِهِ نَفْسَاهُ
 يَوْمَ نَالَتْ بَوْضِعِهِ ابْنَهُ وَهَبِ مِنْ فَخَّارٍ مَالِمْ تَنَلَهُ النَّسَاءُ
 وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا حَلَّتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعِذْرَاءُ
 شَمَّتَتْهُ الْأَمْلاَكُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَّتْنَا بِقَوْلِهَا الشِّفَاءُ^(١)
 رَافِعًا رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْعِ إِلَى كُلِّ سُودُودٍ إِيْمَاءُ^(٢)
 رَامِقًا طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرْمَى عَيْنٍ مِنْ شَأْنِهِ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ^(٣)
 وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النَّجُومِ إِلَيْهِ فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الْأَرْجَاءُ
 وَتَرَأَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّوْمِ يَرَاهَا مِنْ دَارِهِ الْبَطْحَاءُ^(٤)
 وَبَدَتْ فِي رِضَاعِهِ مُعْجَزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءُ
 إِذْ أَبَتْهُ لِيَتِمُّهُ مَرْضِعَاتٌ قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عِنَا غَفَاءُ
 فَاتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبْتَهَا لِفَقْرِهَا الرِّضَاعَاءُ
 أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وَبَيْنَهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ
 أَصْبَحَتْ شَوْلًا عَجَافًا وَأَمْسَتْ مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجَفَاءُ^(٥)
 أَخْضَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحَلٍّ إِذْ غَدَاَ لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ
 يَاهَا مِثَّةٌ لَقَدْ ضَوْعِفَ الْأَجْرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ
 وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهُ أَنْاسًا لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعْدَاءُ

(١) التشميت : أن يقال للعاطس : رحمك الله ، والشفاء : قابلية النبي ، أم عبد الرحمن بن هوف .

(٢) إيماء : إشارة . (٣) الرامق : الناظر .

(٤) البطحاء : مكة . (٥) الشائل : التي جف لبنها . والمجفء : الهزيلة .

حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ لَدَيْهِ يَنْتَشِرُ الضُّعْفُ^(١)
وَأَنْتَ جَدُّهُ وَقَدْ فَصَلْتَهُ وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبَرْحَاءُ^(٢)
إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فَظَنَّتْ بَأَنَّهُمْ قُرْنَاءُ^(٣)
وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنْ الْوَجْدِ لَهَيْبٌ تَصَلَّى بِهِ الْأَخْشَاءُ^(٤)
فَارْقَتْهُ كُرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا ثَاوِيًا لَا يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(٥)
شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً عِنْدَ غَسَلِهِ سَوْدَاءُ
خَمَمَتُهُ يُعْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ دَرَعَ مَالِمٌ تَدْعُ لَهُ أَنْبَاءُ^(٦)
صَانَ أَسْرَارَهُ اخْتِامُ فَلَا الْقَضُ ضُ مُلِمٌ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ^(٧)
أَلِفَ النَّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخُلُوعَ طِفْلًا وَهَكَذَا النُّجَبَاءُ
وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ
بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهُبَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ
تَطَرَّدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ لَلَسَّمْعِ كَمَا تَطَرَّدُ الذَّنَابُ الرِّعَاءُ
فَمَحَتْ آيَةُ الْكَهَانَةِ آيَاتُ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهُنَّ الْأَحْيَاءُ
وَرَأَتْهُ خَدِيجَةُ وَالتَّقَى وَالزُّهْدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ
وَأَتَاهَا أَنْ الْغَمَامَةُ وَالسَّرْحُ أَظْلَمَتْهُ مِنْهَا أَفْيَاءُ^(٨)
وَأَحَادِيثُ أَنْ وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ

(١) د : الضعف ، والتصحيح عن م . والعصف : ورق النبات اليابس . يستشرف : يتطلع .

(٢) للبرحاء : شدة الأذى . (٣) قرناء : شياطين . (٤) تصلى : تحرق .

(٥) الثوواء : الإقامة . (٦) الأمين : جبريل . (٧) الفضى : الكسر . والإفضاء : الإشاعة

(٨) السرح : الشجر الكبير . والأفْيَاء : جمع فء ، وهو الغطلى .

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحْسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءَ
وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرِئِيلُ وَلِذِي اللَّبِّ فِي الْأُمُورِ ارْتِيَاءُ^(١)
فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْحَجَارَ لَتَدْرِي أَهْوَى الْوَحْيُ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ
فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جَبْرِئِيلُ فَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْغِطَاءُ
فَاسْتَبَانَ خَدِيجَةً أَنَّهُ الْكَذُّ زُ الَّذِي حَاوَلَتْهُ وَالْكِيَمِيَاءُ^(٢)
ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِي الْكُفْرِ نَجْدَةً وَإِبَاءً^(٣)
أَمَّا أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ فَدَاهِ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءُ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ
رَبِّ إِنَّ الْهُدَى هَذَاكَ وَآيَا تَكَ نَوْرٌ تَهْدِي بِهَا مِنْ تَشَاءُ
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أَلْهِمَ مَا لَيْسَ يُلْهِمُ الْعُقْلَاءُ
إِذَا أَبَى الْقَيْلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الْقَيْلِ وَلَمْ يَنْفَعِ الْحِجَابُ وَالذِّكَا
وَالْجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أَخْبَسَ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الْفُصْحَاءُ
وَنَجَّ قَوْمَ جَفَوًا نَبِيًّا بِأَرْضِ أَلْفَتْهُ ضِبابُهَا وَالظَّبَّاءُ
وَسَلَوَهُ وَحَنَّ جِدْعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوَهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَاءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَّاهُ غَارٌ وَحَمَّتْهُ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ
وَكَفَّتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ مَا كَفَّتْهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ^(٤)
وَاخْتَفَى مِنْهُمْ عَلَى قُرْبٍ مَرَّآ هُ مِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَلْفَاءُ

(١) ارْتِيَاءُ : تَفَكَّرَ .

(٢) الْكِيَمِيَاءُ : الْإِكْسِيرُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى النَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرُ ، فَيَقْلِبُهُ ذَهَبًا ، كَمَا يَزْعُمُ الْقَدَمَاءُ .

(٣) النَّجْدَةُ : الشَّدَّةُ .

(٤) الْحَصْدَاءُ : كَثِيرَةُ الرِّيشِ .

ونحاً المصطفى المدينة واشتاقت إليه من مكة الأنحاء
وتغنت بمدحه الجئن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء
واقفى إثره سراقه فاستهوتته في الأرض صافين جرداء^(١)
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجذ الغريق النداء^(٢)
فظوى الأرض سائرا والسماوات الفلا فوقها له إسراء^(٣)
فصيف الليلة التي كان للخنطار فيها على البراق استواء
وترقى به إلى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء^(٤)
رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكرا إذ أتمته من رب النعماء
وتحدى فارتاب كل مريب أو يبق مع السؤل الفناء^(٥)
وهو يدعو إلى الإله وإن شق عليه كفر به وازدراء
ويدل الورى على الله بالتو حيد وهو المحجة البيضاء^(٦)
فبما رحمة من الله لانت صخرة من إياهم صماء
واستجاب له بنصر وفتح بعد ذلك الخضر والغبراء^(٧)
وأطاعت لأمره العرب العزباء والجاهلية الجاهلاء
وتوات المصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشفواء

(١) استهوتته : هوت به . الصافين : الفرس الكريم . جرداء : قصيرة الشعر .

(٢) سيمت الخسف : أى قاربت الفرس أن تخسف بها ، وتغوص في الأرض ، وكانت غاصت إلى ركبتها .

(٣) طوى : قطع . استواء : استقرار .

(٤) قاب قوسين : ما بين مقبضها عند الرى ، وهو وسطها وبين آخرها ، أى اهل الذى يشد فيه الوتر . فلكل

نوس قابان : والقعساء : الثابتة الدائمة . (٥) الفناء : القش على وجه السيل .

(٦) المحجة : الطريقة . (٧) الخضر : السماء .

فَإِذَا مَا تَلَا كِتَابًا مِنَ اللَّهِ تَلْتَهُ كَتِيبَةً خَضَاءَ^(١)
 وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَاهُ
 وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فِتْنَاءِ السَّبْئِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءٌ
 خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أَصَابُوا بِدَاءِ وَالرَّذَى مِنْ جُنُودِهِ الْأُدْوَاءُ
 فَذَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ * عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ
 (وَذَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّذَى اسْتِسْقَاءً)^(٢)
 وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَذَشَةً سَنَهُمْ قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ
 وَقَضَّتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَالَا صَيَّ فَتَلَّوْا النَّقْعَةَ الشُّوكَاءَ^(٣)
 وَعَلَا الْحَارِثَ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَالَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوِعَاءُ
 خَمْسَةٌ طَهَّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْضَ ضُفْكَفُ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءٌ
 فَذِيَتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْخَمْسَةِ إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فِدَاءُ
 فَتِيَّةٌ يَبْتَئُونَ عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ حَمْدُ الصَّبْحِ أَمْرُهُمُ وَالْمَسَاءُ
 يَا لِأَمْرِ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ زَمَعَةٌ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَتَاءُ
 وَزُهَيْرٌ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا
 نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَدَّتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ^(٤)
 أَذْكَرْتَنَا بِأَكْلِهَا كُلِّ مَنْسَا قِ سُلَيْمَانَ الْأَرْضُضَةَ الْخُرْسَاءُ^(٥)

(١) الكتبية الخضراء: المدمجة بالسلح . (٢) هذا البيت ساقط من د ، ومثبت في م ،

(٣) النقعة : الموت والشوكاء : الخشنه .

(٤) الصحيفة: التي تعاهد فيها الكفار على مقاطعة بني هاشم . شدت : هممت . الأنداء : جمع نادى ، أى من فيها .

(٥) المنساء : العصا . . والأرضة الدويبة التي تأكل الورق والخشب .

وبها أَخْبَرَ النَّبِيَّ وَكَمْ أَخَذَ خَبِيثًا لَهُ النَّيُّوبُ خَبَاءً^(١)
 لَا تَخْلُ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَامًا حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمُ الْأَسْوَاءُ
 كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالشَّدَّةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرَّخَاءُ
 لَوْ يَمَسُّ النَّضَارَ هُونٌ مِنَ النَّارِ لِمَا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاةُ^(٢)
 كَمْ يَدُّ عَنِ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ فِي الْخَلْقِ كَثْرَةً وَاجْتِرَاءً
 إِذْ دَعَا وَحْدَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ مُقَلَّةٍ أَفْذَاهُ
 هَمٌّ قَوْمٌ يَقْتُلُهُ فَأَبَى السَّيِّئُ فُ وِفَاءٌ وَفَاءَتِ الصَّفْوَاءُ^(٣)
 وَأَبْجَهْلُ أَدْ رَأَى عُنُقُ الْفَخْلِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعِنَقَاءُ
 وَاقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الْإِرَاشِيِّ وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشَّرَاءُ^(٤)
 وَرَأَى الْمَصْطَفَى أَنَاهُ بِمَا لَمْ يُنْجِ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ
 هُوَ مَا قَدْ رَأَاهُ مِنْ قَبْلُ لَكِنْ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ
 وَأَعَدَّتْ حِمَالَةُ الْحَطَبِ الْفَهْرَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهُا الْوَرْقَاءُ^(٥)
 يَوْمَ جَاءَتْ غَضَبِي تَقُولُ أَفَى مِثْلِي مِنْ أَحَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ^(٦)
 وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيْسَنِ تَرَى الشَّمْسَ مُقَلَّةً عَمِيَاءُ
 ثُمَّ سَمَتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّاةُ وَكَمْ سَامَ الشَّقْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ
 فَأَذَاعَ الذَّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ يَنْطُقِي إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ

(١) الخب : الخبيأ . والخبأ : بيت من الشعر .

(٢) الهون : الإهانة . والصلاة : الوضع على النار .

(٣) فاءت : رجعت . والصفاة : الحجارة ، جمع صفاة .

(٤) اقتضاه : طلب منه . والإراشي : رجل باع أبا جهل إبلا ، فاطله في دفع ثمنها .

(٥) حمالة الحطب : زوجة أبي لب . والفهر : الحجر الذي يملأ الكف . والورقاء : الهامة .

(٦) إشارة إلى ما ورد في سورة تبت .

وَيُخَلِّقُ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ لَمْ تُقَاصَصْ بِجِرْحِهَا الْعَجْمَاءُ^(١)
 مِنْ فَضْلًا عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَانَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رِبَاءٌ^(٢)
 وَأَتَى السَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ وَضَعَ الْكَفْرُ قَدْرَهَا وَالسَّبَاءُ^(٣)
 سَفَاهَا رِبًّا تَوَهَّتِ النَّاسُ بِهِ أَلَمَّا السَّبَاءُ هِدَاءُ^(٤)
 بَسَطَ الْمَصْطَفَى لَهَا مِنْ رِداءٍ أَيْ فَضْلَ حَوَاهُ ذَلِكَ الرِّداءُ
 فَفَدَّتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النِّسْوَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ
 فَتَنَزَّهَتْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ اسْتِمَاعًا إِنَّ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ^(٥)
 وَأَمَّا السَّمْعَ مِنْ مُحَاسِنَ يُمْلِيهَا عَلَيْكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ
 كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءً
 سَيِّدُ ضَحْكِهِ التَّبَسُّمُ وَاللَّشَى الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ
 مَا سِوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا غَيْرَ مُحْيَاهُ الرِّوَضَةُ الْغَنَاءُ
 رَحْمَةُ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَغَزْمٌ وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ
 لَا تَحُلُّ الْبُاسَاءُ مِنْهُ عُرَا الصَّبْرِ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ السَّرَّاءُ
 كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ
 عَظُمَتْ نِعْمَتُهُ الْإِلَهَ عَلَيْهِ فَاسْتَقَلَّتْ لِذِكْرِهِ الْعُظَمَاءُ
 جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخُو الْحِلْمِ دَأْبُهُ الْإِغْضَاءُ
 وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهُوَ بِجُرْحٍ لَمْ تُعْفِهِ الْأَعْبَاءُ

(١) لم تقاصص : لم يقتصر منها . والعجاء : البهيمة . (٢) الرباء : القرية .

(٣) أخت رضاع : هي الشيماء أخت النبي من الرضاع .

(٤) حباها : أعطاه . والهداء : تقديم الدروس إلى زوجها . (٥) الاجتلاء : النظر .

مستقلٌ دُنيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْكَ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ
 شمسُ فضلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ
 فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَا نَوْرُهُ الظُّلُّ وَقَدْ أَثْبَتَ الظَّلَالُ الضَّحَاءُ ^(١)
 فَكَانَ الْعِمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ مَنْ أَظْلَتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفْعَاءُ ^(٢)
 خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا بَتَّ بِهِ عَنْ عَقُولِنَا الْأَهْوَاءُ
 أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنَّجُومِ تَجَلَّى أَمَّ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ
 مُعْجَزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْخُلَا قِ وَالْخَلْقِ مُقْسِطُ مِيعَاءُ
 لَا تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ ^(٣)
 كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ مِنْ فَضْلِ النَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ الْفَضْلَاءُ
 شَوْقٌ عَنْ صَدْرِهِ وَشَوْقٌ لَهُ الْبَدَّ رُومِنْ شَرْطٍ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءُ ^(٤)
 وَرَمَى بِالْحَصَى فَاقْصَدَ جَنِشًا مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ ^(٥)
 وَدَعَا لِلْأَنَامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهَاءُ ^(٦)
 فَاسْتَهَلَّتْ بِالغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ ^(٧)
 تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّغْيِ وَالسَّقَايِ وَحَيْثُ الْعِطَاشُ تُوَهَّى السَّقَاءُ ^(٨)
 وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا وَرَخَاءٌ يُؤْذِي الْأَنَامَ غَلَاءُ
 فَدَعَا فَانْجَلَى الْغَمَامُ فَقُلْ فِي وَصْفٍ غَيْثٍ إِقْلَاعُهُ اسْتِسْقَاءُ
 ثُمَّ أَثَرَى التَّرَى فَقَرَّتْ عُيُونٌ بِقَرَاهَا وَأُحْيِيَتْ أَحْيَاءُ ^(٩)

- (١) ضحا : ظهر نوره للشمس . (٢) الدفعا : المراد بهم الجماعة من أصحاب الرسول يسرون معه .
 (٣) الإضاء : جمع إضاءة ، وهي الغدران . (٤) الشرط : الشق . والخزاء ما يجزى به ، وفي كل منهما تورية .
 (٥) أقصد : أصاب . العصا : قصد بها عصا موسى . (٦) الشهباء : المجلبة .
 (٧) استهلت : أمطرت . وطفاء : مسترخية الجوانب لكثرة ماها .
 (٨) تتحرى : تتبع . والسقاء : القرية . (٩) الأحياء : القبائل .

فَتَرَى الْأَرْضَ غِيبَهُ كَسَاءُ أَشْرَقَتْ مِنْ نَجْوَمِهَا الظُّلُمَاءُ
تُخْجِلُ الدَّرَّ وَالْيَوَاقِيتَ مِنْ نَوَ رُبَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحُمْرَاءُ
لَيْتَهُ خَصَنِي بِرُؤْيَا وَجْهِ زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَأَى الشَّقَاءُ
مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الْكَتِيبَةَ بَسًا مَا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءُ^(١)
جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ فَاهْتَزَّ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءُ
مُظْهِرِ شَجَّةِ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرِّ كَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبَرَاءُ^(٢)
سُتِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجَبَ لِحَالِ لَهُ الْجَمَالُ وَقَاءُ
فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجْفِ الْأَكْ حَامٍ وَالْعُودِ شَقٍّ عَنْهُ اللَّحَاءُ^(٣)
كَأَدَّ أَنْ يُغَشِّيَ الْعُمُودَ سَنًا مِنْهُ لِسِرِّ فِيهِ حَكَّتُهُ ذُكَا
صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تَظْهَرَ فِيهِ آثَارُهَا الْبُاسَاءُ
وَتَحَالُ الْوُجُوهَ إِنْ قَابَلَتْهُ أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحِرَاءُ
فَإِذَا شِمَتْ بِشَرِّهِ وَنَدَاهُ أَذْهَلَتْكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ
أَوْ بِتَقْبِيلِ رَاحَةٍ كَانَتْ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ أَخَذَهَا وَالْعَطَاءُ
تَتَقَّى بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَتَحْطَى بِالْفَنَى مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءُ
لَا تَسَلُّ سَيْلَ جُودِهَا إِنَّمَا يَكُ فَيْكِ مِنْ وَكْفٍ سُحْبِهَا الْأَنْدَاءُ^(٤)
دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا فَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَتَمَاءُ
نَبَعَ الْمَاءُ أَثْمَرَ النَّخْلُ فِي عَا مَ بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الْخُصْبَاءُ

(١) أسهم : غير .

(٢) شجة الجبين : جرحه ، وقد شج جبين النبي في غزوة أحد . والبراء : أول ليلة من الشهر .

(٣) السجف : السمر . والأكمام جمع كم : وهو وعاء الزهر . واللحاء : قشر الشجر .

(٤) الوكف : المطر الشديد .

أَحْيَتِ الرُّمَّانَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ أَعَوَزَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاهُ ^(١)
فَتَغَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِياعٌ وَتَرَوَى بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظِلْمَاهُ
وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ دَيْنَ سَلَمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ
كَانَ يُدْعَى قِنًا فَأُعْتِقَ لَمَّا أُيْنَعَتْ مِنْ نَحْيِلِهِ الْأَفْنَاءُ ^(٢)
أَفَلَا تَعْدُرُونَ سَلَمَانَ لَمَّا أَنْ عَرَّتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرُوءُ ^(٣)
وَأَزَالَتْ بِلِسِّهَا كُلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْهُ أَطِبَّةٌ وَإِسَاءُ
وَعُمُيُونَ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ
وَأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنًا فَهِيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ ^(٤)
أَوْ يَلِثْكُمْ التُّرَابُ مِنْ قَدَمٍ لَا نَتُّ حَيَاءٍ مِنْ مَشْيِهَا الصَّفَوَاءُ
مَوْطِئُ الْأَخْمَصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْبِ إِذَا مَضَجَعِي أَقْضَى وَطَاءُ ^(٥)
حَظِيَّ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِمَشَا هَا وَلَمْ يَنْسُ حَظَّهُ إِبِلِيَاءُ ^(٦)
وَرِمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظَلَمَ إِلَهٍ لِي إِلَى اللَّهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ
دَمِيتُ فِي الْوَعْيِ لِتَكْسِبَ طَيْبًا مَا أَرَأَيْتُ مِنَ الدَّمِ الشُّهْدَاءُ
فَهِيَ قُطْبُ الْحَرَابِ وَالْحَرْبِ كَمَا رَتَّ عَلَيْهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءِ ^(٧)
وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسَكَّنْ بِهَا قَبْرُ لِي حِرَاءُ مَا جَتَّ بِهِ الدَّامَاءُ ^(٨)
عَجَبًا لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ

(١) المرملون : الذين لا زاد لهم . والجهد : القحط الشديد .

(٢) القن : الرقيق . والأقناء : جمع قن ، وهو عذق النخلة الذي يحمل الثمر .

(٣) العرواء : رعدة الحمى . (٤) النجلاء : الواسعة .

(٥) الأخمص : أسفل القدم . وطاء : فراش . (٦) إيلياء : بيت المقدس .

(٧) أرحاء : طواحين . (٨) الدماء : البحر .

والذى يسألون منه كتابٌ مُنَزَّلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وارتقاء
أولم يَكْفِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذِكْرٌ فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءٌ
أَعْجَزَ الْإِنْسَ آيَةٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ فَهَلَّا يَأْتِي بِهَا الْبُلْغَاءُ
كُلَّ يَوْمٍ تُهْدَى إِلَى سَامِعِيهِ مُعْجَزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرْآنِ
تَتَحَلَّى بِهِ الْمَسَامِعُ وَالْأَفْسُوَاءُ فَهَوَّ الْحِلْيُ وَالْحُلُوءُ^(١)
رَقَّ لَفْظًا وَرَاقَ مَعْنَى فَجَاءَتْ فِي حُلَاهَا وَحَلِيهَا الْخُلْسَاءُ
وَأَرْتَنَّا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلِ رِقَّةٍ مِنْ زُلَاهَا وَصَفَاءِ
إِنَّمَا تُجْتَلَى الْوُجُوهُ إِذَا مَا جُلِيَتْ عَنْ مِرْآةَيْهَا الْأَصْدَاءُ
سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُورًا مِنَّا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النَّظَرَاءِ^(٢)
وَالْأَقْوِيلُ عِنْدَهُمْ كَالْتِمَائِلِ فَلَا يُؤْهِمُكَ الْخَطْبَاءُ
كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ عَنْ حُرُوفِ أَبَانَ عَنْهَا الْهَجَاءُ^(٣)
فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزَّرَّاعَ مِنْهُ سَنَابِلُ وَزَكَاهُ^(٤)
فَأَطَالُوا فِيهِ التَّرْدَدَ وَالزَّيْبَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ
وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فَالْتِمَسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ
وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْمٍ فَمَاذَا تَقُولُهُ النَّصَحَاءُ
قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى بِالَّذِي عَامَلْتُمْ الْخُنَفَاءُ^(٥)
صَدَقُوا كُتِبَ كُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتِبَ بِهِمْ إِنَّ ذَا لَبِئْسَ الْبَوَاءُ^(٦)

(١) تتحل: من الحلوى والحلوى، ففيه تورية . (٢) النظائر والنظراء: الذين يشبه بعضهم بعضا .

(٣) الهجاء: التهجي . (٤) الزكاه: النماء .

(٥) الخنفاء: المسلمون. يقول: إن المسلمين صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم . (٦) البواء: المسكافاة .

نَوَجِّدُنَا جُحُودَكُمْ لَاسْتَوِينَا أَوْ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتَوَاهُ
 مَا لَكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنْتُمْ لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ
 يَحْسُدُ الْأَوَّلُ الْأَخِيرَ وَمَاذَا لَكُمْ كَذَا الْمُحَدِّثُونَ وَالْقَدَمَاءُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ يَظْلِمُ قَائِلُ هَائِلٍ وَمُظْلُومُ الْإِخْوَةِ الْأَنْقِيَاءُ
 وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أُنْبَاءِ يَعْقُوبَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلَحَاءُ
 حِينَ الْقَوَّةِ فِي غِيَابَةِ جُوبِ وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ
 فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلَمْتُمْ فَالْتَأَسَّى لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ ^(١)
 أَنْتَرَاكُمْ وَفَنِمْتُمْ حِينَ خَانُوا أَمْ تَرَاكُمْ أَحْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاءُوا
 بَلْ تَمَادَّتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا ۖ تَقَفَّتْ آثَارَهَا الْأَبْنَاءُ ^(٢)
 بَيْنَتُهُ تَوَرَّاهُمْ وَالْأَنْجِيلُ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ ^(٣)
 إِنَّ تَقُولُوا مَا بَيْنَتُهُ فَارَا لَتَبَا عَنْ عِيُونِهِمْ غَشَوَاءُ ^(٤)
 أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيْنَتُهُ فَا لِّلْأُذُنِ عَمَّا تَقُولُهُ عَمَاءُ
 عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظُلُمًا كَتَمَتُهُ الشَّهَادَةُ الشَّهَدَاءُ
 أَوْ نُورُ الْإِلَهِ تَطْفِئُهُ الْأَفْسَادُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ
 أَوْ لَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ
 وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَقَدْ طَلَّتْ دِمَا مِنْهُمْ وَصَيَّنَتْ دِمَاءُ ^(٥)
 كَيْفَ يَهْدِي الْإِلَهِ مِنْهُمْ قُلُوبًا حَشَوُهَا مِنْ حَبِيدِهِ الْبَغَضَاءُ

(١) تأسوا : اقتدوا . (٢) تمادت : استمرت . وتقفت : تابعت .

(٣) الضمير في بينته : راجع على النبي محمد صلى الله عليه وسلم . (٤) غشواء : ظلمة . (٥) طلَّت : أهدرت .

خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَيْمَنِ أَنَا كُمْ تَبْلِيغُكُمْ وَالْبَدَاءُ^(١)
 مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ وَاعْتِقَادٌ لَانَصِّ فِيهِ ادِّعَاءُ
 وَالِدَعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاوُهَا أَدْعِيَاءُ^(٢)
 لَيْتَ شَعْرَى ذِكْرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا حِدِ نَقْصٌ فِي عَدِّكُمْ أَمْ تَمَاءُ
 كَيْفَ وَحَدَّثْتُمْ إِلَٰهًا نَفَى التَّو حِيدَ عَنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
 إِلَٰهٌ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا بِاللَّهِ لَذَاتِهِ أَجْزَاءُ
 الْكُلِّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَهَلَّا تَمَيَّزُ الْأَنْصِبَاءُ
 أَمْ هُمْ حَلَّلُوا بِهَا شَرَكَةَ الْأَبْدَانِ أَمْ هُمْ لِبَعْضِهِمْ كُفْلَاءُ
 أَتَرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ خَلَطُوهَا وَمَا بَقِيَ الْخُلَطَاءُ^(٣)
 أَهْوُ الرَّاكِبُ الْحَمَارَ فَيَاغْجَزُ إِلَٰهٌ يَمْتَنُهُ الْإِعْيَاءُ
 أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحَمَارِ لَقَدْ جَلَّ جَمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَاءُ
 أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ إِلَٰهٌ فَمَا نِسَبُهُ عِيسَى إِلَيْهِ وَالْإِنْتِمَاءُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلَمْ تُخَصِّصْ ثَلَاثٌ بِوصْفِهِ وَثْنَاءُ
 أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَتَهُ فِي مَعَانِي النُّبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءُ
 قَتَلَتْهُ الْيَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ
 إِنْ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا لِقَوْلِهِ هَرَاءُ
 مِثْلَ مَا قَالَتْ الْيَهُودُ وَكُلُّ لَزِمَتُهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ
 إِذْ هُمْ اسْتَفَرَّوْا الْبَدَاءَ وَكَمْ سَا قَ وَبَالًا إِلَيْهِمْ اسْتِفْرَاءُ

(١) البداء: هو ظهور مصلحة لله في شيء بعد خفائها عنه . (٢) يقول إن هذه الدعاوى باطلة .

(٣) الخلطاء : الشركاء .

وَأَرَاهِمُ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ فِي الْخَلْقِ فَاعْلَامًا مَا يَشَاءُ
 جَوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَمَا جَوَّزُوا الْمَسْخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فَقَّهَاءُ^(١)
 هُوَ إِلَّا أَن يُرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُكْمِ وَخَلَقَ فِيهِ وَأَمْرًا سِوَاهُ
 وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءُ وَالْحُكْمُ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءُ
 فَسَلُومُ أَكَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْخُ لآيَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْشَاءُ
 وَبَدَأَ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاةُ
 أَمْ حَاكَ اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذُكْرًا بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجِدَ الْإِنْسَاءَ^(٢)
 أَمْ بَدَأَ لِلَّهِ فِي ذَنْبِ إِسْحَا قَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاهُ
 أَوْ مَا حَرَّمَ لِلَّهِ نِكَاحَ الْأَخْتِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزَّانَا
 لَا تُكَذِّبُ إِنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا غُوا عَنْ الْحَقِّ مَعَشَرٌ لُؤْمَاءُ
 جَعَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا غُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ
 قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ
 وَسَفِيهُ مِنْ سَاءِ النَّاسِ وَالسَّلَاسَى وَأَرْضَاهُ الْقَوْمُ وَالْقِتَاءُ^(٣)
 مُلِئَتْ بِالْغِلْبَةِ مِنْهُمْ بَطُونٌ فَهِيَ نَارٌ طَبَاقُهَا الْأَمْعَاءُ
 لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالِ سَبْتٍ بِخَيْرٍ كَانَ سَبْتًا لَدَيْهِمْ الْأَرْبَعَاءُ^(٤)
 هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْرِيفِ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ^(٥)

(١) النسخ: تبديل الحكم. والمسح: تبديل الصورة. يقول إن جواز المسح، وقد وقع من اليهود، يستلزم جواز النسخ الذي ينكرونه. (٢) ذكر بضم الذال: علم.

(٣) المن: الترجيع، وهو حلوكان ينزل على بني إسرائيل في لثني من السماء. والسلاوى: طير السمان. والقوم: الثوم.

(٤) السبت: معناه القطع. والأربعاء: هو اليوم الذي خلق الله فيه النور.

(٥) هو راجع على السبت. والتصريف: البيع والشراء.

فَيُظْلَمُ مِنْهُمْ وَكَفَرِ عَدَّتَهُمْ طَيِّبَاتٌ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءً^(١)
خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَنْفَعُ إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ^(٢)
وَاطْمَأْنَوْا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَانِهِمْ إِنَّا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ
حَالِقُوهُمْ وَخَالِقُوهُمْ وَلَمْ أَذَرِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْخُلَفَاءُ
أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَا مِمَّا عَادَهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِيلَاءُ^(٣)
سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوبًا وَبَيُّنَا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ
وَبَيْنَ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ فِيهِمْ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ
وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعُدُوءُ^(٤)
وَنَهَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ فَأَيَّدَ الْأَمَارُ وَالنَّهْيُ
وَتَعَاطَوْا فِي أَحَدِهِ مُنْكَرَ الْقَوْلِ لِي وَنَطَقُوا الْأَرَاذِلَ الْقَوَرَاءُ
كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ الشُّوْءَ وَسَفَاهَا وَالْمِلَّةُ الْفَوْجَاءُ
فَانظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْمِ وَمَا سَاقَ لِلْبَذَى الْبَذَاءُ
وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سُمًّا وَلَمْ يَذَرِ إِذِ الْمَيْمُ فِي مَوَاضِعَ بَاءٍ
كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ فَهُوَ فِي سُوءٍ فَعَلَهُ الرَّبَّاءُ
أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرَصُهَا يَجْلِبُ الْخُتْفَ إِلَيْهَا وَمَا لَهُ إِلَّا نَكَاءُ^(٥)
صَرَغَتْ قَوْمُهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالْدَّهَاءُ
فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَحْتًا لُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَعْيِ خِيَلَاءُ

(١) عدتهم : فاتتهم . (٢) يقول إن اليهود خدعهم المنافقون من الأوس والخزرج .

(٣) أسلم المنافقون اليهود في أول حشرهم ، أي جمعهم وإجلالهم من جزيرة العرب إلى الشام . والميعاد : الموعد .

(٤) العدواء : الهلاك .

(٥) الإنكاء : التأثير القوي .

قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَّافِي الطَّنِّ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِيْطَاءُ^(١)
وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعًا ظَنَّ أَنَّ الْعُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءَ
أَحْجَمَتْ عَنْدَهُ الْحُجُونَ وَأَكْدَى عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كَدَاءَ
وَدَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبِيُوْتًا مِلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءَ وَالْإِقْوَاءَ^(٢)
فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالْإِغْضَاءُ
نَاشِدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ قَطَعَتْهَا التَّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ^(٣)
فَعَقَا عَفْوٌ قَادِرٍ لَمْ يُنْقَضْهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ
وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ
وَسِوَاهُ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ
وَلَوْ أَنَّ انتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ
قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى اللَّهُ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ
فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْضَحُ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ الْإِنَاءُ
أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ عُلَاهُ يَا لِرَّاحِ مَا لَتْ بِهَا النَّدْمَاءُ
النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَعْلَمُ مَنْ أَسْنَدَ عَنْهُ الرِّوَاةُ وَالْحِكْمَاءُ
وَعَدَّتْنِي أَرْذِيَارُهُ الْعَامَ وَجَنَّا ۖ وَمَنْتَ بِوَعْدِهَا الْوَجْنَاءُ

(١) قصدت : أرادت الطمن . وقصدت من التصيد وهو الشعر ، ففيه تورية . والقافية بمعنى آخر البيت ، وبمعنى ماورداء المنق ، ففيه تورية . والإيطاء : تكرير القافية في الشعر ، وتتابع الطمن هنا على المحاز ، ففيه تورية .
(٢) الإكفاء في الشعر : المخالفة بين حروف أو آخره . ومعناه هنا : انكفاء تلك الوجوه على الناس لتحميمها .
والإقواء في الشعر اختلاف حركات إعراب روى القافية بين رفع وخفض . ومعناه كذلك خلو الدار من السكان ، فهي كلتا الكلمتين تورية . (٣) الترات جمع ترة : وهي النار .

أَفَلَا أَنْطَوِي لَهَا فِي أَقْتَضَائِهِ لِتُطَوِي مَا يَمْنَنَّا الْإِفْلَاءُ^(١)
 بِأُتُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْفِلُهَا النَّيْلُ وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِظْمَاءُ^(٢)
 أَنْكَرَتْ مِصْرَ فَهِيَ تَنْفَرُ مَا لَا حَ بَنَاءَ لِعَيْنِهَا أَوْ خَلَاءَ
 فَأَقْضَتْ عَلَى مَبَارِكِهَا بَرٍّ كَتَمَهَا فَالْبُؤْيُبُ فَالْخَضْرَاءُ^(٣)
 فَالْقَبَابُ الَّتِي تَلِيهَا فَيُثْرُ السَّخْلُ وَالرَّكْبُ قَانُلُونَ رِوَاءَ
 وَغَدَتْ أَيْلَةً وَحِقْلٌ وَقُرٌّ خَلْفَهَا فَالْمَعَارَةُ الْفَيْجَاءُ
 فَعِيُونُ الْأَقْصَابِ يَتَّبِعُهَا النَّبْكَ وَيَتْلُو كُفَّافَةُ الْعَوْجَاءِ
 حَاوَرَتْهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقًا فَيَنْبُو عٌ فَرَقَّ التَّيْمُوعُ وَالْحَوْرَاءُ
 لَاحَ بِالْدَّهْنَوَيْنِ بَدَرُهَا بَعْدَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ
 وَنَضَتْ بَرْوَةً فَرَابِغُ فَالْجُفَّةُ عَنْهَا مَا حَاكَه الْإِنْضَاءُ^(٤)
 وَأَرْسَمَهَا اخْتِلَاصَ بَثْرٌ عَلَى فَعَقَابُ السَّوِيْقِ فَالْخُلْصَاءُ
 فَهِيَ مِنْ مَاءِ بَثْرِ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ بَطْنِ مَرٍّ ظَمَانَةٌ خَمَصَاءُ^(٥)
 قَرَبَ الزَّاهِرِ الْمَسَاجِدُ مِنْهَا بُخْطَاهَا فَالْبُطْطُ مِنْهَا وَحَاءُ^(٦)
 هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَمَّا عُدَّ فِيهِ السَّمَاءُ وَالْعَوَاءُ^(٧)
 فَكَأَنِّي بِهَا أُرْحَلُ مِنْ مَكَّةَ شَمْسًا سَمَاوُهَا الْبَيْدَاءُ
 مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى الرَّسْلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ
 حَيْثُ فُرُضَ الطَّوَافُ وَالسَّعْيُ وَالْخَلْقُ وَرَنَى الْجِمَارُ وَالْإِهْدَاءُ
 حَبْدًا حَبْدًا مَعَاهِدُ مِنْهَا لَمْ يُغَيَّرْ آيَاتُهَا الْبِلَاءُ

(١) أضْمَ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْوَجْنَاءِ . (٢) يُجْفِلُهَا : يَزْعِجُهَا . وَشَفَّ : أَعْمَلَ .

(٣) الْبَرَكَةُ وَمَا يَمْلِكُهَا : أَسْمَاءُ مَنَازِلِ الْحَجِّ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ . (٤) نَضَتْ : خَلَعَتْ . وَالْإِنْضَاءُ : الْهَزَالُ .

(٥) خَمَصَاءُ : جَانَّةٌ . (٦) الْوَحَاءُ : السَّرْعَةُ . (٧) السَّمَاءُ وَالْعَوَاءُ : مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ .

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ وَتَقَامُ فِيهِ الْمَقَامُ تَسْلَاهُ^(١)
فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْمَدُ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ
وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيِّبَةِ وَالسَّيْرِ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ^(٢)
فَأَصْبَنَّا عَنْ قُوَّسِهَا غَرَضَ الْقُرْبِ وَنِعْمَ الْخَبِيْثَةُ الْكُومَاءُ^(٣)
فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يُفَضُّ الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ وَاللَّالَاءُ
فَكَانَ الْبَيْدَاءُ مِنْ حَيْثُ قَا بَلَّتِ الْعَيْنَ رَوْضَةً غَنَاءُ
وَكَانَ الْبِقَاعُ زَرَّتْ عَلَيْهَا طَرَفُهَا مُلَاءَةٌ خَمْرَاءُ
وَكَانَ الْأَرْجَاءُ تَنْشُرُ نَشْرَ الْمِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجَرِيَاءُ^(٤)
فَإِذَا شِمَتْ أَوْ شِمِتْ رَبَّاهَا لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ^(٥)
أَيَّ نُورٍ وَآيَ نُورٍ شَهِدْنَا يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا الْقِيَابَ قُبَاءُ
قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اصْطِيبَارِي فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي مُجْفَاءُ
فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ قِي إِلَى طَيِّبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
وَكَانَ الزُّوَارَ مَامَسَتْ الْبُأُ سَاءَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَلَا الضَّرَاءُ
كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسَوْءٌ وَدُعَاءُ وَرَغْبَةٌ وَأُبْتِغَاءُ
وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنْهُ صُدُورًا صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءُ^(٦)
وَبُكَاءُ يُغْرِيه بِالْعَيْنِ مَدَّةٌ وَنَحِيبٌ يَحْتُمُهُ اسْتِقْلَاءُ
وَجُسُومٌ كَأَنَّهَا رَحَضَتْهَا مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءُ^(٧)

(١) التلاوة : الجوار . (٢) الرماء : الرى ، شبه الإبل بالسهام .

(٣) الغرض : مايرى بالسهام . والغرض : المقصد ، ففيه تورية . والخبيثة : الذخيرة . والكوماء : اللذاقة العظيمة السنام . (٤) الجرياء : ريح الشمال . (٥) شمت : نظرت . والكباء : عود البخور . (٦) الزقاء : صوت الطيور . (٧) رحضتها : غسلها . والرحضاء : العرق الكثير في أثر الحمى .

وَوَجُوهٌ كَأَنَّما الْبَسْمُ مِنْ حَياءِ أَلوانِها الحَرْباءِ
وَدُمُوعٌ كَأَنَّما أَرْسَلَتْها مِنْ مُجْفُونٍ سَحابةٍ وَظَفاءِ
خَفَطَنا الرِّحالَ حَيْثُ يَحْطُ الْوِزْرُ عَنّا وَتَرْفَعُ الْحَوْجاءُ^(١)
وَقَرَأَنا السَّلامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءُ
وَدَهَلْنا عِنْدَ اللَّقاءِ وَكَمْ أَذْ هَلَّ صَبّا مِنْ الْحَبِيبِ لِقاءِ
وَوَجَّنا مِنَ الْمَهابةِ حَتّى لا كَلامَنا ولا إِماءِ
وَرَجَّنا وَلِلْقُلُوبِ التَّفانِيا تِإِليه وَلِلْجُسُومِ أَنْثاءِ
وَسَمَّنا بِما نُحِبُّ وَقَدِيسَ مَحْ عِنْدَ الضَّرورةِ الْبُخْلاءِ
يا أبا القاسمِ الَّذى ضَمَنَ إِقْسا بى عَلَيْهِ مَدْحٌ لَهُ وَتَناءِ
بِالْعُلُومِ الَّتى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ بِلا كاتِبٍ لَها إِملاءِ
وَمَسِيرِ الصَّبا بِنْضَرِكَ شَهْرا فَكأنَّ الصَّبا لَدَيْكَ رُخاءِ
وَعَلَى لَمّا تَفَلَّتْ بِعَيْنَيْهِ وَكَلْتاهِا مَعاً رَمْداءِ
فَقَدّا نَاطِراً بِعَيْنَيْ عُقابٍ فى غَزاةٍ لَها الْمُقابُ لُواءِ^(٢)
وَبِرِيحانَتَيْنِ طيِبُهُما مِنْكَ الَّذى أودَعَتْهُما الزَّهْراءُ^(٣)
كُنْتَ تُؤَوِّيهُما إِلَيْكَ كَما آتَتْ مِنْ اَلْخَطِّ تُقَطِّعُها الْبِلاءُ
مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِنِى الطَّفُّ مُصائِبُهُما وَلا كَرُّ بَلاءِ^(٤)
ما رَعَى فِيهِما ذِمَّتَكَ مَرهُو سٌ وَقَدْ خانَ عَهْدُكَ الثُّرُساءُ^(٥)

(١) الحوجاء : الحاجة . (٢) العقاب : طائر . والعقاب الثانى : اسم لراية النبي السوداء .

(٣) الريحانان : هما الحسن والحسين سبطا الرسول .

(٤) للشهيدان : هما الحسن والحسين ، فالأول مات مسموما ، والثانى قتل فى الطف . (٥) اللام : العهد .

أَبْدَلُوا الْوُدَّ وَالْحَفِظَةَ فِي الْقُرَى وَابْدَتْ ضَبَابُهَا النَّافِقَاءَ^(١)
وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ بَكَتِ الْأَرْضُ فَقَدِمَ وَالسَّمَاءُ
فَاتَبَكِيهِمْ مَا اسْتَطَعَتْ إِنْ قَلِيلًا فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمَصَابِ الْبُكَاءُ
كُلُّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكُرْبِي مِنْهُمْ كَرْبًا وَعَاشُورَاءُ
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنْ فُؤَادِي لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمْ التَّأْسَاءُ
غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ وَتَفَوَّضِي الْأُمُورَ بَرَاءَ^(٢)
رُبِّ يَوْمٍ بِكَرْبٍ بَلَاءٍ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بَعْضُ وَزْرِهِ الزَّوْرَاءُ^(٣)
وَالْأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ مِنْهُمْ الرِّقُّ حُلٌّ عَنْهُ الْوِكَاءُ^(٤)
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طَبِئْتُ فُطَابَ الْمَدْحِ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرَّثَاءُ
أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحِيتُ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي الْخُنْسَاءُ
سُدُّتُمُ النَّاسَ بِالتَّقَى وَسِوَاكُمْ سَوَّدَتُهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ
وَبَأَصْحَابِكِ الَّذِينَ هُمْ بَعْدَكَ فِينَا الْهَدَاةُ وَالْأَوْصِيَاءُ
أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّينِ وَكُلِّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءَ^(٥)
أَغْنِيَاءَ نَزَاهَةَ فَقَرَاءَ عُلَمَاءَ أَعْمَةَ أُمَرَاءَ
زَهْدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عُرِفَ لِلنِّيلِ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّغْبَاءُ
أَرْحَضُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حَارَبُوهَا أَسْلَابُهَا إِنْغِلَاءُ
كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ

(١) جمر تختذه اليرابيع . وقوله أبدلوا الود : فيه إشارة إلى آية « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » . (٢) براء : أي براءة من حول وقوفى .
(٣) يقول : إن بنى العباس قد خففوا من المصاب العظيم الذى وقع على آل البيت بانتقامهم من بنى أمية .
(٤) الوكاء : ما يشد به رأس الرق . يقول إن الأعداء قد سالت دماؤهم . (٥) إزاء : أهل لما تولاه .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَأَنِّي يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاةَ
جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ بَحْقٍ وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِ جَاءُوا
مَالِئِي وَلَا لِعِيسَى حَوَارِيُونَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا تُقْبَأُ
بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلنَّاسِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِفْتِدَاءُ
وَالْمُهْدَى يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا أَرْجَفَ النَّاسُ، أَنَّهُ الدَّاءُ (١)
أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّينِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ (٢)
أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَنٌّ وَأَعْطَى بَحْجًا وَلَا إِكْدَاءً (٣)
وَأَبَى حَفْصُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرَّقَبَاءَ
وَالَّذِي تَقَرَّبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَبَعُدُ الْقُرَبَاءُ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَضْلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاءُ
فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو قًا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَائِهِ انْبِرَاءُ
وَأَبْنِ عَفَّانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَالَ إِلَى الْمَصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ
حَفَرِ الْبَيْتِ جَهْزَ الْجَلِيشِ أَهْدَى أَلْهَدَى لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الْأَعْدَاءُ
وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ يَذْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ
خَفِزَتُهُ عَنْهَا بِبَيْعَةٍ رِضْوَانٍ يَذْنُ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ
أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَالُ بِالتَّوَكُّلِ حَبَّذَا الْأَدْبَاءُ
وَعَلِيٌّ صِنُو النَّبِيِّ وَمَنْ دِينُ فُؤَادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ
وَوَزِيرُ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي وَمِنْ الْأَهْلِ تَسْعِدُ الْوُزَرَ

(١) الداء : اليبال المظلمة في آخر الشهر ، يريد أن الفتن ستزول بالمسلمين مثل ظلام الليل آخر الشهر .

(٢) الإشفاء : الإشراف على الشيء . (٣) الإكداء : قطع المطاء .

لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِينًا بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءُ
وَبِاقِي أَصْحَابِكَ الظَّهِيرِ التَّزَّ تَيْبٍ فِينَا تَفْضِيلُهُمُ وَالْوَلَاءُ
طَلْحَةَ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيهِ رَفِيقًا وَاحِدًا يَوْمَ فَرَّتِ الرَّفَقَاءُ^(١)
وَحَوَارِيكَ الزُّبَيْرِ أَبِي الْقَرَمِ الَّذِي أَنْجَبْتَ بِهِ أَسْمَاءَ
وَالصَّفِيِّينَ تَوْمَ الْفَضْلِ سَعْدٍ وَسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الْأَصْفِيَاءُ
وَابْنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّتْ نَفْسُهُ الدُّنْيَا بِبَذْلِ يُمْدُودِهِ إِثْرَاءُ
وَالْمَكْنَى أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعْزِي إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ الْأُمْنَاءُ
وَبِعَمِّيكَ تَبْرَأُ فَلَاكَ الْمَجْدِ وَكُلُّ أَتَاهُ مِنْكَ إِيَّاهُ^(٢)
وَبَأْمُ السُّبْطَيْنِ زَوْجٍ عَلِيٍّ وَبَيْنِهَا وَمَنْ حَوَّثَهُ الْعِبَاءُ^(٣)
وَبَأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تَشْرَفْنَ بِأَنْ صَاهَنَ مِنْكَ بِنَاءُ^(٤)
الْأَمَانَ الْأَمَانَ إِنْ فَوَّادِي مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ^(٥)
قَدْ تَمَسَّكَتُ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحَبْلِ الَّذِي اسْتَنْتَهَ سَكَتٌ بِهِ الشِّفْعَاءُ
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسِّيَ السُّؤُ ۞ بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ التَّجْعَاءُ
قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبْرَدُهَا فِي فَوَّادِنَا رَمَضَاءُ^(٦)
وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقَرَّ حَمَلْتُنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ^(٧)
وَانْطَوَتْ فِي الصَّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ مَا لَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطَوَاءُ

(١) إشارة إلى غزوة أحد . (٢) الإتياء : النماء وما يخرج من الشجر من الأثمار .

(٣) إشارة إلى ما قيل من أن النبي لف الحسن والحسين بعباءة من صوف حين نزلت آية « إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » وأهل العباء هم النبي وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

(٤) البناء : الدخول بالزوجة ، ويحتمل معنى آخر وهو ، أبنية الرسول ، ففيه تورية . (٥) هواء : خال .

(٦) الرمضاء : الحجارة الحامية من حر الشمس . (٧) الأنضاء : المهازيل ، جمع نضو ، بالكسر .

فَأَغْنِنَا يَكُنْ هُوَ النَّوْثُ وَالْغَيْثُ إِذَا أَجْهَدَ انْزَوَى اللَّأْوَاهُ
وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفْرَجُ الْقُمَّةُ عَنَا وَتُكْشَفُ الْخَوْبَاهُ (١)
يَارْحِمَا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا ذَهَلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا الرُّحَمَاءُ
يَا شَفِيعًا فِي الْمَذْنِبِينَ إِذَا أَشْفَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرَاءُ
جُدْ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا صِي وَلَكِنْ تَنْكَرِي اسْتِخْيَاءُ
وَتَذَارَكُهُ بِالْعَنَاءِ مَا دَامَ لَهُ بِالذَّمَامِ مِنْكَ ذَمَاءُ (٢)
أَخْرَجَتْهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَغْنِيَاءُ
كُلَّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتٌ وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صَعْدَاءُ (٣)
أَلِفَ الْبُطْنَةَ الْمُبْطِنَةَ السَّيْرِ بَدَارِهَا الْبِطَانُ بَطَاءُ (٤)
فَبِكِي ذَنْبَهُ يَقْسُوهُ قَلْبِي نَهَتْ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءُ (٥)
وَعَدَا يَعْتَبُ الْقَضَاءُ وَلَا عُذْرَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ
أَوْثَقَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونُ شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْغُرْمَاءُ (٦)
مَالَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُوْتَى إِمَّا تَوَسَّلْ أَوْ دُعَاءُ
رَاجِيًا أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ الشُّوْخُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ وَهِيَ هَبَاءُ
أَوْ تَرَى سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ فَيَقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ (٧)
كُلُّ أَمْرٍ تُغْنِي بِهِ قُلُوبُ الْأَغْيَانِ فِيهِ وَتَعَجَّبُ الْبُصْرَاءُ
رُبَّ عَيْنٍ ثَقَلَتْ فِي مَاهِهَا الْمِلْحَ فَأَضْحَى وَهُوَ الْفَرَاتُ الرَّوَاءُ (٨)

(١) الخوياء : النفس . استعمالها بدل الخوب ، بالضم ، وهو الجهد والحاجة أو الغم والهم .

(٢) للذم : بقرينة الروح . (٣) الصعداء : النفس المتواتر الممدود .

(٤) البطنة : النهم في الطعام والشراب . وبطين : كبير البطن . وبطاء : جمع بطيء .

(٥) المكاء : الصفير . (٦) الغرماء : أصحاب الديون .

(٧) استحالت الصهباء : أى صارت خلا ، فتحل للشرب . (٨) الفرات : العذب . والرواء : المروى .

آهِ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي أَلْفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاهُ
 أَرْجَى التَّوْبَةِ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ نَفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءٌ
 وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجَنَسِ اعْوِجَاجٌ مِنْ كِبَرَتِي وَإِعْجَافٌ
 كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَلَيَّتِي شَمَطَاءُ^(١)
 وَمَتَادَيْتُ أَقْتَنِي أَنْزَرَ الْقَوْمَ مَرَّ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَأَقْتَفَاءُ
 فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي سُبُلٌ وَعَرَّةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ
 حَمَدَ الْمُدْبِلُونَ غَيْبَ سُرَاهِمَ وَكُنَى مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ^(٢)
 رَحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْفُ إِذَا مَا تَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ^(٣)
 يَتَّبِعِي حُرٌّ وَجَيْهَى الْحَرِّ وَالْبَرِّ دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَطَى الْأَنْثَاءِ^(٤)
 ضَمَقْتُ ذُرْعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي قَطَرِيرٌ وَلَيْلَتِي دَرْعَاءُ^(٥)
 وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالْبِشْرُ لَوْجَيْهِ أَنَّى انْتَحَى تِلْقَاءُ^(٦)
 فَالْحَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفُ بِالْقَلْبِ وَلِلْخَوْفِ وَالرَّجَا إِخْفَاءُ^(٧)
 صَاحٍ لَا تَأْسُ إِنْ ضَمَعْتَ عَنِ الطَّاءِ عَةٍ وَاسْتَأْنَرْتَ بِهَا الْأَقْوِيَاءَ
 إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحَقُّ النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضَّعَفَاءُ
 فَابْقِي فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوِّ دِ فِي الْعَوْدِ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءُ^(٨)
 لَا تَقُلْ حَاسِدًا لِعَيْرِكَ هَذَا أَثْمَرَتْ نَخْلُهُ وَنَخِلِي عَفَاءُ^(٩)

(١) اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن . والشمطاء : المختلطة السواد بالبياض .

(٢) الإدلاج : السير أول الليل . وغب سراهم : عاقبته .

(٣) يفندني : يكذبني . (٤) حروجهي : ما يبدو منه .

(٥) قطرير : شديد . والدرعاء : المظلمة . (٦) انتحى : توجه .

(٧) إخفاء ، منازعة . (٨) العود : قافلة الإبل . (٩) عفاء : لا تمرها ، كأنها الدار المقفرة .

وَأَنْتِ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْمِسْرِ فَقَدْ يُسْقِطُ الثَّمَارَ الْإِتَاءَ^(١)
وَيُحِبُّ النَّبِيَّ فَاتَّبِعْ رِضَى اللَّهِ فِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءَ^(٢)
يَا نَبِيَّ الْهَدَى اسْتَغَاثَةً مَلُوهُ فِي أَضْرَتِ بِجَالِهِ الْخَوْبَاءَ
يَدْعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّوِّ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءَ^(٣)
أَيُّ حُبٍّ يَصْحُ مِنْهُ وَطَرَفِي لِلْكَرَى «وَاصِلٌ» وَطَيْفُكَ رَأَى^(٤)
لَيْتَ شَعْرِي أَذَلِكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبٍ أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيَّمِينَ خُطَاءَ^(٥)
إِنْ يَكُنْ عُظْمُ رَأَتِي حَجَبَ رُؤْيَا لَكَ فَقَدْ عَزَّ دَاءُ قَلْبِي الدَّوَاءَ
كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبٌ مُحِبٌّ وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلَاءَ
هَذِهِ عَلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ
وَمِنْ الْقَوَازِ أَنْ أَبْنِكَ شَكْوَى هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ
ضُمْنَتِهَا مَدَامُحٌ مُسْتَطَابٌ فَيْكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءُ
قَلَمًا حَاوَلْتُ مَدِيحَكَ إِلَّا سَاعَدَتْهَا مِيمٌ وَدَالٌ وَحَاءَ
حَقٌّ لِي فَيْكَ أَنْ أُسَاجِلَ قَوْمًا سَلَّمَتْ مِنْهُمْ لَدَلْوَى الدَّلَاءَ^(٦)
إِنَّ لِي غَيْرَةً وَقَدْ زَاخَمْتَنِي فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ
وَلِقَابِي فَيْكَ الْغُلُوُّ وَأَنْتَى لِلْسَانِي فِي مَدْحِكَ الْغُلَاوَاءَ^(٧)
فَأَبِ خَاطِرًا يَلِدُ لَهُ مَدْحٌ حُكٌ عِلْمًا بَأَنَّهُ اللَّالَاءَ^(٨)

(١) الإِتَاءُ : ريع النخلة وزكوتها وكثرة ثمرها . (٢) الحِبَاءُ : العطاء .

(٣) الرِّغْبَةُ فِي التَّوْبَةِ . (٤) وَاصِلٌ بَيْنَ عَطَاءٍ الَّذِي كَانَ لَا يَنْطِقُ بِالرَّاءِ .

(٥) حُطَاءٌ : جَمْعُ حُطْوَةٍ ، وَهِيَ الْمَكَانَةُ . (٦) أُسَاجِلُ : أَفَاخِرُ .

(٧) الْغُلَاوَاءُ : مَجَاوِزَةُ الْحُدِّ . (٨) اللَّالَاءُ : الْفَرَحُ النَّامُ .

حَاكَ مِنْ صَنَعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا لَكَ لَمْ تَحْكُ وَشَيْهَا صَنَعَاهُ
 أَعْجَزَ الدَّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ الْيَدَانُ الصَّنَاعُ وَالْخِرْقَاءُ
 فَأَرْصَهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَطَقَ الضَّاءُ دَقَقَاتُ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ
 أَيْدِ كَرِ الْآيَاتِ أَوْفِيكَ مَدَحًا أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ
 أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِي الْأَغْيَاءُ
 وَلَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطَتْهَا بِكَ لَمَّا أُتِيَتْهَا الْأَنْبِيَاءُ
 لَمْ تَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالُ وَفِينَا وَارْتَوْ نُورِ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ
 فَانْقَضَتْ آيُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَيَا تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهْنُ انْقِضَاءِ
 وَالْكَرَامَاتُ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ حَازَهَا مِنْ نَوَالِكِ الْأَوْلِيَاءِ
 إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجَزَ عَنْ وَصْفِكَ إِذْ لَا يَحْدُهُ الْإِحْصَاءُ
 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَا لَكَ وَهَلْ تَنْزِجُ الْبَحَارَ الرَّكَاةُ^(١)
 لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لَوْصَفِكَ أَنْفِيهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَانْتِهَاءُ
 إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَأَيَا تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الْآثَاءُ
 لَمْ أَطْلُ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نَطْقِي وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ
 غَيْرَ أُنَى طَمَآنُ وَجِدٍ وَمَالِي بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِبَاءُ
 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتَرَى مِنَ اللَّهِ وَتَبْقَى بِهِ لَكَ الْبَأْوَاءُ^(٢)
 وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَاغْيِرْكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كِفَاءُ
 وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأُمَلَاءُ^(٣)

(١) الركاء جمع ركوة ، وهو إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء . (٢) البأواء : الفخر .

(٣) الأملاء : جمع ملأ ، وهو الجماعة .

وَصَلَاةٌ كَالْمِسْكِ تَحْمِلُهُ مِنِّي شَمَانٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءٌ^(١)
وَسَلَامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَخْضُلُ بِهِ مِنْهُ تَرْبَةٌ وَعَسَاءٌ^(٢)
وَوَثْنَا قَدَمْتُ بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَايَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءٌ^(٣)
مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ— وَقَامَتْ رِبَّهَا الْأَشْيَاءُ^(٤)

وقال ؛ قافية الباء ؛ من بحر المديد :

أَزْمَعُوا الْبَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكَابَا	فَاطْلُبِ الصَّبْرَ وَخَلِّ الْعِتَابَا
وَدَنَا التَّوَدِّيعُ يَمَنْ وَدَدْنَا	أَنَّهُمْ دَامُوا لَدَيْنَا غِضَابَا
فَاقْرِ ضَيْفَ الْبَيْنِ دَمْعًا مُذَالَا	يَا أَخَا الْوَجْدِ وَقَلْبًا مُذَابَا
فَمِنْ اللَّائِمِ صَبًّا مَشُوقًا	أَنْ بَكَى أَحْبَابَهُ وَالشَّعَابَا
إِنَّمَا أَغْرَى بِنَا الْوَجْدَ أَنَا	مَا حَسَبْنَا لِفِرَاقٍ حِسَابَا
وَعَرُوبٌ جَعَلُوا بِالْمُصَلَّى	كُلَّ قَلْبٍ يَوْمَ سَارُوا نِهَابَا
عَجَبًا كَيْفَ رَضُوا أَنْ يَحِلُّوا	مِنْ قُلُوبٍ أَحْرَقُوهَا قَبَابَا
أَضَحَّتِ الْأَرْضُ الَّتِي جَاوَرُوهَا	يَمْحُذُ الْقَنْبَرُ مِنْهَا التَّرَابَا
لَا تُكْذِّبُ خَبْرًا أَنْ سَلَمَى	سَحَبَتْ بِالرُّبِّ ذَيْلًا قَطَابَا
وَكَسَتْهُ خُلَلُ الرُّوْضِ حَتَّى	تَوَجَّتْ مِنْهَا الرُّبَا وَالْهَضَابَا
ابْتَسَمَتْ عَنْ مِثْلِ كَأْسِ الْحَمِيَّا	نَظَّمَ الْمَاءُ عَلَيْهَا حُبَابَا
مُسْمَتَهَا لَمْ الثَّنَايَا فَقَالَتْ	إِنَّ مِنْ دُونِكَ سُبُلًا صِعَابَا

(٢) تخضل : تبتل . والعساء : الرملة اللينة .

(٤) قامت ربها : بقيت .

(١) النكباء : الرمح .

(٣) التجوى : المناجاة .

حَرَسَتْ عَقْرَبُ صَدَغِي خَدِّي وَحَمَتْ حَيَّةُ شَعْرِي الرُّضَابَا
 وَنَجَّ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ وَجَنَتِي أَلْوَرَدَ أَوْ مِنْ شَفَتِي الشَّرَابَا
 حَقُّ مَنْ كَانَ لَهُ حُبُّ سَلَمِي شُغْلًا أَنْ يَسْتَلِذَّ الْعَذَابَا
 وَلَنْ يَمْدَحُ خَيْرَ الْبَرَايَا أَنْ يَرَى الْفَقْرَ عَطَاءَ حِسَابَا
 وَكَفَانِي بَاتِبَاعِي طَرِيقًا رَغَبَ الْمُخْتَارُ فِيهَا رِغَابَا
 كُلَّا أُوتِيتُ مِنْهَا نَصِيبًا قُلْتُ إِنِّي قَدْ مَلَكَتُ النَّصَابَا
 يَا حَبِيبًا وَشَفِيعًا مُطَاعًا حَسْبُنَا أَنْ إِلَيْكَ الْإِيَابَا
 لَمْ نَقُلْ فِيكَ مَقَالَ النَّصَارَى إِذْ أَضَلُّوا فِي الْمَسِيحِ الصَّوَابَا
 إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَا
 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ بَلِيجٍ أَفْحَمَ الْعَرَبَ فَعَيَّتْ جَوَابَا
 يُطْمِعُ الْأَسْمَاعَ فِيهِ بَيَانًا وَسَنَا طِبَّهٖ عَلَى الْعَقْلِ يَابَا
 حَوَتْ الْكُتُبُ لُبَابًا وَقِشْرًا وَهُوَ حَاوٍ مِنَ الْأَبَابِ لُبَابَا
 يَجْلِبُ الدَّرُّ إِلَى سَامِعِيهِ كَلِمٌ لَمْ يَرُ فِيهِ اجْتِلَابَا
 أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَرَأَيْنَا الرُّؤَا سَ رَأْسًا وَالذُّنَابِي ذُنَابَا^(١)
 وَرَأَى الْكُفَّارُ ظِلًّا فَضَلُّوا وَيَحْمَهُمْ ظَنُّوا السَّرَابَ الشَّرَابَا
 وَإِذَا لَمْ يَبْصَحْ بِالْعِلْمِ ذَوْقُ وَجَدَ الشَّهْدُ مِنَ الْجَهْلِ صَابَا
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ مِنْهُمْ عَنِيدًا كُلَّا أَبْصَرَ حَقًّا تَغَابَا
 وَإِذَا جِئْتَ بَأَيَاتِ صِدْقٍ لَمْ تَزِدْهُمْ بِكَ إِلَّا ارْتِيَابَا

أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالسِّرُّ عَلَى الْعُمَى أَشَدُّ احْتِجَابًا
 عَاقِبُ مَا حَمَى اللَّهُ عَنْكَ بِكَ مَا نَحَذَرُ مِنْهُ الْعَاقِبَا
 حَصَّهُ اللَّهُ بِخُلُقٍ كَرِيمٍ وَدَعَا الْفَضْلَ لَهُ فَاسْتَجَابَا
 وَلَهُ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مَا شَرَّ فَ قَوْسَيْنِ بِذِكْرِ وَقَابَا
 مِنْ دُنُوٍّ وَثَمُودٍ وَسِرٍّ بَانَ عَنْهُ كُلُّ وَاشٍ وَغَابَا
 وَعُلُومٍ كَشَفَتْ كُلَّ لَبْسٍ وَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ شَمْسٍ ضَبَابَا
 لَمْ يَنْلَمْهَا بِاِكْتِسَابٍ وَفَضْلُ اللَّهِ مَا لَيْسَ يُنَالُ اِكْتِسَابَا
 وَإِذَا زَارَ حَبِيبٌ مُحِبًّا لَا تَسْلَ عَنْ زَائِرٍ كَيْفَ آبَا
 كُلُّ مَنْ تَابَعَهُ نَالَ مِنْهُ نَسَبًا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ قِرَابَا
 شَرَفَ الْأَنْسَابِ طُوبَى لِأَصْلٍ وَلَفَرَجَ حَازَ مِنْهُ اِنْتِسَابَا
 دِينُهُ الْحَقُّ فَدَعُ مَا سِوَاهُ وَخَذِ الْمَاءَ وَخَلَّ السَّرَابَا
 جَعَلَ الزُّهْدَ لَهُ وَالْعَطَايَا وَالتَّقَى وَالبَّاسَ وَالْبِرَّ دَابَا
 أَنْقَذَ الْمَلَكِي وَرَبِّي الْيَتَامَى وَفَدَى الْأَسْرَى وَفَكَ الرِّقَابَا
 بَصَرَ الْعُمَى فَيَالَيْتَ عَيْنِي مُلِثَتْ مِنْ أَحْصِيهِ تُرَابَا
 أَسْمَعَ الصَّمَّ فَنَ لِي بِسَمْعِي لَوْ تَلَقَّى لَفْظُهُ الْمُسْتَطَابَا
 وَدَعَا الْمُهَيْجَاءَ فَارْتَاخَتْ السُّمُرُ اهْتَزَّازًا وَالسُّيُوفُ اِنْتِدَابَا^(١)
 تَطَرَّبُ الْخَيْلُ بِوَقْعٍ فَتَخْتَا لُ إِلَى الْحَرْبِ وَتَعْدُو طِرَابَا
 مِنْ عِتَاقٍ رَكِبَتْهَا كُؤَا لَمْ يَخَافُوا لِلْمَنُونِ أَرْتِكَابَا

كُلُّ نَذْبٍ لَوْ حَكَى غَرْبَهُ السَّيْفُ لَمَّا اسْتَنْصَحَ سَيْفٌ قَرَابًا^(١)
 قَاطَعَ الْأَهْلِينَ فِي اللَّهِ جَهْرًا لَمْ يَخَفْ لَوْمًا وَلَمْ يَخْشَ عَابًا
 لَمْ يَبَالِ حِينَ يَغْدُو مُصِيبًا فِي الْوَعَى أَوْ حِينَ يَغْدُو مُصَابًا
 مِنْ مُحَامَةٍ نَصَرُوا الدِّينَ حَتَّى أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ أُنْحَى جَنَابًا
 رَفَعُوا الْإِسْلَامَ مِنْ فَوْقِ خَيْلٍ أَرْكَبَتْ كُلَّ عُقَابٍ عُقَابًا
 خَضَبُوا الْبَيْضَ مِنَ الْهَامِ مُحْمَرًا مَا تَزَالُ الْبَيْضُ تَهْوَى الْخِضَابًا^(٢)
 لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْهَا لِلْحُرُوبِ الْعُونِ إِلَّا الضَّرَابَا
 أَرْغَمَ الْهَادِي أَنْوَفَ الْأَعَادَى بِرِضَامٍ وَأَذَلَّ الرَّقَابَا
 فَطَاعَتِهِ الْمُلُوكُ اضْطِرَارًا وَأَجَابَتِهِ الْحُصُونُ اضْطِرَابَا
 وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ سَقَاهَا حَتَفَهَا سَقَى الْقَفَاحِ السَّقَابَا^(٣)
 حَكَبُوا شَطْرِيهِ فِي الْجُودِ وَالْبَأْسِ فَأَحْلَى وَأَمَرَ الْحِلَابَا
 وَجَدُوا أَخْلَافَ أَخْلَاقِهِ فِي الْخِصْبِ وَالْجَذْبِ تَعَاثُ الْخِصَابَا^(٤)
 دَرَّهَا أَطِيبُ دَرٍّ فَإِنْ أَمْكَنَكَ الْحَلْبُ فَرَاغَ الْعِطَابَا^(٥)
 جَيْشَ الْجَلِيشِ وَسَرَى السَّرَايَا وَدَعَا الْخَلِيلَ عِتَاقَا عِرَابَا
 وَهُوَ الْمَنْصُورُ بِالرُّعْبِ لَوْ شَاءَ لَاغْنَى الرُّعْبُ عَنْهَا وَنَابَا
 لَو تَرَى الْأَحْزَابَ طَارُوا فِرَارًا خِلَتَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَبَابَا
 أَوْ لَمْ تَعْجَبْ لَهُ وَهُوَ بَحْرٌ كَيْفَ يَسْتَسْقَى نَدَاهُ السَّحَابَا

(١) النذب : الخفيف ، النجيب .

(٢) البيض الأولى : السيوف ، والثانية : النساء البيض . (٣) القفاح : التوق الوالدة . والسقاب : أولادها .

(٤) الخصاب : النهر الردي جمع خصب . (٥) راع المطابا : احتس حتى لا تعطب .

كَانَتْ الْأَرْضُ مَوَاتًا فَأَحْيَا بِالْحَيَا مِنْهَا الْمَوَاتَ انْكَبَا
 نَزَعَتْ عَنْهَا مِنَ الْمَحَلِّ ثَوْبًا وَكَسَتْهَا مِنْ رِيَاضٍ رِيَابًا
 سَيِّدٌ كَيْفَ تَأَمَّلْتَ مَعْنَا هُ رَأَتْ عَيْنَاكَ أَمْرًا عَجَابًا
 مَنْ يَزُرُهُ مُثْقَلًا بِالْخَطَايَا عَادَ مَغْفُورَ الْخَطَايَا مُثَابًا
 ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ قَالَ لِلْكَوْنَيْنِ طَيِّبًا فَطَابَا
 وَسِعَ الْعَالَمَ ^(١) عِلْمًا وَجُودًا فَدَعَا كُلًّا وَأَرْضَى خِطَابًا
 فَتَحَلَّكَ مِنْهُ قَوْمٌ عَقُودًا وَتَحَلَّتْ مِنْهُ قَوْمٌ سِخَابًا ^(٢)
 لِيَتَنَّى كُنْتُ فِيمَنْ رَأَهُ أَتَقَى عَنْهُ الْأَذَى وَالسَّبَابَا
 يَوْمَ نَالَتْهُ بِإِفْكِ يَهُودٍ مِثْلَمَا اسْتَنْبَحَ بَذْرُ كِلَابَا
 فَادْعُنِي حَسَّانَ مَدَحٍ وَزِدْنِي إِنِّي أَحْسَنْتُ عَنْهُ الْمَنَابَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ عِذْرًا إِذَا هَبَيْتُ مَقَامًا حَقَّهُ أَنْ يُهَابَا
 إِنِّي قُمْتُ خَطِيئًا بِمَذْحِيكَ وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُ الْخَطَابَا
 وَتَرَامَيْتُ بِهِ فِي بَحَارٍ مُكْتَرَا أُمُوجَهَا وَالْعُشْبَابَا
 بِقَوَافٍ شُرِعَتْ لِلْأَعَادِي وَجَدُّوْهَا فِي نَفُوسٍ حِرَابَا
 هِيَ أَمْضَى مِنْ طَبِيِّ الْبَيْضِ حَدًّا فِي أَعَادِيكَ وَأَنْكِي ذُبَابَا ^(٣)
 فَارْضَهُ جُهْدٌ مُحِبٍّ مَقْلٌ صَانَهُ حُبُّكَ مِنْ أَنْ يُعَابَا ^(٤)
 شَابَ فِي الْإِسْلَامِ لَكِنْ لَهُ فِيكَ قُوَادٌ حُبُّهُ لَنْ يُشَابَا

(١) د : العالمين . وهذه رواية م . (٢) السخاب : قلادة من سلك وقرنفل ومحب بل جوهري .

والسلك : نوع من أخلاط الطيب ، يعجن ويخفف ويجعل كالخرز .

(٣) الذباب : حد السيف ، وأنكى في العفو وأتقن . (٤) د : فارضه جهد جهدي محب . وهذه رواية م .

يَتَهَيَّئِ بِالْأَمَانِيِّ إِنَّهُ قَبْلَ مَمَاتٍ أَنَابَا
 كُلَّمَا أَوْسَعَهُ الشَّيْبُ وَعَظَا ضَيَّقَ الْخُوفُ عَلَيْهِ الرَّحَابَا
 ضَيَّقَ الْحَزْمَ فِيهِ شَبَابُ وَأَتَى مُعْتَدِرًا حِينَ شَابَا^(١)
 وَغَدَا مِنْ سُوءِ مَا قَدْ جَنَاهُ نَادِمًا يَقْرَعُ سِنًا وَنَابَا^(٢)
 أَفَلَا أَرْجُو لَدُنِّي شَفِيعَا مَارَجَاهُ قَطُّ رَاجِ فَخَابَا
 أَحَدُ الْهَادِي الَّذِي كُلَّمَا جِئْتُ إِلَيْهِ مُسْتَتِيْبَا أَنَابَا
 فَاعْذِرُوا فِي حُبِّ خَيْرِ الْبَرَايَا إِنْ غَبَطْنَا أَوْ حَسَدْنَا الصَّحَابَا
 إِنْ بَدَا شَمْسًا وَصَارُوا نَجُومَا وَطَمَى بِحَرَا وَفَرُوا رِغَابَا^(٣)
 أَفَلَمَتْ سَحْبٌ سَفَنِهِمْ سَجَالَا مِنْ عُلُومٍ وَوَرَدْنَا انْصِبَابَا
 وَغَدَوْنَا بَيْنَ وَجْدٍ وَفَقْدٍ يَعْظُمُ الْبُشْرَى بِهِ وَالْمُصَابَا
 وَنَبَارَانَا مِنَ النَّصَبِ وَالرَّفَضِ وَأُوجِبْنَا لِكُلِّ جَنَابَا
 إِنْ قَوْمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالِنَا نُلْقَى عَلَيْهِمْ غَضَابَا
 إِنِّي فِي حُبِّهِمْ لَا أَحَابِي أَحَدًا قَطُّ وَمَنْ ذَا يُحَابِي
 صَلَوَاتِ اللَّهِ تَتَرَى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ عِذَابَا
 يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَا مِنْ جُودِهِ وَالْفَضْلِ بَابَا فَبَابَا
 مَا انْتَضَى الشَّرْقُ مِنَ الضُّبْحِ سَيْفَا وَفَرَى مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ إِهَابَا

(١) د : معذرا . (٢) د : منيبا أنابا . والتصحيح في (١ ، ٢) عن م .

(٣) الثغاب : جمع ثغب ، يسكون الثين وتحريكها ، وهو المطمئن من الموضع في أعلى الجبل ، يستنقع فيه ماء المطر .

وقال أيضا عفا الله عنه^(١) :

يَمْدَحُ المصطفى تَحِيَّا القلوبُ وَتَغْتَفِرُ الخطايا وَالذُّنُوبُ
وَأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ بِهِ سَعِيدَا وَأَلْقَاهُ وَلَيْسَ عَلَيَّ حُوبُ^(٢)
نَبِيٌّ كَامِلُ الْأَوْصَافِ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ فَقِيلَ لَهُ الْحَبِيبُ
يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الْكُرْبَاتِ عَنَا إِذَا نَزَاتِ بِسَاحَتِنَا الْكُرُوبُ
مَدَامْهُ تَزِيدُ الْقَلْبَ شَوْقًا إِلَيْهِ كَأَنهَا حَلَى وَطِيبُ^(٣)
وَأَذْكُرُهُ وَلَيْلُ الْخَطْبِ دَاجٍ عَلَيَّ فَتَنْجَلِي غَنَى الْخُطُوبُ
وَصَفْتُ شَائِلًا مِنْهُ حِسَانًا فَمَا أَدْرَى أَمْدَحُ أَمْ نَسِيبُ
وَمَنْ لِي أَنْ أَرَى مِنْهُ مُحَيَّا يُسَرُّ بِحُسْنِهِ الْقَلْبُ الْكَثِيبُ
كَأَنَّ حَدِيثَهُ زَهْرٌ نَضِيرٌ وَحَامِلَ زَهْرِهِ غُصْنٌ رَطِيبٌ
وَلِي طَرْفٌ لِمِرَّاهُ مَشُوقٌ وَلِي قَلْبٌ لِذِكْرَاهُ طُرُوبٌ
تَبَوَّأَ قَابَ قَوْسَيْنِ اخْتِصَاصَا وَلَا وَاشِ هَنَّاكَ وَلَا رَقِيبُ^(٤)
مَنَاصِبِهِ السَّيِّئَةُ لَيْسَ فِيهَا لِإِنْسَانٍ وَلَا مَلَكٍ نَصِيبُ
رَحِيبُ الصَّدْرِ ضَاقَ الْكَوْنُ عَمَّا تَضَمَّنَ ذَلِكَ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
يُجَدِّدُ فِي قُعُودٍ أَوْ قِيَامٍ لَهُ شَوْقِي الْمُدْرَسُ وَالْخُطِيبُ
عَلَيَّ قَدَرٍ يُمِذُّ النَّاسَ عِلْمًا كَمَا يُعْطِيكَ أَدْوِيَّةً طِيبُ^(٥)
وَتَسْتَهْدِي الْقُلُوبُ النُّورَ مِنْهُ كَمَا اسْتَهْدَى مِنَ الْبَحْرِ الْقَلِيبُ^(٦)

(١) ت : وقال رضى الله عنه ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من الوافر .

(٢) الحوب : الإثم . (٣) الحل : الحل . (٤) كناية عن شدة القرب المنعوى .

(٥) القدر : التقدير . (٦) القليب : البئر .

بَدَتْ لِلنَّاسِ مِنْهُ شُمُوسٌ عِلْمٌ طَوَالِعَ مَا تَزُولُ وَلَا تَغِيبُ
 وَأَهْلَمْنَا بِهِ التَّقْوَى فَشَقَّتْ لَنَا عَمَّا أَكْتَنَتْهُ الْغُيُوبُ (١)
 خَلَقَهُ مَوَاهِبُ دُونَ كَسْبٍ وَشَتَّانَ الْمَوَاهِبُ وَالْكُسُوبُ
 مُهَذَّبَةٌ بِنُورِ اللَّهِ لَيْسَتْ كَأَخْلَاقٍ يَهْدِيهَا اللَّيْبُ
 وَآدَابُ النَّبِوَةِ مُعْجَزَاتُ فَكَيْفَ يَنَالُهَا الرَّجُلُ الْأَدِيبُ
 أُبَيِّنَ مِنَ الطَّبَاعِ دَمًا وَفَرْثًا وَجَاءَتْ مِثْلَ مَا جَاءَ الْحَلِيبُ (٢)
 سَمِعْنَا الْوَحْيَ مِنْ فِيهِ صَرِيحًا كَغَادِيَةٍ عَزَّالِيهَا تَصُوبُ (٣)
 فَلَا قَوْلَ وَلَا عَمَلَ لَدَيْهَا بِفَاحِشَةٍ وَلَا يَهْوَى مَشُوبُ (٤)
 وَبِالْأَهْوَاءِ تَخْتَلِفُ الْمَسَاعِي وَتَفْتَرِقُ الْمَذَاهِبُ وَالشُّعُوبُ
 وَلَمَّا صَارَ ذَاكَ الْغَيْثُ سَيْلًا عِلَاهُ مِنَ الثَّرَى الزَّبْدُ الْغَرِيبُ
 فَلَا تَنْسُبُ لِقَوْلِ اللَّهِ رِيًّا فَمَا فِي قَوْلِ رَبِّكَ مَا يَرِيبُ
 فَإِنْ تَخَلَّقَ لَهُ الْأَعْدَاءُ عَيْبًا فَقَوْلُ الْعَائِبِينَ هُوَ الْمَعِيبُ
 فَخَالِفَ أُمَّتِي مُوسَى وَعِيسَى فَمَا فِيهِمْ خَالِقُهُ مُنِيبُ
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ فَتَنُوا بِعِجْلِ وَقَوْمًا مِنْهُمْ فَتَنَ الصَّلِيبُ
 وَأَخْبَارُ تَقُولُ لَهُ شَبِيهٌ وَرُهْبَانُ تَقُولُ لَهُ ضَرِيبُ
 وَإِنَّ مُحَمَّدًا لِرَسُولٍ حَقٍّ حَسِيبٌ فِي نُبُوَّتِهِ نَسِيبُ
 أَمِينٌ صَادِقٌ بَرٌّ تَقِيٌّ عَلِيمٌ مَاجِدٌ هَادٍ وَهُوبُ
 يُرِيكَ عَلَى الرَّضَا وَالسُّخْطِ وَجْهًا تَرُوقُ بِهِ الْبَشَاشَةُ وَالْقُطُوبُ

(١) أكتته : سترته . (٢) الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

(٣) الغادية : السحابة : وعزالها : أفواها . وتصوب : تسيل . (٤) مشوب : مخلوط .

يُضِيءُ بِوَجْهِهِ الْمِحْرَابُ لَيْلًا وَتُظْلَمُ فِي النَّهَارِ بِهِ الْحُرُوبُ
تَقْدَمُ مَنْ تَقْدَمَ مِنْ نَبِيٍّ نَاهٍ وَهَكَذَا الْبَطْلُ النَّجِيبُ
وَصَدَقَهُ وَحَكَمَهُ صَبِيًّا مِنْ الْكُفَّارِ شُبَّانٌ وَشَيْبٌ
فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ صَدُّوا وَصَدَّ أُولَئِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
شَرِيعَتُهُ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَيْسَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ^(١)
عَلَيْكَ بِهَا فَإِنَّ لَهَا كِتَابًا عَلَيْهِ تَخْضُدُ الْحَدَقُ الْقُلُوبُ
يَنْوُبُ لَهَا عَنِ الْكُتُبِ الْمَوَاضِي وَلَيْسَتْ عَنْهُ فِي حَالٍ تَنْوُبُ
أَلَمْ تَرَهُ يُنَادِي بِالتَّحَدَّى وَلَا أَحَدٌ يَبِينُنَهُ يُجِيبُ
وَقَدْ كَشَفَ الْغِطَاءَ لَنَا وَشَقَّتْ عَنِ الْحَسَنِ الْبَدِيعِ بِهِ جُيُوبُ
وَدَانَ الْبَدْرُ مُنْشَقًّا إِلَيْهِ وَأَفْصَحَ نَاطِقًا عَيْرٌ وَذِيبُ
وَجِذْعُ النَّخْلِ حَنْ حَنِينٍ تَكَلَّى لَهُ فَأَجَابَهُ نِعَمَ الْمُجِيبُ
وَقَدْ سَجَدَتْ لَهُ أَغْصَانُ سَرْحٍ فَلَمْ لَا يَوْمُنُ الظَّيُّ الرَّيِّبُ^(٢)
وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ فِي اللَّحْلِ مِنْهَا رَبَّتْ وَاهْتَزَّتْ الْأَرْضُ الْجَدِيبُ
وَرَوَى عَسْكَرًا بِجَلِيبِ شَاةٍ فَعَاوَدَهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الْخَصِيبُ
وَمُخْبُولٌ أَتَاهُ فَنَابَ عَقْلٌ إِلَيْهِ وَلَمْ تَخْلُهُ لَهُ يَثُوبُ
وَمَا مَا تَلَقَّى وَهُوَ مِلْحٌ أُجَاجٌ طَعْمُهُ إِلَّا يَطِيبُ
وَعَيْنٌ فَارَقَتْ نَظْرًا فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَرَدَّ لَهَا السَّلِيبُ
وَمَيَّتْ مُؤَذِّنٌ بِفِرَاقِ رُوحٍ أَقَامَ وَسُرِّيتَ عَنْهُ شُعُوبُ

(١) اللغوب : التعب . (٢) السرح : جمع سرحة ، وهي الشجرة الكبيرة الواسعة الظلال .

وَنَعْرُ مُعَمَّرٍ عَمْرًا طَوِيلًا تُؤَفِّي وَهُوَ مَنصُودٌ شَنِيبٌ^(١)
وَنَخْلٌ أَثْمَرَتْ فِي دُونِ عَامٍ فَغَارَ بِهَا عَلَى الْقِنُوِ الْعَسِيبُ^(٢)
وَوَفَّى مِنْهُ سَلَمَانٌ دُيُونًا عَلَيْهِ مَا يُوفِّيهِا جَرِيبٌ
وَجَرَدٌ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ سَيْفًا فَقِيلَ بِذَلِكَ لِلسَّيْفِ الْقَضِيبُ
وَهَزَّ نَبِيرٌ عِطْفَيْهِ سُرُورًا بِهِ كَالْعُضْنِ هَبَّتْهُ الْجُنُوبُ
وَرَدَّ الْفِيلَ وَالْأَحْزَابَ طَيْرًا وَرِيحٌ مَا يُطَاقُ لَهَا هُبُوبٌ
وَفَارَسُ خَانِهَا مَاءٍ وَنَارٌ فَفِيضَ الْمَاءِ وَانْطَفَأَ اللَّهَبُ
وَقَدْ هَزَّ الْحَسَامَ عَلَيْهِ عَادٍ يَوْمٌ نَوْمُهُ فِيهِ هُبُوبٌ
فَقَامَ الْمَصْطَفَى بِالسَّيْفِ يَسْطُو عَلَى السَّاطِي بِهِ وَلَهُ وَثُوبٌ
وَرِيْعَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ يَفْعَلُ يَنْوُبُ عَنِ الْهَزْبِ لَهُ نُيُوبٌ
وَشَهَبٌ أَرْسَلَتْ حَرَسًا فَخُطَّتْ عَلَى طِرْسِ الظَّلَامِ بِهَا شُطُوبٌ
وَلَمْ أَرَ مُعْجَزَاتٍ مِثْلَ ذِكْرِ إِلَيْهِ كُلِّ ذِي لُبٍّ يَنْيَبُ
وَمَا آيَاتُهُ تُحْصَى بَعْدَ فَيَذُرُكَ شَأُوهَا مِنْ طَلُوبٍ
طَفِقْتُ أَعُدُّ مِنْهَا مَوْجَ بَحْرِ وَقَطَرًا غَيْثُهُ أَبَدًا يَصُوبُ^(٣)
يَجُودُ سَحَابُهُنَّ وَلَا انْقِشَاعُ وَيَزْخَرُ بَحْرُهُنَّ وَلَا نُضُوبُ
فَرَاقَكَ مِنْ بَوَارِقِهَا وَمِیْضُ وَشَاقَكَ مِنْ جَوَاهِرِهَا رُسُوبُ
هَدَانَا لِلْإِلَهِ بِهَا نَبِيٌّ فَضَائِلُهُ إِذَا تُحْكَى ضُرُوبُ

(١) الشنب : حدة الأسنان وبريقها .

(٢) القنو : عذق النخلة الذي فيه التمر . والعسيب : جريدة النخل .

وفى (د) : وعاد بها على العدو العثيب . والتصحيح عن م . (٣) يصوب : يسيل .

وَأَخْبَرَ تَابِعِيهِ بِغَائِبَاتٍ وَلَيْسَ بِكَائِنٍ عَنْهُ مَغِيبٌ
وَلَا كَتَبَ الْكِتَابَ وَلَا تَلَاهُ فَيُلْحِدُ فِي رِسَالَتِهِ الْمُرِيبِ
وَقَدْ نَالُوا عَلَى الْأُمِّ الْمَوَاضِي بِهِ شَرَفًا فَكُلُّهُمْ حَسِيبٌ
وَمَا كَأَمِيرِنَا فِيهِمْ أَمِيرٌ وَلَا كَتَقِينِنَا لَهُمْ نَقِيبٌ ^(١)
كَأَنَّ عَلِيمَنَا لَهُمْ نَبِيٌّ لِدَعْوَتِهِ الْخَلَائِقُ تَسْتَجِيبُ ^(٢)
وَقَدْ كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَاجِبَاتُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الذُّدُوبُ ^(٣)
وَمَا تَتَضَاعَفُ الْأَغْلَالُ إِلَّا إِذَا قَسَتْ الرِّقَابُ أَوْ الْقُلُوبُ
وَمَا قِيلَ لِلْكَفَارِ خُسْبٌ تَحَكَّمَ فِيهِمْ السِّيفُ الْخَشِيبُ ^(٤)
حَكَّوْا فِي ضَرْبِ أَمْثَلِ حَمِيرَا فَوَاحِدِنَا لِأَلْفِهِمْ ضَرُوبُ
وَمَا عَلَمَاؤُنَا إِلَّا سُيُوفٌ مَوَاضٍ لَا تُقَلُّ لَهَا غُرُوبُ ^(٥)
سَرَاةٌ لَمْ يَقُلْ مِنْهُمْ مَرِيٌّ لَيَوْمٍ كَرِيهَةٍ يَوْمٌ عَصِيبٌ
وَلَمْ يَقْتَنِهُمْ مَاءٌ نَمِيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَرَعَى خَصِيبٌ
وَلَمْ تُنْعَمْصْ لَهُمْ لَيْلًا جُفُونُ وَلَا أَلْقَتْ مَضَاجِعَهَا جُنُوبُ
يَشَوْقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ ابْنِ هَيْجَا عَلَى الْأَوَاءِ مَحْبُوبٌ مَهِيبٌ ^(٦)
لَهُ مِنْ نَقَمِهَا طَرْفٌ كَحِيلِ وَمِنْ دَمِ أَسْدِهَا كَفُّ خَضِيبِ
وَتَهَالُ السِّكَنَاتُ حِينَ يَهْوِي إِلَيْهَا مِثْلَ مَا أَنَهَالُ الْكَثِيبُ
عَلَى طُرُقِ الْقَنَا لِلْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى مُهْجِ الْعِدَا أَبَدًا دَبِيبُ

(١) د : فيهم . (٢) د : كأن عليمنا فيهم . وفيه تلميح إلى حديث روى عن النبي وهو : علماء أمي كانباء بني إسرائيل . (٣) الذدوب : الشقوق ، جمع ندب . (٤) الخشب : الصقيل . (٥) الغروب : جمع غرب وهو وحده السيف . (٦) الأواء : الشدة . وفي د : الآراء .

يَقْصِدُ فِي الْعِدَا مُسْمَرَ الْعَوَالِي فَيَرْجِعُ وَهُوَ مَسْلُوبٌ سَلُوبٌ^(١)
 ذَوَابِلُ كَالْعُقُودِ لَهَا أَطْرَادُ فَلَيْسَ يَشُوقُهَا إِلَّا التَّرِيبُ^(٢)
 يَخِرُّ لِرُوحِهِ الرُّوحِيُّ أَنِّي تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْعُودُ الصَّلِيبِ
 وَيَخْضِبُ سَيْفَهُ بِدَمِ النَّوَاصِي خَافَةَ أَنْ يُقَالَ بِهِ مَشِيبُ^(٣)
 لَهُ فِي اللَّيْلِ دَمْعٌ لَيْسَ يَرَقَا وَقَلْبٌ مَا يَغِبُّ لَهُ وَحِيبُ^(٤)
 رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةً مُسْتَقْبِلِ مِنْ التَّقْصِيرِ خَاطِرُهُ هَيُوبُ^(٥)
 تَعَذَّرَ فِي الْمَشِيبِ وَكَانَ عِيًّا وَبُرْدُ شَبَابِهِ ضَافٍ قَشِيبُ^(٦)
 وَلَا عَتَبٌ عَلَى مَنْ قَامَ يَجْلُو مُحَاسِنَ لَا تُرَى مَعَهَا عِيُوبُ
 دَعَاكَ لِكُلِّ مُعْضِلَةٍ أَلَمْتُ بِهِ وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ تَنُوبُ
 وَلِلذَّنْبِ الَّذِي ضَاقَتْ عَلَيْهِ بِهِ الدُّنْيَا وَجَانِبُهَا رَحِيبُ
 يُرَاقِبُ مِنْهُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ فَيَبْكِيهِ كَمَا يَبْكِي الرُّقُوبُ
 وَأَنِّي يَهْتَدِي لِلرُّشْدِ عَاصٍ لِعَارِبِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ رَكُوبُ
 يَتُوبُ لِسَانُهُ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَمْ يَرَ قَلْبُهُ مِنْهُ يَتُوبُ
 تَقَاضَتْهُ مَوَاهِبُكَ امْتِدَاحًا وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْمَدْحِ الْوَهُوبُ
 وَأَغْرَانِي بِهِ دَاعِي اقْتِرَاحٍ عَلَى لِأَمْرِهِ أَبَدًا وَجُوبُ
 فَقُلْتُ لِمَنْ يَحْضُرُ عَلَى فِيهِ لَعَلَّكَ فِي هَوَاهُ لِي نَسِيبُ

(١) يقصد : يكسر . ومسر العوالي : الرياح . (٢) ذوابل : الرياح الرقيقة . والتريب : عظام الصدر .

(٣) النواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . (٤) رقاً الدمع : سكن وجف . وغب القوم : أذاهم يوماً

بعد يوم . والوجيب : خفقان القلب . (٥) استقال : طلب الإقالة من الذنب .

(٦) تعذر : تأخر . وعى : حصر .

دَلَّتْ عَلَى الْهَوَىٰ قَلْبِي فَسَهَّيْ وَسَهَّمَكْ فِي الْهَوَىٰ كُلُّ مُصِيبِ
 لَجُودِ الْمِصْطَفَىٰ مُدَّتْ يَدَانَا وَمَا مُدَّتْ لَهُ أَيْدٍ تَخِيبِ
 شَفَاعَتُهُ لَنَا وَلِكُلِّ عَاصٍ بِقَدَرِ ذُنُوبِهِ مِنْهَا ذَنْبٌ^(١)
 هُوَ الْغَيْثُ السَّكُوبُ نَدَى وَعِلْمًا جَهِلْتُ وَمَا هُوَ الْغَيْثُ السَّكُوبُ
 صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَارَتْ سَحَابٌ عَلَيْهِ وَمَا رَسَا وَقَوَىٰ عَسِيبٌ^(٢)

وقال أيضا ؛ في مدحه صلى الله عليه وسلم^(٣) :

وَأَفَاكُ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ الْمَذْنُوبُ خَجَلًا يَعْنِفُ نَفْسَهُ وَيُؤْتِبُ
 لَمْ لَا يَشُوبُ دُمُوعَهُ بِدِمَائِهِ ذُو شَيْبَةٍ عَوْرَاتُهَا مَا تُخْضَبُ^(٤)
 لَعِبَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَلَوْلَا جَهْلُهُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَخْضُوعُ وَيَلْعَبُ
 لَزِمَ التَّقَلُّبُ فِي مَعَاصِي رَبِّهِ إِذْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَابُ
 يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَقَلْبُهُ شَرَّهَا عَلَى أُمْنَاهَا يَتَوَّابُ
 يُغْرِى جَوَارِحَهُ عَلَى شَهَوَاتِهِ فَكَأَنَّهُ فِيمَا اسْتَبَاحَ مُسْكَبٌ^(٥)
 أَضْحَى بِمُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا لَاهِيًا فَكَأَنَّ مُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا مَلْعَبُ
 ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ فَمَا لَهُ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ بِطَيْبَةِ مَهْرَبُ
 مُتَقَطِّعُ الْأَسْبَابِ مِنْ أَعْمَالِهِ لَكِنَّهُ بِرَجَائِهِ مُتَسَبِّبُ
 وَقَفَتْ بِجَاهِ الْمِصْطَفَىٰ آمَالُهُ فَكَأَنَّهُ بِذُنُوبِهِ يَتَقَرَّبُ

(١) ذنوب : نصيب . (٢) ثوى : أقام . وعسيب : جبل .

(٣) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والقصيدة من الكامل .

(٤) يشوب : يخلط . (٥) الجوارح : الأعضاء ، وتكون بمعنى ذوات الصيد من السباع والطيور . ففيها قورية والمسكوب : معلم الكلام الصيد .

وَبَدَأَ لَهُ أَنْ الْوُقُوفَ بِبَابِهِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ مَطَامِعِي
 لَمْ لَا يَغَارُ وَقَدْ رَأَى دُونَهُ
 مَاذَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ بِبَابِهِ
 وَالْمُصْطَفَى الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الَّذِي
 بِشَرِّ سَعِيدٍ فِي النَّفُوسِ مُعْظَمٌ
 بِجَمَالِ صُورَتِهِ تَمَدَّحَ آدَمُ
 مِصْبَاحُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَإِمَامُهَا
 رِدْ وَاقْتَرَبَ مِنْ فَضْلِهِ فَيَحَارُهُ
 فَلَكَ سَارٍ مِنْ هُدَاهُ هِدَايَةٌ
 وَلِكُلِّ عَيْنٍ مِنْهُ بَذْرُ طَالِعٍ
 مَلَأَ الْعَوَالِمَ عِلْمُهُ وَتَنَاوَاهُ
 وَهَبَ الْإِلَهُ لَهُ الْكَمَالَ وَإِنَّهُ
 كَشَفَ الْغِطَاءَ لَهُ وَقَدْ أُسْرِيَ بِهِ
 وَلِقَابِ قَوْسَيْنِ انْتَهَى فَحَلَّهُ
 وَدَنَا دُنُوًّا لَا يُزَاحِمُ مَنْكِبًا
 فَاتَ الْعِبَارَةَ وَالْإِشَارَةَ فَضْلُهُ
 صَدَّقَ بِمَا حَدَّثَتْ عَنْهُ فِي الْوَرَى
 بَابُ لَغُفْرَانِ الذَّنُوبِ مُحَرَّبُ
 فِي جُودِهِ قَدْ غَارَ مِنْهَا أَشْعَبُ
 أَدْرَكْتُ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى مَا أُطْلُبُ
 وَصَحَائِفِي سُودٌ وَرَأْسِي أَشْيَبُ
 يُخْصِي الرَّقِيبُ عَلَى الْمُسِيءِ وَيَكْتُبُ
 مِقْدَارُهُ إِلَى الْقُلُوبِ مُحَبَّبُ
 وَبَيَانِ مَنْطِقِهِ تَشَرَّفَ يَعْرُبُ
 وَلِفَضْلِهِ فَضْلُ الْخَلَائِقِ يُنْسَبُ
 مَا تَنْتَهَى وَشُمُوسُهُ مَا تَغْرُبُ
 وَلِكُلِّ عَافٍ مِنْ نَدَاهُ مَشْرَبٌ ^(١)
 وَلِكُلِّ قَلْبٍ مِنْهُ لَيْثٌ أَغْلَبُ
 فِيهِ الْوُجُودُ مُنَوَّرٌ وَمُطَيَّبُ
 فِي غَيْرِهِ مِنْ جِنْدٍ مَا لَا يُوهَبُ
 فَعُلُومُهُ لِأَشْيَاءٍ عَنْهَا يَعْرُبُ ^(٢)
 مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الْمَحَلِّ الْأَقْرَبُ
 فِيهِ كَارِعَمُ الْمَكِيفِ مَنْكِبٌ ^(٣)
 فَعَلَيْكَ مِنْهُ بِمَا يُقَالُ وَيُكْتُبُ
 بِالْغَيْبِ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبُ

وَاسْمَعْ مَنَاقِبَ لِلْحَبِيبِ فَإِنَّهَا
 مُتِمِّمَاتُ الْأَخْلَاقِ إِلَّا أَنَّهُ
 يَشْفِي الصُّدُورَ كَلَامُهُ فِدَاؤُهُ
 فَاطْرَبَ لِتَسْبِيحِ الْحَصَى فِي كَفِّهِ
 وَالْجَذْعُ حَنٌّ لَهُ وَبَاتَ كَغَرَمٍ
 وَسَعَتْ لَهُ الْأَحْجَارُ فَعَى لِأَمْرِهِ
 وَاهْتَزَّ مِنْ فَرَحٍ ثَبِيرٌ تَحْتَهُ
 وَالنَّخْلُ أُمَرَّ غَرَسُهُ فِي عَامِهِ
 وَبَنَانُهُ بِالْمَاءِ أَرَوَى عَسْكَرًا
 وَالشَّاةُ إِذْ عَطَشَ الرَّعِيلُ سَقَمَهُمْ
 وَشَفَى جَمِيعَ الْمَوَلِمَاتِ بِرَبِّقِهِ
 وَمَشَى تَظْلَلُهُ الْقِمَامُ لِظِلِّهَا
 وَتَكَلَّمَ الْأَطْفَالُ وَالْمَوْتَى لَهُ
 وَالْجَذَلُ مِنْ حَطَبٍ غَدَا لِمُكَاشَةِ
 وَعَسِيبُ نَخْلٍ صَارَ عَضْبًا صَارِمًا
 وَأَضَاءَ عُرْجُونَ وَسَوَاطِفُ الدُّجَى
 وَكَأَنَّ دَعْوَتَهُ طَلِيعَةُ قَوْلٍ كُنْ
 تَحْطَى بِهَا أَبْنَاءُ مَنْ يَدْعُو لَهُ
 لِلنَّاسِ فِيهَا وَابِلٌ وَصَوَاقِ

فِي الْحَسَنِ مِنْ عِنْقَاءِ مُغْرِبِ أَغْرَبُ
 فِي الْحَكْمِ يَرْضَى لِلَّهِ وَيَغْضَبُ
 طَوْرًا يَمُرُّ لَهَا وَطَوْرًا يَعْذُبُ
 فَمِنْ السَّمْعِ لَذِكْرِهِ مَا يُطْرِبُ
 قَلْقٍ يَفْقَدُ حَبِيبَهُ يَتَكَرَّبُ
 تَأْتِي إِلَيْهِ كَمَا يَشَاءُ وَتَذْهَبُ
 وَمِنْ الْجِبَالِ مُسْبِحٌ وَمُؤَوَّبُ
 وَبَدَا مُعْنَدُمُ زَهْوِهِ وَالْمَذْهَبُ
 فَكَأَنَّهُ مِنْ دِيْمَةٍ يَتَصَبَّبُ
 وَهُمْ ثَلَاثُ مَثْنٍ مِمَّا يَحْلُبُ
 بِاطْيَبَ مَا يَرْقِي بِهِ وَيُطَيَّبُ
 ذَيْلٌ عَلَيْهِ فِي الْهَوَاجِرِ يُسْحَبُ
 بِعَجَائِبِ فَلْيَعْجَبِ الْمُتَعْجِبُ
 سَيْفًا وَلَيْسَ السَّيْفُ مِمَّا يُحْطَبُ
 يَوْمَ الْوَعَى إِذْ كُلُّ عَيْنٍ تُقَلِّبُ
 عَنْ أَمْرِهِ فَكَأَنَّ كَلًّا كَوَّكَبُ
 مَا بَعْدَهَا إِلَّا الْإِجَابَةُ مَوْكَبُ
 فَكَأَنَّمَا وَقَفَ عَلَى مَنْ يُعْقِبُ
 نَفْسٌ بِهَا تَحْيَا وَنَفْسٌ تَعْطَبُ

وَالْمَحَلُّ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِلَاؤُهُ
وَأَسْتَسَلَّمَ الْوَحْشُ الْمُرُوعُ لِصَيْدِهِ
وَالذَّنْبُ مِنْ طَوْلِ الطَّوَى يَبْكِي عَلَى
وَالنَّاسُ قَدْ ظَنُّوا الظُّنُونُ كَأَنَّمَا
لَمْ تَبْكِ لِلأَرْضِ السَّمَاءُ بِهِ وَلَا
فَدَعَوْكَ مَحْبُوءًا لِكُلِّ كَرِيهَةٍ
فَرَفَعْتَ عَشْرًا مِنْ أَنَا مِلَ دَاعِيًا
فَطَعَنِي عَلَى بُنْيَانِ مَكَّةَ مَاؤُهُ
لَوْلَا سَأَلْتَ اللَّهَ سَقِيَا رَحْمَةً
فَإِذَا الْبِلَادُ وَكُلُّ دَارٍ رَوْضَةٌ
قَدْ جِئْتُ أَسْتَسْقِي مَكَارِمَكَ الَّتِي
يَأْمَنُ يُرْجَى فِي الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا
يُفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامُ وَوَاهِبَ الْسَمِ
هَبْ لِي مِنَ الْغُفْرَانِ رَبِّ سَعَادَةٍ
أَيُضِيقُ بِي أَمْرٌ وَبَابُ الْمُصْطَفَى
لَا تَقْنَطِي يَا نَفْسُ إِنَّ تَوْسَلِي
أَتَى يَخِيبُ وَقَدْ تَعَطَّرَ مَشْرِقُ
آلِ النَّبِيِّ وَمَنْ لَمْ بِالْمُصْطَفَى

وَالرَّيْحُ يُشْمِلُ بِالسَّمُومِ وَيُجْنِبُ^(١)
جُوعًا وَصَرًّا مِنَ الْحَرُورِ الْجُنْدُبِ
رِمَمِ الْمَوَاشِي وَابْنُ دَايَةَ يَنْعَبُ^(٢)
سَلَبَتْ قُلُوبَهُمُ الرِّيحُ الْقَلْبُ
رَقَّتْ لِشَانِهَا الْهَرَقُ الْخُلَّبُ
جَلَّتْ كَمَا يُخْبَأُ الْحَسَامُ وَيُنْدَبُ
فَأَهْلَ أُسْبُوعَا سَحَابٌ صَيِّبُ
أَوْكَادٍ نَبْتُ فِي الْبُيُوتِ الطُّحْلُبُ
مَاتَتْ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِمَّا يَشْرَبُوا
فِيمَا يَرُوقُ وَكُلُّ وَادٍ مُعْشَبُ
يَحْيَا بِهَا الْقَلْبُ الْمَوَاتُ وَيُنْصَبُ
أَمْ تُرْجَى لِلنَّجَاةِ وَلَا أُبُ
يَا فَرِجَ الْكَرْبِ الْعِظَامِ وَوَاهِبَ الْسَمِ
مَاتَتْ سَعَادَةٌ وَنِعْمَةٌ مَا تَسْلَبُ
فِي الْأَرْضِ أَوْسَعُ الْعُقَاةِ وَأَرْحَبُ
بِالْمُصْطَفَى الْخُتَارِ لَيْسَ يَخِيبُ
بِمَدَانِي خَيْرَ الْأَنَامِ وَمَغْرِبُ
مَجْدُ عَلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ مُطْنَبُ^(٣)

(١) يشمل : يصير شاملاً . ويجنب : أي يصير جنوباً . (٢) ابن داية : الغراب .

(٣) السبع الطباقي : السماوات . وطنيه تطينيا : مده بأطناي ، وهي الحبال ، التي تشد بها الخيمة .

حُزْنُكُمْ عَظِيمًا مِّنْ تُّرَاثِ نَبُوَّةٍ
 اللَّهُ حَسْبُكُمْ وَحَسْبِيَ إِنِّي
 يَا سَادَتِي حُبِّي لَكُمْ مَا تَنْقُضِي
 مِنْ مَّعْشَرٍ نَزَلُوا الْفَلَاحُ فَخُصُّهُمْ
 مَا فِيهِمْ لِسِنَانٍ عَيْبٍ . مَطْعَنٌ
 وَكَلَى الْخِصَاصَةِ يُؤْتِرُونَ بَرَادِهِمْ
 لَا تَنْزِعُ اللَّوَامُ أَنْوَابَ النَّدَى
 جُبِلُوا عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ فِجَاءِ
 فَاسْتَسَامُوا لِلْعَجَزِ عَنْهُ وَذُو النَّهْيِ
 جَاءَتْ عَجَائِبُهُمْ أَمَامَ عَجَائِبِ
 مَا بَالُ مَنْ غَضِبَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ
 كَفَرَتْ عَلَى عِلْمِ بِهِمْ عُلَمَاؤُهُمْ
 هَلَّا تَمَنَّى الْمَوْتَ مِنْهُمْ مَعْشَرُ
 أَفْيُؤْمِنُونَ بِهِ وَتَمَنَّى جَاءَهُمْ
 عَبْدُوا وَمَوْسَى فِيهِمُ الْعَجَلُ الَّذِي
 وَصَبُوا إِلَى الْأَوْتَانِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
 وَإِذَا الْقُلُوبُ قَسَتْ فَلَيْسَ يُلِينُهَا

مَا كَانَ دُونَكُمْ لَهَا مِنْ يَحْجُبُ
 فِي كُلِّ مُفْضِلَةٍ بِكُمْ أَنْحَسَبُ^(١)
 أَعْمَارُهُ وَحِبَالُهُ مَا تُقْضَبُ^(٢)
 بِيَدٍ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ تُؤْشَبُ
 كَلَّا وَلَا لُحْسَامَ رَبِّهِ مَضْرِبُ
 وَيَلْذُّ مِنْ كَرَمٍ لَهُمْ أَنْ يَسْغَبُوا^(٣)
 عَنْهُمْ وَيُخْصِبُ جُودُهُمْ أَنْ يُجْدِبُوا
 حَقُّ الْبَيَانِ عَنِ الرِّسَالَةِ يُعْرِبُ
 تَأْتِي نَهَاةُ قِتَالٍ مَنْ لَا يُغْلَبُ
 أُمُّ الزَّمَانِ بِهِنَّ حُنًى مُقْرَبُ^(٤)
 حَادُوا عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَنَكَبُوا
 جَرَبَ الصَّحِيحِ وَلَمْ يَصِحَّ الْأَجْرُ
 جَحَدُوهُ فَاثْمَحْنُوا الدَّوَاءَ وَجَرَبُوا
 بِالْبَيِّنَاتِ مُقْتَلٌ وَمُصَلَّبُ
 ذُبِحُوا بِهِ ذَبَحَ الْعُجُولِ وَعَدُّوا
 وَالرُّسُلُ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِمْ تَنْدُبُ
 خِلٌّ يُلُومُ وَلَا عَدُوٌّ يَعْتِبُ

(٢) تقضب : تقطع .

(١) احتسبت بالشيء : اعتدلت به .

(٤) المقرب : قريبة الولادة .

(٣) الخصاصه : الفقر . والمغب : الجوع .

وَأَخُو الضَّالَّةَ قَالَ عِيسَى رَبُّهُ
وَيَقُولُ خَالِقُهُ أَبُوهُ وَإِنِّهِ
أَبْهَدُهُ الْعَوْرَاتِ جَاءَتْ كُتُبُهُمْ
فَاعُوجَّ مِنْهَا مَا اسْتَقَامَ طَلُوعُهُ
عَجَبًا لَهُمْ مَا بَاهَلُوهُ وَلَمْ أَبْتَ
وَلَقَدْ تَحَدَّى بِالْبَيَانِ لِقَوْمِهِ
فَتَهَيَّيْوْهُ وَمَا أَتَوْهُ بِسُورَةٍ
مَنْ لَمْ يُؤْهِلْهُ الْإِلَهُ لِحَالَةٍ
عَجَبًا لَهُمْ شَهِدُوا لَهُ بِأَمَانَةٍ
وَارْتَابَ فِيهِ الْمَشْرُكُونَ وَلَمْ يَزَلْ
جَاحِدُوا النَّبِيَّ وَقَدْ أَتَاهُمْ بِالْهُدَى
لِلَّهِ يَوْمُ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ
وَالْجِنُّ تُنْشِدُ وَخَشَّةٌ لِفِرَاقِهِ
وَالْغَارُ قَدْ شَتَّتْ عَلَيْهِ غَارَةً
أَرَأَيْتَ مَنْ يَجْفُو عَلَيْهِ قَوْمُهُ
إِنْ يَكْفُرُوا بَكِتَابِهِ فَكِتَابُهُ
قَامَتْ لَنَا وَعَلَيْهِمْ حُجَجٌ بِهِ

وَنَبِيِّهِ فَأَخُو الضَّالِّ مَذْبَذَبٌ^(١)
رَبُّ وَإِنْسَانٌ أَلَا فَتَعَجَّبُوا
أَمْ حَرَفُوا مِنْهَا الصَّوَابَ وَوَرَبُّوا^(٢)
فَكَأَنَّهَا بَيْنَ النُّجُومِ الْقَرَبِ
أَخْبَارُ نَجْرَانَ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا^(٣)
وَالِيَهُمْ يُعْزَى الْبَيَانُ وَيُنْسَبُ
مِنْ مِثْلِهِ وَبَيَانُهُمْ يُتَهَبَّبُ
فَاتَتْهُ وَهُوَ لِنَيْلِهَا مُتَأَهَّبٌ
حَتَّى إِذَا أَدَّى الْأَمَانَةَ كَذَبُوا
بِالصَّدَقِ عِنْدَ الْمَشْرُكِينَ يَلْقَبُ
لَوْلَا الْقَضَاءُ سَأَلْتَهُمْ مَا الْمَوْجِبُ
كَخُرُوجِ مُوسَى خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
شِعْرًا تَفِيضُ بِهِ الدُّمُوعُ وَتُسْكَبُ
أَعْدَاؤُهُ حِرْصًا عَلَيْهِ وَأَجْلَبُوا
تَعْنُو عَلَيْهِ الْعَنْكَبُوتُ وَتَحَدَّبُ
فَلَكَ يَدُورُ عَلَى الْوُجُودِ مَكُونُ كَبِ
فَبَدَا الصَّبَاحُ وَجَنَّا مِنْهُ الْقَيْهَبُ

(١) مذبذب : حيران أو متردد . (٢) التوريب : الدخول عن الشيء بالمعارضات .

(٣) المبالغة : الملاعبة . وهذا البيت ورد في م هكذا :

عجبا لهم عرفوا النبي وأعرضوا
عما يقول من الصواب وأضربوا
ما بالهم ما باهلوه ولم أبْتَ
أخبار نجران الذين ترهبوا

فَتَصَادِمَ الْخَلْقُ الْمُبِينُ وَإِفْكَهُمُ فَإِذَا النُّفُوسُ عَلَى الرَّدَى تَتَشَعَّبُ
فَدَعَوْا نَزَالَ فَأَوْقَدَتْ نِيرَانَهَا مُسْمَرُ الْقَنَا وَالْعَادِيَاتُ الشَّرْبُ (١)
فَإِذَا يَدَيْنِ الْكَافِرِ يَنْدُبُ فَقَدَهُ ذُرِّيَّةٌ تُسَبِّي وَمَالٌ يُنْهَبُ
غَالَتْ بُغَاهُمُ بُرَاةُ كَرِيهَةٍ أَظْفَارُهَا فِي كُلِّ صَيْدٍ تَنْشَبُ
حَتَّى بَكَى عَمْرًا هِشَامٌ فِي الثَّرَى مِنْ ذِلَّةٍ وَنَعَى حُيَّيًّا أُخْطَبُ (٢)
لَا تُنْكِرُوا بُغْضِي عَدُوَّ الْمُصْطَفَى إِنِّي بِبُغْضِهِمْ لَهُ أَتَحَبُّ
أَفْسَمْتُ لَا تَنْفُكُ نَارُ قَرِيحَتِي أَبَدًا عَلَى أَعْدَائِهِ تَتَلَهَّبُ
هَذَا وَنُطْقِي دَائِمًا بِمَدِيحِهِ أَذْكَى مِنَ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ وَأَطْيَبُ
أَهْدَى لَهُ طِيبَ الثَّنَاءِ وَإِنِّهِ لَيَحِبُّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ الطَّيِّبُ
أُنِنِي عَلَيْهِ تَشَوُّقًا وَتَعَبُّدًا لَا أَنْتِي لِصِفَانِهِ أُسْتَوْعَبُ
مُسْتَضْحَبًا مُحِيٍّ وَإِيمَانِي لَهُ وَكَلَامُهَا مِنْ خَيْرِ مَا يُسْتَضْحَبُ
أَشْتَاقُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِلَوَاعَةٍ فِي الْقَلْبِ تَحْدُو بِي إِلَيْهِ وَتَجْذِبُ
مَالِي سِوَى ذِكْرِي لَهُ فِي رِخْلَتِي زَادُ وَلَا غَيْرُ اشْتِيَاقِي مَرْكَبُ
وَنَحِيَّةٍ مِنِّي إِلَيْهِ يَرُدُّهَا مِنْهُ عَلَى مُسَلَّمٍ وَمُرْحَبُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ فَرَضُ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ مُرْتَبُ
مَاحِزٍ مُشْتَاقٍ إِلَى أَوْطَانِهِ مِثْلِي وَرَاحَ بَوَاصِفِهَا يَتَشَبَّبُ

(١) العاديات الشرب : الخيل العتاق السريعة العدو .

(٢) عمرو بن هشام : هو أبو جهل . وحوي بن أخطب من رؤساء اليهود .

قال رحمه الله ^(١) مهنيًا فخر الدين عثمان بقدميه ؛ ويعرّض في هجاء بعض النصارى :

أَرْجُ الصَّبَا هَبَّتْ كُلِّي زَهَرَ الرُّبَا فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ قُطْرٍ مُطَيَّبًا
أَمِ الرِّاحُ أَهْدَتْ لِلرِّيَّاحِ مُخَارَهَا فَأُسْكِرَ مَسْرَاهَا الْوُجُودَ وَطَيَّبًا
أَلَمْ تَرَنِي هَزَّ التَّصَابِي مَعَاطِنِي وَرَاجَعِي مَارَاقٍ مِنْ رَوْنَقِ الصَّبَا
فَمَنْ مُخْبِرِي مَاذَا السُّرُورُ الَّذِي سَرَى فَلَا بَدَّ حَتَّمَا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَبَا
فَقَالُوا : أَعَادَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فَخْرَهُمْ وَلِيًّا إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ مُحِبًّا
فَقُلْتُ : أَفْخَرُ الدِّينِ عُمَانُ ؟ قَالَ لِي : بَلَى ! ؟ قُلْ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ^(٢)
وَقَالَ الْوَرَى لِلَّهِ ذَرُّكَ قَادِمًا سَقِينَا بِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ صَيِّبًا ^(٣)
وَنَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ بِقُدُومِهِ فَرَهَّبَ مِنْهُمْ سَامِعِينَ وَرَغَبًا
فَأَوْسَعَهُمْ فَضْلًا فَأَمَّنَ خَائِفًا وَأَنْصَفَ مَظْلُومًا وَأَخْصَبَ مُجْدِبًا
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ الْبَسِيطَةُ زِينَةً فَفَقَضَّضَ مِنْهَا الزَّهَرَ حَلِيمًا وَذَهَبًا
فِيَا فَرَحَةَ الدُّنْيَا وَفَرَحَةَ أَهْلِهَا يَوْمَ لَهُ مِنْ وَجْهِ عُمَانٍ أَعْرَابًا ^(٤)
وَشَاهِدْ مِنْهُ صُورَةَ يُوسُفِيَّةَ تَبَاهَى بِهَا فِي الْحُسْنِ وَالْبَاسِ مَوْكِبًا
مُقَوَّضُ أَمْرِ الْعَالَمِينَ لِزَأْيِهِ فَكَانَ بِهِمْ أَوْلَى وَأَدْرَى وَأَذْرَبًا ^(٥)
أَعِيدُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا طِيبَ ذِكْرِهِ ^(٦) لِيُطْفِئَ وَجْدًا فِي الْقُلُوبِ تَلَهَّبًا
وَلَا تَحْجُبُوا الْأَبْصَارَ عَنْ حُسْنِ وَجْهِهِ فَقَدْ كَانَ عَنْهَا بِالْبُعَادِ مُحِبًّا

(١) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، من الطويل . (٢) ت : قلت أهلا وسهلا ومرحبا .

(٣) ت : سقانا به . (٤) ن : عن وجهه . (٥) أذرب : أمضى وأخذ .

(٦) هو فخر الدين عثمان ، استادرا الملك الكامل . توفي سنة ٦٢٩ هـ . السلوك للمقرئى « القسم الأول

الجزء الأول ص ٢٤٤ ط دار الكتب سنة ١٩٣٤ » .

وَلِيَّ إِذَا ضَاقَتْ يَدِي وَذَكَرْتُهُ
تَوَسَّلْ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ طَالِبٌ
وَعِشْ آمِنًا فِي جَاهِهِ إِنْ جَاهَهُ
تَغَرَّبْتُ يَوْمًا عَنْ بِلَادِي وَزُرْتُهُ
عَلَى أَنْتِي مَا زِلْتُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
وَكُنْتُ لِمَا يَرْضَاهُ بِالْغَيْبِ فَاعِلًا
وَلَا كَانَ دِينَارِي مِنَ النَّصْحِ بِهَرَجًا
أَمْوَالِي أَنْسَيْتُ الْوَرَى ذِكْرًا مَنْ مَضَى
وَلِيَّ أَدَبٌ حُرٌّ أَحْرَمُ بَيْعُهُ
وَقَدْ أَهْجَرُ الْغَدْبُ الرُّلَالَ عَلَى الصَّدَى
وَأَنْصَبُ أَحْيَانًا شِبَاكَ قَنَاعَةٍ
وَمَهْمَا رَأَى شَاعِرٌ مُتَأَسِّدٌ
أُرَاقِبُ مَنْ عَاشَرْتُ مِنْهُمْ كَأَنِّي
كَأَنِّي إِذَا أَهْدَيْتُهُمْ^(٤) عَنْ ضَلَالِهِمْ
فَلَا بُورِكَ الْمُسْتَخْدَمُونَ عِصَابَةً
إِذَا مَا بَرَى أَفْلَامَهُ خِلْتُ أَنَّهُ
يَعَالِطُنِي بَعْضُ النَّصَارَى جِهَالَةً

مَلَكَتُ نِصَابًا أَوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبًا^(١)
فَكَمْ نَلْتُ مِنْهُ بِالتَّوَسُّلِ مُطْلَبًا
لِقَضَائِهِ رَاضٍ الزَّمَانَ وَهَذَبًا
فَنِلْتُ غِنَى مَا نَالَهُ مَنْ تَغَرَّبَا
غِنِيًّا وَفِي نَعْمَانِهِ مُتَقَلِّبًا
وَكُنْتُ لِمَا لَمْ يَرْضَهُ مُتَجَنِّبًا
لَدَيْنِهِ وَلَا بَرَقِي مِنَ الْوُدِّ خُلْبًا
وَأَغْنَى نَدَاكَ الْمَادِحِينَ وَأَتَعْبَا
وَمَا كَانَ يَنْبَغُ الْحَرَّ لِلْحَرِّ مَذْهَبًا
إِذَا كَدَّرْتُ لِي السَّمْهَرِيَّةُ مَشْرَبًا^(٢)
أَصِيدُ بِهَا نُونًا وَضَبًّا وَجُنْدَبًا
تَذَابَّ مِنْهَا خَيْفَةٌ وَتَشَعَّلَبَا
أُرَاقِبُ كَلْبًا أَوْ أُرَاقِبُ^(٣) عَقْرَبًا
أُبْصِرُ أَعْمَى أَوْ أَقْوَمُ أَحْدَبًا
فَكَمْ ظَالِمٍ مِنْهُمْ عَلَى تَعَصُّبَا
يَسْنُ لَهُ ظُفْرًا وَنَابًا وَمُخَلَّبَا
إِذَا أَوْجَبَ الْمُلَغَى وَالْقَى الْمَوْجَبَا^(٥)

(١) النصاب : من كل شيء : الأصل والمرجع ، ومنه نصاب الزكاة ، وهو قدر من المال إذا بئنه وجبت على مالكه زكاته ، نحو مئتي درهم ، وخمس من الإبل . والمنصب في كلام المولدين : ما يتولاه الرجل من العمل ، كأنه محل لنصبه . وفي الكلام القديم بمعنى الأصل والحسب والشرف .

(٢) في د : إذا كدرت في الماء فيه مشربا . وكذلك في الأصل الذي نقلت عنه النسخة التيمورية . وسكن

الذلولي رأى أن الشطر غير مستقيم ؛ فوضعه على النحو المذكور ، وأشار إلى ذلك في الهامش .

(٣) د : أراقب (٤) في الأصل : أهديتهم . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) د : إذ وجب الملغى وألقى الموجبا . والموجب ، بتشديد الجيم للوزن : اللازم .

وما كانَ مَنْ عَدَّ الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا بِأَعْلَمَ مِنِّي بِالْحِسَابِ وَأَكْتَبَا
وما الْحَقُّ فِي أَفْوَامِ قَوْمٍ كَأَنهَا أَوَانُ حَوْتِ مَاءِ خَبِيثًا مَطْحَلِبَا
مُفْلَجَةٌ أَسْنَانُهَا فَكَأَنَّهَا أَصَابَ بِهَا الزُّنْجَارُ أَخْجَارُ كَهْرَبَا^(١)
كَأَنَّ ثَنَائِيَهُمْ مِنَ الْخَبَثِ الَّذِي تَحْصَرَمَ فِي نِيَّاتِهِمْ وَتَزَبَّيَا
عَجَبْتُ لِأَمْرِ آلِ الشَّيْخِ مُخْلِصًا^(٢) إِلَى أَنْ يُعَرِّى كَاللَّصُوصِ وَيُضْرَبَا
بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثِيَابَهُ وَأَبْصَرْتُ جَسَدًا بِالْدمَاءِ مُخَضَّبَا
وَحَلَفْتُ بِاللَّهِ مَا كَانَ ذَنْبُهُ فَأَقْسَمَ لِي بِاللَّهِ مَا كَانَ مُذْنِبَا
وَلَكِنْ حَبِيبٌ رَاحَ فِي مُصَدَّقَا كَلَامِ عَدُوٍّ مَا يَزَالُ مَكْذَبَا
فَقُلْتُ : وَمَنْ كَانَ الْأَمِيرُ حَبِيبَهُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْضَى عَلَيْهِ وَيَغْضَبَا
فَصَبْرًا جَمِيلًا فَلَمَقْدَرُ كَأَنَّ فَقَدْ كَانَ أَمْرًا لَمْ تَجِدْ مِنْهُ مَهْرَبَا
فَإِبْلِيسُ لَمَّا كَانَ ضِدًّا لِآدَمَ تَخْتَلُ فِي عِصْيَانِهِ وَتَسْبَا^(٣)
وَقَدْ كَانَتْ الْعُقْبَى لِآدَمَ دُونَهُ فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ وَاجْتِبَا^(٤)
وَمِنْ قَبْلِ ذَا قَدْ كُنْتَ إِذْ كُنْتَ ذَا كِرَا نَهَيْتُكَ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ مُقْطَبَا
دَعَاكَ إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ فُحِثَتْهُ كَأَنَّكَ فِي عُرْسٍ أَتَيْتَ مُشْجَبَا
فَلَا تَلَسَّ فِينَا لِلْأَمِيرِ قُضِيَّةً فَتَفْتَحَ أَبَا لَلْعِتَابِ مُجْرَبَا
وَإِيَّاكَ أَنْ تُبْطِئَ عَلَى بِرَاتِي فَيَبْقَى عَلَيْكَ اللَّوْمُ مِنْهُ مُرَبَبَا
وَحَفَّ صَارِمًا هَزَّ الْمَدِيحُ فِرْنَدَهُ^(٥) حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ يَهْزَ وَيُنْدَبَا

(١) الزنجار : هو صدأ النحاس . والكهرمان : الكهرمان ، وهو صمغ شجرة معروفة . والفليج في الأسنان

بفحنتين : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ، وبابه طرب . (٢) هكذا بالأصل .

(٣) تختل : أظهر الخلل ، وهو الخداع . وتسبب : أوجد أسبابا .

(٤) د : وجنبا . (٥) فرند السيف : بريقه ولعانه .

فَلَا فَارَقَتْ مِنْهُ السَّعَادَةُ قَائِمًا وَلَا فَارَقَتْ مِنْهُ الْحَوَادِثُ مُضْرِبًا
وَلَا زَالَ دِينُ اللَّهِ يَرْضَى الَّذِي قَضَى بِهِ فِي بَنِي النَّعَالِ وَيَأْبَى الَّذِي أَبِي^(١)

وقال ، عفا الله عنه^(٢) ، يمدح بعض الأمراء :

لَا تَظْلَمُونِي وَتَظْلَمُوا الْحِسْبَةَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا^(٣) نِسْبَةٌ
غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ دَرَبٌ وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي دُرْبَةٌ
فَهُوَ أَبُو حَبَّةٍ كَمَا ذَكَرُوا لَا يَتَغَاضَى لِلنَّاسِ^(٤) فِي حَبَةٍ
وَقَامَ فِي قَوْمِهِ لِيُنْذِرَهُمْ فَهُوَ بِإِنْذَارِ قَوْمِهِ أَشْبَهُ
وَالنَّاسُ كَالزَّرْعِ فِي مَنَابِتِهِ هَذَا لَهُ تَرْبَةٌ وَذَا تَرْبَةٌ
تَاللَّهِ يَرْضَى فَضْلِي وَلَا أَدْبَى وَلَا طِبَاعِي فِي هَذِهِ السَّبَّةِ
أَجْلِسُ وَالنَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَيَّ فَعَلِيَ فِي السُّوقِ عُصْبَةٌ عُصْبَةٌ
أَوْجَعُ زَيْدًا ضَرْبًا وَأَشْبَعُهُ سَبًّا كَأَنِّي مُرْقِصُ الدَّيْبَةِ
وَيُكْسِبُ الْغَيْظُ مَقْلَتِي وَخَدَّتِي أَحْمَرًا كَزَامِرِ الْقِرْبَةِ
وَأَمَرَ النَّاسَ بِالصَّلَاحِ وَلَا أُصْلِحُ نَفْسِي ، حُرْمَتُهَا حِسْبَةٌ
لَمْ أَرَ فِي قُبْحٍ فَعَلَهَا حَسَنًا كَالْكَلْبِ فِي السُّوقِ يُتْلَحُّ الْكَلْبَةُ
وَمَا كَفَّاهَا حَتَّى يُخَيَّلَ لِي أَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهَا^(٥) قُرْبَةٌ
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ كَمَنْ تَغْلِيهِ فِي الرَّقَاعَةِ الرَّغْبَةُ

(١) ت ، د : بنى القال . ولا يستقيم الوزن بذلك . فلعلها ؛ بنى النعال : وهم من النصارى ، الذين

يعرض بهم في قصيدته . (٢) ت : وقال لما أمره السابق بولايته الحسبة ، وامتنع عنها

وعانده فيها الفخر الفيتي . (٣) د : بينه . (٤) في الأصل : لا يتغاضى الناس . تحريف .

(٥) ت : أتباع أهدائها ، د : اتباع إهدائنا . وقد رجعت ما أثبتته .

يمشى بها والصغار تفسده : أَمِيرُنَا زَارَنَا بِلَا رِكْبَةٍ^(١)
وما يزال الفلأم يتبعه بِدِرَّةٍ مِثْلَ رَأْسِهِ صَلْبَةٍ
وهو يقول : افسحوا لِحَتَسِبِ قَدْ جَاءَكُمْ^(٢) مِنْ دِمَشْقٍ فِي عُلبَةٍ
لا تنفقل يا فلان في بلدٍ لَمْ^(٣) تَنْفَقِلْ مِنْكَ بَيْنَهُمْ ضَبَّةً
فمن تباهى بأنه وتَدَّ فَلْيَحْتَمِلْ^(٤) دَقَّ كُلِّ مِرْزَبَةٍ
ما باله خايل الزمان بها كَمْ كَانَ لِلَّيْلِ فِيكَ مِنْ صَبَّةٍ
وقائل لَمْ يَقُلْ أَنَاهُ كَذَا يَسْفَهُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يُجِبُهُ
معناه مَنْ لَمْ يَكُنْ كَوَالِدِهِ فَهُوَ لَقِيطٌ رَمَتْ بِهِ قَجْبُهُ
قلت لهم عِنْدَ صَاحِبِي حَقٌّ فِي كُلِّ حِينٍ يُلْقِيهِ فِي نَكْبَةٍ
حَصَلَ مَا لَا جَمًّا وَعَدَدَةً مِنْ أَصْلِ مَالِ الزَّكَاةِ وَالْوَهْبَةِ
وصار عدلاً وعاقداً وَأَمِينَ الْحُكْمِ^(٥) مَنْ دَوَّنَ الْعُدُولَ فِي حِقْبِهِ
منبه^(٦) قَوْمَهُ عَلَى شُغْلٍ وَسَاعَدَ الْوَقْتَ سَعْدَ مَنْ نَبَّهَ
وَحَفَّتْ مِنْ عَتِيهِمْ عَلَى كَمَا خَافَ الْعَتَاهِي الْعَتَبَ مِنْ عُتْبِهِ
فَطَارَ بُرْعُوهُ^(٧) خَلْفَتِهِ وَرَامَ يَخْنِكِي الْأَسْوَدَ فِي الْوِثْبَةِ
فَلَمْ يَرَمْ إِذْ رَمَتْهُ بِطَنْتِهِ^(٨) إِلَى وَهُودٍ^(٩) الْخَوْلِ مِنْ هَضْبَةٍ
أَغْرَقَهُ^(١٠) جَهْلُهُ وَمَا سَرَّتْ^(١١) قَطُّ^(١٢) لَهُ سُرَّةٌ وَلَا رُكْبَةٌ

- (١) ت : أَمِيرُنَا زَارَنَا بِرِكْبَةٍ . (٢) د ، ت : كَمْ جَاءَكُمْ . (٣) ت ، د : قَدْ .
(٤) د : فَلْيَحْتَمِلْ . (٥) من : ساقطة من ت ، د : العدل ، وهذه رواية ت ،
(٦) ت ، د : نَبَّهَ . (٧) د : مِنْ غَوْثِهِ . (٨) ت : قَطْنَتِهِ .
(٩) ت : وَهَاد . (١٠) ت : أَغْرَقَهُ . (١١) ت : سَرَّتْ لَهُ .
(١٢) ساقطة من الأصل .

وَعَادَ تَمْوِيَّهُ^(١) عَلَيْهِ وَكَمْ أَخْجَلَ شَيْبُ الذُّنُونِ مَنْ خَصَبَهُ
وَرَأَحَ مِثْلَ النَّوَاتِ^(٢) فِي سُنَنِ خَيْرٍ لَهُ مِنْ سُلَافَةٍ عَطَبَهُ
وَسَاءَنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الذُّسُوفِ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي التُّرْبَةِ
فَلَا تَسَلَّنِي فَمَا حَضَرْتُ لَهَا لَكِنْ سَمِعْتُ الصِّيَاحَ وَالذُّدْبَةَ
وَقَالَتِ النَّاسُ عِنْدَ مَا وَرَدَتْ لِعَزْلِهِ الْكُتُبُ هَانَتْ الْوَجَبَةُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَاحْذَوْهُ مَعِيَ عَلَى خَلَاصِي مِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ
الْيَوْمَ حَقَّقْتُ أَنَّ أَمْرَكَ بِالْحِسَابَةِ [لِي] لَيْسَ كَانَ لِي لُغْبَهُ
بِمَا جِئْتُ مَا يَزَالُ يُنْقِذُ مَنْ رَمَاهُ رَبِّبُ الزَّمَانِ فِي كُرْبِهِ
إِنِّي أَمْرٌ حَرَفَتِي الْحِسَابُ فَلَا يَدْخُلُ رَبِّبٌ عَلَيَّ فِي حِسْبِهِ
وَلَا تَرُدُّ الْكُتَابُ جَائِزَةً عَلَى حِسَابِ^(٣) مَنِّي وَلَا شَطْبَهُ
يَشْرَقُ مِنِّي بِرَيْقِهِ رَجُلٌ يَشْرَبُ مَالَ الْعُمَالِ فِي شَرْبِهِ
وَالشَّعْرُ مِيزَانُهُ أَقْوَمُهُ^(٤) وَلَيْسَ تَنْقَامُ مِنْهُ لِي حَدْبَهُ
فَإِنِّي^(٥) لَا أَرَى^(٦) الْمَدِيحَ بِهِ لِلْعَالِ بَلْ لِلْوِدَادِ وَالصُّحْبَةِ
وَالشَّعْرُ عِنْدِي^(٧) أَخُو الْعَدَالَةِ لَا أَحْسِبُ أَقْوَالَهُ^(٨) وَلَا كَسْبَهُ
فَلَمْ أَكُنْ أَتَّبِعُ الْعُدُولَ إِلَى عَقْدٍ إِذَا مَا دُعَاؤُهُ خُطْبَهُ
مِنْ كُلِّ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً كَأَنَّهُ فِي ذَهَابِهِ عُقْبَهُ
يَذْبَحُهُ ظُلْمُهُ وَيَنْحَرُهُ الْجَهْلُ بِلا شَفَرَةٍ وَلَا حَرْبَةٍ

(١) د : توهمه . (٢) ت : النوق . (٣) د : حساب : (٤) د ، ت : أقومها .

(٥) د : فاني . (٦) ت : لا أدري . (٧) ساة من د ، ت : وبدونها لا يستقيم الوزن .

(٨) ت : أقوامه .

كَمْ غَيَّةٍ قَدْ أَتَاكَ بِهَا الشَّاهِدُ فِي سَلَمٍ وَفِي كَذِبِهِ
يُنِيلُ نَيْلُ الْمُسَوِّقِ مِنْ فِيهِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ جَعَبِهِ
فَلَيْسَ لِي فِي الشُّهُودِ مِنْ^(١) أَرْبٍ إِذْ وَصِفُوا كَالْيَهُودِ بِالْأَرْبَةِ
فَارْحَمَ لِبِيبًا يَوْمًا^(٢) دَعَاكَ وَقَدْ بَلَّغْتَ^(٣) الْجُوعُ رُوحَهُ الْآبَةَ^(٤)
لَوْ عُمَرَ ابْنُ الْعِمَارِ خَوَّلَهُ نِيَابَةَ الْخِلْدَمَتَيْنِ وَالْخَطْبَةِ
وَلَمْ يَدَعَهُ كَلًّا^(٥) عَلَى أَحَدٍ بَغِيرِ نَفْعٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ^(٦)
حَاشَاكَ يَا مَنْ أَبْوَابُهُ وَطْنِي تَخْتَارُ لِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْغُرْبَةِ
وَأَنْ حَالِي وَحَالَ عَائِلَتِي لَا يَحْمِلُونَ النَّوَى وَلَا الْغُرْبَةَ
إِنْ كَانَ أَرْضَى الزَّمَانَ فُرَقْتَنَا فَاغْضَبْ عَلَى صَرْفِهِ لَنَا غَضَبَهُ
فَأَنْتَ مِنْ مَقَشَرِ تَطْيِيعُهُمُ الْيَأْمُ عَنْ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ
وَمِنْ مَالِكٍ مَا فَوْقَ رُتْبَتِهِ عَلَى عَظِيمِ انْتِضَاعِهِ رُتْبَةٍ
مَا مَلِكُ الرُّومِ فِي جَلَالَتِهِ أَحَقُّ مِنْهُ بِالطَّيْرِ وَالْقَبَةِ
أَنْتَ الْأَمِيرُ الْمُعِيدُ أَلْسِنَتَنَا كَالْعُودِ مِنْهُ بِذِكْرِهِ رَطْبَهُ
وَالسَّابِقُ الْأَوَّلِينَ فِي كَرَمٍ لَمَّا جَرَى وَالْكَرَامُ فِي حَلْبَةٍ
وَالْهَازِمُ الْجَيْشَ وَالْكَتَائِبَ بِالطَّفْنَةِ يَوْمَ الْوَعَى وَبِالضَّرْبَةِ
وَالطَّاهِرُ الذَّيْلَ وَالطَّوِيَّةَ أَوْ يَكْفِي السَّعِيدَ الْحَرَكَ وَالنَّصْبَةَ^(٧)
مَنْ خُلِقَ كَالنَّسِيمِ يَنْشُرُ إِنْ هَبَّ عَلَيْهِ مِنْ نَشْرِهِ هَبَّةٌ

(١) من : ساقطة من د ، ت . وقد أضفتها لوزن الشعر . (٢) إذا : إساقطة من د ، ت :

والزيادة من عند الوزن . (٣) د ، ت : من شدة الجوع . والجوع : الخبطة .

(٤) البة : المنحر . (٥) كلاً : عباً . (٦) يريد كأنه والبة ، وهي فراخ الزرع ، وقيل الزرعة تنبت من

عرق الزرعة الأولى . (٧) النصبة : المرة من النصب ، أى التعب .

وَمَنْ إِذَا ذَكَرْتَ سُودْدَهُ يَهْزُنِي عِنْدَ ذِكْرِ طَرَبِهِ
صَلَاحُهُ اسْتِخْدَمَ الزَّمانَ لَهُ فَصَارَ يَمْشِي قُدَّامَهُ حَاجِبُهُ

قافية الحاء . قال يمدحه ، صلى الله عليه وسلم ، وهى من الكامل ^(١) :

أَمْدَانِجُ لِي فِيكَ أَمْ تَسْبِيحُ	لَوْلَاكَ مَا غَفَرَ الذُّنُوبَ مَدِيحُ
حُدَّتْ أَنْ مَدَانِي فِي الْمُصْطَفَى	كَفَّارَةٌ لِي وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ
أَرْبَعُ بَيْنَ أَهْدَى إِلَيْهِ ثَنَاءُهُ	إِنَّ الْكَرِيمَ لَرَّابِحُ مَرْبُوحُ
يَا نَفْسُ دُونَكَ مَدَحَ أَحَدٌ إِنَّهُ	مِسْكُ تَمَسَّكَ رِيحُهُ وَالرُّوحُ
وَنَصِيبُكَ الْأَوْفَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي	مِنْهُ الْعَبِيرُ لِسَامِعِيهِ يَفُوحُ
إِنَّ النَّبَىَّ مُحَمَّدًا مِنْ رَبِّهِ	كَرَّمَ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ مَنُوحُ
اللَّهُ فَضَّلَهُ وَرَجَّحَ قَدْرَهُ	فَلَيْمَنِهِ التَّفْضِيلُ وَاللَّزْجِيحُ
إِنْ جَاءَ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ فَفَضْلُهُ	مِنْ بَعْدِهِ جَاءَ الْمَسِيحُ وَنُوحُ
جَاهُوا بِوَحْيِهِمْ وَجَاءَ بِوَحْيِهِ	فَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْكُوكَبِ يُوحُ ^(٢)
حَارَتْ عُقُولُ النَّاسِ فِي أَوْصَافِهِ	وَتَبَلَّدَتْ وَلَهَا بِهَا تَنْفِيحُ
أَنْ يُكَيِّفَهَا أَمْرٌ وَيَحْدُثُهَا	بِالْقَوْلِ وَهِيَ لِذَا الْوُجُودِ الرُّوحُ
رَدَتْ شَهَادَتَهُ أَنَا نَسْ مَا لَهُمْ	طَعْنٌ عَلَيْهِ بِهَا وَلَا تَجْرِيحُ
وَلَقَدْ أَتَى بِالْبَيِّنَاتِ صَحِيحَةً	لَوْ أَنَّ نَاطِرَ مَنْ عَصَاهُ صَحِيحُ
عَرَفُوهُ مَعْرِفَةَ الْيَقِينِ وَأَنْسَكُرُوا	إِنَّ الشَّقَى إِلَى الشَّقَاءِ جَمُوحُ

(١) ت : وقال ، رضى الله عنه وأرضاه ، من الكامل . (٢) يوح : الشمس .

فَأَبَادَ مَنْ أَبَدَى مُخَالَفَةً لَهُ فَالسَّيْفُ مِنْ تَعَبِ الْخِلَافِ قَرِيحُ
وَجَلَّ ظِلَامُ الظُّلَمِ لَمَّا أَوْ مَضَتْ وَمَضَتْ لَدَيْهِ صَحَافٌ وَصَفِيحُ^(١)
شَيْثَانٍ لَا يَنْفِي الضَّلَالِ سِوَاهَا نُورٌ مُقَاضٌ أَوْ دَمٌ مَسْفُوحُ
عَجَبًا لَهُمْ لِمَ يُنْكِرُونَ نُبُوَّةَ ثَبَتَتْ وَلَمْ يُنْفَخْ بَادَمَ رُوحُ
مَالِي اشْتَغَلْتُ بِزَجْرِهِمْ فَكَانِي بَيْنَ الطَّوَائِفِ طَارِقُ^(٢) مَنْبُوحُ
لَا تُتَعَبِينَ بِذِكْرِهِمْ قَلْبًا غَدَا وَلَهُ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَرْوِيحُ^(٣)
وَأَنْشُرْ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ فِكْلُ مَا تَرْوِيهِ مِنْ خَبَرِ الْحَبِيبِ سَلِيحُ
وَإِذَا كُرُ مِنْاقِبَهُ^(٤) الَّتِي أَلْفَاظُهَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِذِكْرِهَا وَاللُّوحُ^(٥)
أَعْجَبَتْ أَنْ غَدَتِ الْعِمَامَةُ آيَةً لِ مُحَمَّدٍ يَغْدُو بِهَا وَيَرْوَحُ
أَوْ أَنْ أَتَتْ سَرَحُ^(٦) إِلَيْهِ مُطِيعَةً فَكَأَنَّمَا أَتَتْ الرِّيَاضَ سُرُوحُ^(٥)
وَلْيَنْبَعِ الْمَاءُ الْمَعِينِ بَرَاةٍ رَاحَ الْخَصَى وَلَهُ بِهَا تَسْلِيحُ
أَوْ أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِ جِذْعُ يَاسٍ شَوْقًا وَيَشْكُو بَشَّةً وَيَنْوَحُ^(٦)
حَتَّى دَنَا مِنْهُ النَّبِيُّ وَمَنْ دَنَا مِنْهُ نَأَى عَنْ قَلْبِهِ التَّبَرُّيحُ
وَبَانَ يُكَلِّمُهُ الذَّرَاعُ وَكَيْفَ لَا يُفْضِي إِلَيْهِ بِسِرِّهِ وَيَبُوحُ
وَبَانَ يَرَى الْأَعْمَى وَتَنْقَلِبَ الْعَصَا سَيْفًا وَيَحْيَا الْمَيِّتُ وَهُوَ طَرِيحُ
وَبَانَ يُغَاثُ النَّاسُ فِيهِ وَقَدْ شَكَّوْا مَحَلًّا لَوْجِهِ الْأَرْضِ مِنْهُ كُلُّوْحُ^(٧)

(١) أومضت: لمعت. ومضت: من المضاء والجلدة. (٢) الطارق: الآق ليلا.
(٣) ترويح، من الراحة. (٤) اللوح: الهواء. (٥) الروح: الدواب السارحة: جمع سرح،
وقد تكون بمعنى الأشجار الكبيرة. (٦) البث: الحزن.
(٧) الكلوح: العبوس.

وَبَأْنُ يَفِيضَ لَهُ وَيَعْذِبَ مِنْهُ
يَا بَرْدَ أَكْبَادٍ أَصَابَ عِطَافُهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
أَسْرَى إِلَهُهُ بِجِسْمِهِ فَكَأَنَّهُ
وَدَنَا فَلَا يَدُ آمِلٍ مُتَدَّةٌ
حَتَّى إِذَا أَوْحَى إِلَيْهِ اللَّهُ مَا
عَادَ الْبَرَّاقُ بِهِ وَثُوبُ أَدِيمِهِ
فَذَرُوا شَيَاطِينَ الْأَلَى كَفَرُوا بِهِ
تَاللَّهِ مَا الشُّبُهَاتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ
كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَدَلَتْ حَرَكَاتِهِ
لَوْلَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعُلُومُهُ
عَقَدَ الْإِلَهُ بِهِ الْأُمُورَ فَلَمْ يَكُنْ
ضَلًّا الَّذِينَ تَأَلَّهُوا أَحْبَارَهُمْ
يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ قَدْ عُوِفِيتُمْ
فَاسْتَبَشِرُوا بِشِرَا الْإِلَهِ وَبَيِّعْكُمْ
وَتَعَوَّضُوا تَمَنَ النَّفُوسِ مِنَ الْهَدَى
يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ (٥) مَمْلُوءَةٌ
نَدْعُوكَ عَنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ

قَدْ كَانَ مُرًّا مَاؤُهُ الْمَنْزُوحُ
مَا لَا يَرِيقُ مُحَمَّدٍ مَجْدُوحُ (١)
عَيْثُ لِعِلَّاتِ الذُّنُوبِ مُزِيحُ
بَطْلٌ عَلَى مَتْنِ الْبَرَّاقِ مُشِيحُ (٢)
طَمَعًا وَلَا طَرْفُ إِلَيْهِ طَمُوحُ
أَوْحَى وَحَانَ إِلَى الرَّجُوعِ جُنُوحُ (٣)
لَيْلًا بِمَاءِ حَيَاتِهِ مَنْضُوحُ (٤)
يُوحُوا إِلَيْهِمْ مَا عَسَى أَنْ يُوحُوا
إِلَّا كَمَا يَتَحَرَّكُ الْمَذْبُوحُ
رُوحٌ وَعُودٌ مَيْلَتُهُ الرِّيحُ
لَمْ يُعْرِفِ التَّحْسِينَ وَالتَّقْبِيحُ
لِسِوَاهُ إِمْسَاكٌ وَلَا تَسْرِيحُ
لِيُحَرِّمُوا وَيُحَلِّلُوا وَيُبَيِّحُوا
مِمَّا ابْتَلُوا وَالْمُبْتَلَى مَفْضُوحُ
مِنْهُ فَيَزَانُ الْوَفَاءَ رَجِيحُ
فِيْنِ الْهَدَى تَمَنُ النَّفُوسِ رَيْحُ
كَرَّمًا وَبَابُ عِطَافِهِ مَفْتُوحُ
وَجَحَالُ فَضْلِكَ لِلْعَفَاةِ (٦) فَسِيحُ

(١) المجدوح : المزوج . (٢) المشيح : الجاد في الأمور .
(٣) جنح إلى الشيء : مال إليه . (٤) الأديم : الجلد . ونفضه بالماء : أى رشه .
(٥) د : خزائن ملكه . (٦) د : للعباد .

فَاصْفَحْ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسِيءِ تَكَرُّمًا
وَاقْبَلْ رَسُولَ اللَّهِ عُدْرَ مُقَصِّرٍ
فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ صِفَاتِكَ هَائِمٌ
يَرْتَاحُ إِنْ ذُكِرَ الْحَمِيُّ وَعَقِيقُهُ
شَوْقًا إِلَى حَرَمٍ بَطِييَّةٍ آمِنٍ
إِنِّي لَا رَجُو أَنْ تَقَرَّ بِقُرْبِهِ
فَاكْحَلْ بِطَيْفٍ مِنْهُ طَرْفًا جَفَنَهُ
فَلَقَدْ حَبَانِي اللَّهُ فِيكَ مَحَبَّةً
دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ
مَا اقْتَرَّ نَفْرُ لِلْأَزْهَرِ أَشْنَبَ
وَأَرَاكُهُ وَثَمَامُهُ وَالشَّيْخُ^(١)
طَابَتْ بِذَلِكَ رَوْضَةً وَضَرِيحَ
عَيْنِي وَيُوسَى قَلْبِي الْمَجْرُوحَ^(٢)
بِدُمُوعِهِ حَتَّى يَرَاهُ قَرِيحَ^(٣)
قَلْبِي بِهَا إِلَّا عَلَيْكَ شَحِيحَ
يَتَلَوُ غَبُوقَهُمَا لَدَيْكَ صَبُوحَ^(٤)
وَأَهْلَ دَمْعٍ لِلْسَّحَابِ سَفُوحَ

قَافِيَةِ الدَّالِ : وَقَالَ^(٥) يَمْدَحُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ :

جَنَابِكَ مِنْهُ تُسْتَفَادُ^(٦) الْفَوَائِدُ
فَطُوبَى لِمَنْ يَسْعَى لِشَهْدِكَ الَّذِي
إِذَا يَمَمْتُهُ الْقَاصِدُونَ تَيَسَّرَتْ
تَحَقُّقَاتِ^(٧) الْبُشْرَى لِمَنْ هُوَ رَاكِعٌ
فَعَقَّرَتْ الشُّبَانُ وَالشَّيْبُ أَوْجُهًا
وَلِلنَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ عَوَائِدُ
تَكَادُ إِلَى مَغْنَاهُ تَسْعَى الْمَشَاهِدُ
عَلَيْهِمْ - وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوكَ - الْمَقَاصِدُ
يُرْجَى بِهِ فَضْلًا وَمَنْ هُوَ سَاجِدُ
بِهِ وَالْعَذَارَى حُسْرُ وَالْقَوَاعِدُ

(١) الأراك : شجر معروف . الثمام والشَّيْخ : من النبات . (٢) يوسى : يداوى .

(٣) القريح : الجريح ، د : حتى يراح . (٤) الغبوق : شرب آخر النهار . والصبح : شرب أوله .
والمعنى هنا ، أن يردد الصلاة على النبي صباح مساء .

(٥) ت : وقال ، عفا الله عنه ، من الطويل . (٦) د : تستفيد . (٧) د : تحققه .

هُوَ الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ الْكَثِيرُ زِحَامُهُ
أُنْتُتْ إِلَيْهِ وَالرَّجَاءُ مُحَلًّا^(١)
فِيَالِكَ مِنْ يَأْسٍ بَلَغَتْ بِهِ الْمُنَى
أَلَذُّ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ مَوَاقِعَا
سَلِيلَةَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ «نَفِيسَةً»
إِذَا جُحِدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ضِيَاءُهَا
بَابَاثِكَ الْأَطْهَارِ زُيِّنَتْ الْعُلَا
وَرِثَتْ صِفَاتِ الْمَصْطَفَى وَعُلُومُهُ
فَلَمْ يَنْدَسِطْ إِلَّا بِعِلْمِكَ عَالَمِ
مَعَارِفُ مَا يَنْفَكُ يُغْضَى بِسِرِّهَا^(٢)
يُضِيءُ مُحْيَاهُ كَانَ ثَنَاهُ
إِذَا مَاضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ هُدَى أَنَى
تَبَلَّجَ مِنْ نَوْرِ النُّبُوَّةِ وَجْهَهُ
وَفَاضَتْ بِحَارِ الْعِلْمِ مِنْ قَطْرِ سُجْبِهَا
رَأَى زِينَةَ الدُّنْيَا غُرُورًا فَعَاثَهَا
كَأَنَّ الْمَعَالِيَ الْآهْلَاتِ بَغْيَرِهِ
إِذَا ذُكِرَتْ أَعْمَالُهُ وَعُلُومُهُ

فَرَدَهُ فَمَا مِنْ دُونِ وَرْدِكَ ذَائِدُ
فَمَا عُدْتُ إِلَّا وَالْمُحَلَّا وَارِدُ^(٣)
وَعُسْرٍ لَا أَقْضَى الْبَسَارِ مَقَالِدُ
عَلَى كَيْدِ الظَّمَانِ وَالْمَاءِ بَارِدِ
سَمَتْ بِكَ أَعْرَاقُ وَطَابَتْ مَحَاتِدُ^(٤)
فَفَضْلُكَ^(٥) لَمْ يَحْجِذْهُ فِي النَّاسِ جَاحِدُ
فَحَبَّاتُ عِقْدِ الْمَجْدِ مِنْهُمْ فَرَائِدُ
فَفَضْلُكُمَا لَوْلَا النُّبُوَّةُ وَاحِدُ
وَلَمْ يَنْقَبِضْ إِلَّا بِزُهْدِكَ زَاهِدِ
إِلَى مَاجِدٍ مِنْ آلِ أَحْمَدَ مَاجِدِ
إِلَى الصُّبْحِ سَارٍ أَوْ إِلَى النَّجْمِ صَاعِدِ
إِمَامٌ هُدَى يَدْعُو إِلَى اللَّهِ رَاشِدِ
فَنَهْ عَلَيْهِ الْعُيُوثُ شَوَاهِدِ
عَلَيْهِ فَطَابَتْ لِلْوَرَادِ الْمَوَارِدُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عَلَى الْفَضْلِ حَاسِدِ
رُبُوعٌ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَمَعَاهِدِ
أَقْرَبَ لَهَا زَيْدٌ وَبَكْرٌ وَخَالِدُ

(٢) ت: محامد .

(١) محلاً : مصدود : من حلاه : بمعنى صده .

(٤) د : يبسرهما .

(٣) ت : لفضلك .

وَمَا يَسْتَوِي فِي الْفَضْلِ حَالٍ وَعَاطِلٌ
فَقُلْ لِيَنِي الزَّهْرَاءُ وَالْقَوْلُ قُرْبَةٌ
أَحَبُّكُمْ قَلْبِي فَأَصْبَحَ مَنْطِقِي
وَهَلْ حُبُّكُمْ لِلنَّاسِ إِلَّا عَقِيدَةٌ
وَإِنْ أَعْتَقَادًا خَالِيًا مِنْ حَبَّةٍ
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ سَيُلْحِقُنِي بِكُمْ
فَإِنَّ سِرَّاءَ^(٢) الْقَوْمِ مِنْهُمْ عَبِيدُهُمْ
فَدَتَكُمْ أَنْاسٌ نَارَعَوْكُمْ سِيَادَةً
أَرَادُوا بِكُمْ كَيْدًا فَكَادُوا نَفْسَهُمْ
فَإِنْ حَبِزَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ فَإِنَّ مَنْ
وَلَوْ أَنْكُمْ أَبْنَاؤُهَا مَا أَتَيْتُمْ
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْقَضَايَا الَّتِي جَرَتْ
وَجَدَدَتِ الذِّكْرَى عَلَى الْعَالِيَاءِ
أَفِي مِثْلِ ذَلِكَ الْخُطْبِ مَا سُلِّ مَغْمَدٌ
تَعَاظَمَ رُزْءًا فَالْعَبِيدُونَ شَوَاحِصُ
وَطُفَّفَ^(٥) يَوْمَ الطَّفِّ كَيْلُ دِمَائِكُمْ^(٦)
فِيَا فِتْنَةً بَعْدَ النَّبِيِّ بِهَا غَدَا
وَلَا قَاعِدٌ يَوْمَ الْوَعْدِ وَمَجَاهِدٌ
يَكِلُ لِسَانٌ فِيهِمْ أَوْ حَصَانِدُ^(١)
يُجَادِلُ عَنْكُمْ حِسْبَةً وَيُجَالِدُ
عَلَى أَسْهَا فِي اللَّهِ تُبْنَى الْقَوَاعِدُ
وَوُودٌ لَكُمْ آلَ النَّبِيِّ لِفَاسِدٍ
وَلَا يُفِي فَيَدْنُو الْمَطْلَبُ الْمُتَبَاعِدُ
وَإِنْ حُرُوفَ النُّطْقِ مِنْهَا الزَّوَانِدُ
فَلَمْ أَدْرِ سَادَاتُ هُمْ أَمْ أَسَاوِدُ
بِكُمْ وَعَلَى الْأَشَقِّ تَعَوُّدُ الْمَكَائِدُ
نَفَى زَيْفَهَا سَلَامًا^(٣) إِلَيْهِمْ لِنَاقِدُ
وَمَا كَانَ مَوْلُودٌ لِيَأْبَاهُ وَالِدُ
أَقِضْتُ عَلَى جَنْبِيَّ مِنْهَا الْمَرَاقِدُ
أُكَابِدُ مِنْهَا فِي الدُّجَى مَا أُكَابِدُ
وَلَا قَامَ فِي نَصْرِ الْقَرَابَةِ قَاعِدُ
لَهُ دَهْشَةٌ وَالتَّائِكَلَاتُ سَوَامِدُ^(٤)
إِذَا الدَّمُ جَارٍ فِيهِ وَالدَّمْعُ جَامِدُ
يُهْدَمُ إِيْمَانُ وَتُبْنَى مَسَاجِدُ

(١) حصائد الألسنة : هو ما قيل في الناس باللسان . والأصل : لكل لسان فيهم أو حصائد ، ففيه أقواء .

(٢) ت : صدور . (٣) السلم : السلام ، ضد الحرب .

(٤) سوامد : جمع سامة ، وبابه : دخل ، ومعناه الالهية ، ويقصد هنا التي شغلها الحزن .

(٥) طفف : زاد على حده . والطف : المكان الذي قتل فيه الحسين بن علي قرب الكوفة .

(٦) د ، ت : ذمائكم ، بالذال المعجمة ، ووظن الصواب ما أثبتناه .

وَمَا فَتَنَتْ بَعْدَ ابْنِ عِمْرَانَ قَوْمَهُ
كَذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ
وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَحْضُ سَعَادَةٍ
وَأَتَمُّ أُنَاسٍ أَذْهَبَ الرَّجْسُ عَنْهُمْ
إِذَا مَارَ ضَوْا لِلَّهِ أَوْ غَضِبُوا لَهُ
وَسَيَّانٍ مِنْ بَجْرِ الْعِدَا مُتَوَقِّدٌ
وَقَدَّتْ عَلَيْكُمْ بِالْمَدِيحِ وَكُلِّكُمْ
وَقَدْ بَيَّنَّتْ لِي هَلْ^(١) أَتَى كَمْ أَتَى بِهَا
فَلَوْلَا تَغَاضِيكُمْ لَنَا فِي مَدِيحِكُمْ
وَلَمْ أَرْتَرَقْ مِنْ غَيْرِكُمْ بِتِجَارَةٍ
عَمَدَتْ لِقَوْمٍ مِنْهُمْ فَكَأَنِّي
أَطْلُبُ مِنْ قَوْمٍ سِوَاكُمْ مُسَاعِدًا
وَمَنْ وَجَدَ الزَّيْدَ الَّذِي هُوَ ثَاقِبٌ
وَحَسْبِي إِذَا مَدَحَ ابْنَةَ الْحَسَنِ الَّتِي
وَإِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي قَلَانْدًا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، هِيَ الرُّتَبُ الْعُلَا
كَأَنِّي إِذَا أُنْشَدْتُ فِي النَّاسِ مَدَحَهَا

بِمَا عَبَدُوا إِلَّا لِيَهْلِكَ عَابِدُ
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا يُرِيدُ مُعَانِدُ
لَكُمْ دُونَهُمْ لَمْ يُمْعِدِ السَّيْفَ غَامِدُ
فَلَيْسَ لَهُمْ خَطْبٌ وَإِنْ جَلَّ جَاهِدُ
تَسَاوَى الْأَدَانِي عِنْدَهُمُ وَالْأَبَاعِدُ
عَلَى بَهْرَمَانَ الصَّدَقِ مِنْكُمْ وَخَامِدُ
عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ بِالْمَدْحِ وَافِدُ
مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ لَكُمْ وَمَحَامِدُ
لَرُدَّتْ عَلَيْنَا بِالْعُيُوبِ^(٢) الْقَصَائِدُ
بَصَائِعُهَا عِنْدَ الْأَنَامِ كَوَاسِدُ
عَلَى عَمَدٍ لَا يَرِجُّ الْقَوْلُ عَامِدُ
وَقَدْ صَدَّحَ حِرْمَانُهُمْ أَنْ يُسَاعِدُوا^(٣)
فَلَنْ يَقْدَحَ الزَّيْدُ^(٤) الَّذِي هُوَ صَالِدُ
لَهَا كَرَمٌ مَجْدٌ طَرِيفُ^(٥) وَتَالِدُ
إِلَيْهَا حَلَالٌ هَدْيُهَا وَالْقَلَانْدُ
هِيَ الْغَايَةُ الْقَصْوَى لِمَنْ هُوَ قَاصِدُ
لِمَا ضَلَّ مِنْ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ نَاشِدُ

(١) سورة الإنسان وأولها: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا». ولعله يشير إلى قوله تعالى فيها: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا... الخ»، فقد روى أنها نزلت في علي بن أبي طالب.
(٢) د: في العيوب. (٣) د، ت: يساعد فأضفت إليها واو الجماعة.

(٤) الزند: العود الذي يقدح به النار، وهو الأعلى. والزندة، السفلى، فيها ثقب. والصالد: الخالي من الثقب. (٥) الطريف: المستحدث. وهو ضد التالذ. وابنة الحسن: هي السيدة الزورعة الثقية العاملة، نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب. توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ. ودفنت بمشهدها المعروف، وفيها قال البوصيري هذه القصيدة.

أَسَيِّدَتِي هَا ^(١) قَدَرَجَوْتُكَ مُعَلِّناً
وَأَعْيُنُ آمَالِي إِلَيْكَ نَوَاطِرُ
وَمَا أَجْدَبْتُ قَوْمٌ أَنِي مِنْ لَدُنْهُمْ
وَلَوْلَا نَدَى كَفَيْكَ مَا اخْضَرَ يَابِسُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَا بَنَّةَ الْحَسَنِ الَّذِي
وَمَالِي لَا أَشْكُو لَالِ مُحَمَّدٍ
وَمَنْ لَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَنِّي صَارَفُ
تَسَلَّطَ شَيْطَانٌ مِنَ النَّفْسِ غَالِبُ
فَيَا وَبِخَ قَلْبِي مَا تَزَالُ سَمَاوُهُ
فِيَا سَامِعَ الشَّكْوَى وَيَا كَاشِفَ الْبَلَا
وَيَا مَنْ هَدَى الطِّفْلَ الرَّضِيعَ وَلَمْ تَتُوبْ
وَيَا مَنْ سَقَى الْوَحْشَ الظَّمَاءَ وَقَدَحَتْ
وَيَا مَنْ يُزَجِّي ^(٢) الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لُطْفُهُ
وَيَا مَنْ هُوَ السَّمْعُ ^(٣) الطَّوَائِقِ رَافِعُ ^(٤)
وَيَا مَنْ تُنَادِينَا خَزَائِنُ فَضْلِهِ
فَلَا الْبَابُ ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ مُغْلَقُ
دَعَوْنَاكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ

بِمَا أَنَا مِنْ دُرِّ الْمَنَاقِبِ نَاصِدُ ^(٦)
بِمَا أَنَا مِنْ عَادَاتِ فَضْلِكَ عَائِدُ
لِمُرْعَى الْأُمَانِي مِنْ جَنَابِكَ رَائِدُ
وَلَا اهْتَزَّ مِنْ أَرْضِ الْمَكَارِمِ هَامِدُ ^(٧)
لَقَيْتُ وَإِنِّي إِنْ شَكَوْتُ لِحَامِدِ
خُطُوبًا بِهَا ضَاقَتْ عَلَى الْمُرَاصِدِ
وَمَنْ لَهُ مُومِرِ الْقَلْبِ عَنِّي طَارِدُ
عَلَى وَشَيْطَانٍ مِنَ الْبُؤْسِ مَارِدُ
بِهَا لِشَيْطَانِ الْخُطُوبِ مَقَاعِدُ
إِذَا نَزَلَتْ فِي الْعَالَمِينَ الشَّدَائِدُ
إِلَيْهِ قُوَى عَقْلٍ وَلَا اشْتَدَّ سَاعِدُ
مَوَارِدَهَا مِنْ أَنْ تُنَالَ الْمَصَائِدُ
وَهُنَّ جَوَارِ بَلٍ وَهُنَّ رَوَاكِدُ
وَمَنْ هُوَ لِلْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ مَاهِدُ
إِلَى رِفْدِهِ إِنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ رَافِدُ
وَلَا خَيْرَ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ نَاقِدُ
وَكُلُّ بِمَا يَلْقَاهُ لِلصَّبْرِ فَاقِدُ

(١) هل : تحريف . (٢) نضد الشيء : وضع بعضه على بعض ، وبابه ضرب .
(٣) أرض هامة ، أى لا نبات بها . (٤) ت : يجرى .
(٥) ت : ليسع . (٦) ت : دافع . (٧) د : فلا باب .

وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا إِلَيْكَ ضَائِرٌ^(١) وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي الصَّائِرِ شَاهِدٌ
دَعَوْنَاكَ مُضْطَرِّينَ يَارَبَّ فَاسْتَجِبْ فَإِنَّكَ لَمْ تَخْلَفْ لَدَيْكَ الْمَوَاعِدِ
فَلَيْسَ لَنَا غَوْلٌ سِوَاكَ وَمَلْجَأٌ نُرَاجِعُهُ فِي كَرْبِنَا وَنُعَاوِدُ
فَقَدَّرَ لَنَا الْخَيْرَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا أَحَدٌ عَمَّا تَقْدَرُ حَائِذٌ
وَصَفَحًا عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ سَائِقٌ^(٢) لِنَارِكَ إِلَّا أَنْ عَقَوْتَ وَقَائِدَ
وَصَلْ حَبْلَنَا بِالمُصْطَفَى إِنَّ حَبْلَهُ لِنَاصِلَةٍ يَارَبَّ مِنْكَ وَعَائِدَ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا أَحْمَدُ السَّرَى إِلَيْهِ وَذَلَّتْ لِمَعْطَى فِدَاؤُهُ^(٣)

وقال في مدح^(٤) السيد المصطفى؛ صلى الله عليه وسلم؛ واعتذر فيها عن النار التي ظهرت
في أرض الحجاز؛ والنار التي احترق منها الحرم الشريف^(٥)؛ وردَّ على النصارى واليهود، وسَمَّاهَا:
«تَقْدِيسَ الْحَرَمِ، مِنْ تَدْنِيسِ الضَّرَمِ»، وكناها بِأَمِ النَّارَيْنِ^(٦).

إِلَهِي عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ لَكَ الْحَمْدُ فَلَيْسَ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ حَدٌّ
لَكَ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ الزَّمَانِ وَبَعْدِهِ وَمَالَكَ قَبْلُ كَالزَّمَانِ وَلَا بَعْدُ
وَحُكْمُكَ ماضٍ فِي الْخَلَائِقِ نَافِذٌ إِذَا شِئْتَ أَمْرًا لَيْسَ مِنْ كَوْنِهِ بُدٌّ
تُضِلُّ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْوَرَى وَمَا بِيَدِ الْإِنْسَانِ غَيٌّ وَلَا رُشْدٌ
دَعُونا مَعَشَرَ الضَّالِّينَ عَنَّا حَدِيثُكُمْ فَلَا خَطَأَ مِنْهُ يُجَابُ وَلَا عَمْدُ

(١) د : ضائري . (٢) د ، ت : سابق ، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) ت : القدا ف .

(٤) ت : وقال رضى الله تعالى عنه . (٥) ت : صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٦) ظهرت هذه النيران بالمدينة سنة ٦٥٤ هـ بسبب هزات أرضية . ثم حدث بعد ذلك أن احترق المسجد النبوى والحجرة النبوية ، لسقوط مرجة القيم ، كما ذكر ذلك المقرئى فى السلوك .

(٧) ت : بِأَمِ النَّارَيْنِ ، والقصيدة من بحر الطويل .

فَلَوْ أَنكُمْ خَلَقْتُمْ كَرِيمًا مُّسِيحًا
 أَنَا نَا حَدِيثٌ مَا كَرِهْنَا بِمِثْلِهِ
 غَنِيْتُمْ عَنِ التَّوْبِيلِ فِيهِ بَظَاهِرٍ
 وَأَعْشَى ضِيَاءِ الْحَقِّ صَعَفَ عَقُولِكُمْ
 وَلَنْ تَدْرِكُوا بِالْجَهْلِ رُشْدًا وَإِنَّمَا
 وَعِظْتُمْ فَزِدْتُمْ بِالْمَوَاعِظِ قَسْوَةً
 وَمَا كَيْنَتْ نَارُ الْحِجَازِ قُلُوبَكُمْ
 وَمَا هِيَ إِلَّا عَيْنُ نَارِ جَهَنَّمَ
 أَتَيْتُمْ بِشَوَاطِئٍ مُّكْفَرَةٍ نُّحَاسُهُ (١)
 فَمَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلٍ غَدَا وَهُوَ أَبْيَضٌ
 تَدْمُرُ مَا تَأْتِي عَلَيْهِ كَمَا صَفِي
 تَمَرُّ عَلَى الْأَرْضِ الشَّدِيدِ اخْتِلَافُهَا
 وَتَرْمِي إِلَى الْجَوِّ الصُّخُورَ كَأَنَّمَا
 وَتَخْشَى بَيُوتُ النَّارِ حَرَّ دُخَانِهَا
 فَلَوْ قُرِبَتْ مِنْ سَدٍّ يَأْجُوجَ بَعْدَ مَا
 وَلَمَّا أَسَاءَ النَّاسُ حِيَرَةَ رَبِّهِمْ
 أَرَاهُمْ مَقَامًا لَيْسَ يَرُوعَى لِحَاجِرِهِ
 يَقُولُ لَكُمْ لَكِنْ بَيْنَ يُمْسَخُ الْقِرْدُ؟
 لَكُمْ فِتْنَةٌ فِيهَا لِكُلِّكُمْ حَصْدٌ
 وَمَنْ تَرَكَ الصَّمَمَ لَمْ يُغْنِهِ الْغَمْدُ
 وَشَمْسُ الضُّحَى تَعْشَى بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّيْفِ وَالْجَلِيدِ النَّقْدُ (٢)
 وَلَيْسَ يُفِيدُ الْقَدَحُ إِنْ أَصْلَدَ الزُّنْدُ (٣)
 وَقَدْ ذَابَ مِنْ حَرِّهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
 تَرَدَّدَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الْحَرُّ وَالْبَرْدُ
 فَلَوْحَ مِنْهَا لِلضُّحَى وَالْدَّجَى جِلْدُ
 وَمَا بِيضٌ مِنْ صُبْحٍ غَدَا وَهُوَ مُسْوَدٌ
 مِنَ الرِّيحِ مَا إِنْ يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
 فَتَنْجِدُ غَوْرًا أَوْ يَغُورُ بِهَا تَجِدُ
 بِبَاطِنِهَا غَيْظًا عَلَى الْجَوِّ أَوْ حَقْدُ
 وَيَزْدَادُ طُغْيَانًا بِهَا الْفُرسُ وَالْهِنْدُ
 بَنَى مِنْهُ ذُ الْقَرَنَيْنِ ذُكَّ بِهَا السَّدُّ
 وَلَمْ يَرَعْهَا مِنْهُمْ رَيْسٌ وَلَا وَغْدُ
 ذِمَامٌ وَلَمْ يُحَفَظْ لِسَاكِنِهِ عَهْدُ

(١) النقد : تمييز الدراهم .

(٢) أصله : لم تخرج منه نار . الزند : الحديد التي يقدح بها .

(٣) النحاس : دخان لا طيب فيه .

مدينة نَارٍ أُخْكِمَتْ شُرُفَاتُهَا وَقَدْ أَبْصَرَتْهَا أَهْلُ بُصْرَى كَأَنَّمَا أَضَامَتْ عَلَى بُعْدِ الزَّارِ لِأَهْلِهَا أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ قَصْدُهَا يَرُوحُ وَيَغْدُو كُلُّ هَوَلٍ وَكَرْبَةٍ فَلَمَّا التَّجَّوَّا لِلْمَصْطَفَى وَتَحَرَّمُوا أَتَوْا بِشَمِيعٍ لَا يَرُدُّ وَلَمْ يَكُنْ فَاطُفِلَتِ النَّارُ الَّتِي وَقَفَ الْوَرَى فَإِنْ حَدَّثَتْ مِنْ بَعْدِهَا نَارٌ فَرِيَّةٌ فَلِلَّهِ سِرُّ الْكَائِنَاتِ وَجَهْرُهَا وَقَدْ مَاتَحَى مِنْ صَاحِبِ الْفِيلِ يَبْتَهُ وَلِلَّهِ سِرٌّ أَنْ فَدَى ابْنَ خَلِيلِهِ فَلَا تُنْكَرُوا أَنْ يُحْرَمَ الْحَرَمُ الْغَنَى وَقَدْ فُدِيَتْ مِنْ مَالِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ فَوَاعَجَبَا حَتَّى الْبِقَاعُ كَرِيمَةً فَإِنْ يَتَصَوَّعُ مِنْهُ طِيبٌ بِطَيْبَةٍ وَإِنْ ذَهَبَتْ بِالنَّارِ عَنْهُ زَخَارِفُ أَلَا رُبَّمَا زَادَ الْحَبِيبُ مَلَاحَةً

وَأَبْرَاجُهَا وَالسُّورُ إِذْ أَبْدَعَ الْوَقْدُ هِيَ الْبَصْرَةُ الْجَارِي بِهَا الْجَزْرُ وَلَمَّا مِنَ الْإِبِلِ الْأَعْنَاقُ وَاللَّيْلُ مُرْبِدٌ^(١) قَرَأْنُ مِنْهَا لَيْسَ يَخْفَى بِهَا الْقَصْدُ عَلَى النَّاسِ مِنْهَا إِذْ تَرُوحُ وَإِذْ تَغْدُرُ بِسَاحَتِهِ وَالْأَمْرُ بِالنَّاسِ مُشْتَدُّ بِخَلْقٍ سِوَاهُ ذَلِكَ الْهَوَلُ يَرْتَدُّ حَيَارَى لَدَيْهَا لَمْ يُعِيدُوا وَلَمْ يُبَدُّوا فَمَا ذَلِكَ الشَّيْءَ الْفَرِيَّ وَلَا الْإِدُّ^(٢) فَكَمْ حِكْمٌ تَخْفَى وَكَمْ حِكْمٌ تَبْدُو وَلَمَّا أَتَى الْحُجَّاجُ أَمْسَكَهُ الْهَدُّ بِذَنْجٍ وَلَوْ لَمْ يَفْدِهِ شُرْعَ الْوَادِّ وَسَاكِنُهُ مِنْ فَخْرِهِ النَّقْرُ وَالزُّهْدُ وَلَوْ خَيْرُوا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ لَمْ يُفْدُوا لَهَا مِثْلُ مَا لِسَاكِنِ الْجَاهُ وَالرَّفْدُ فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَنْدَلُ الرَّطْبُ وَالنَّدُّ فَمَا ضَرَّهُ مِنْهَا ذَهَابٌ وَلَا فَقْدُ إِذَا شَقَّ عَنْهُ الدَّرْعُ وَانْتَرَتْ الْعَقْدُ

(١) مرید : مظلم .

(٢) الإد : الفطیح .

وَكَمْ سُبِّرَتْ لِلْحُسْنِ بِالْحُلِيِّ مِنْ حُلَى
وَأَفْيَبُ مَا يَلْقَى الْحُسَامُ مَجْرَدًا
وَمَا تَلَكَّ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بَوَائِثُ
إِلَى تَرْبَةٍ صَمَّ الْأَمَانَةَ وَالتَّقَى
إِلَى سَيِّدٍ لَمْ تَأْتِ أَتْنَى بِمِثْلِهِ
وَلَمْ يَمْسِ فِي نَعْلٍ وَلَا وَطِئَ الثَّرَى
وَلَمْ تَخْدِ^(١) السُّكُومُ الْعِتَاقُ بِمِثْلِهِ
عَلِيمٌ كَرِيمٌ الْخَلِيمُ^(٢) مَا فَوْقَ عَالَمِهِ
نَبِيُّ هُدًى أَهْدَى بِهِ اللَّهُ رَحْمَةً
وَبَصَرَهُ حَتَّى رَأَى كُلَّ غَائِبٍ
وَحَتَّى رَأَى مَا خَلْفَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ
فِيَا لَيْلَةَ أَسْرَى الْإِلَهُ بِعَبْدِهِ
وَفَلَا وَلَا وَعْدُ^(٣) وَرُدٌُّ وَلَا قَلَى
وَجَاءَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ الَّتِي بَدَتْ
وَذِكْرٍ حَكَمَى مَعْنَاهُ فِي الْحُسْنِ لَفْظُهُ
وَقَدْ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ وَتَشَابَهَتْ

وَكَمْ جَسَدٍ غَطَّى حَمَاسِنُهُ الْبُرْدُ
وَرَوْقُهُ أَنْ يَظْهَرَ الصَّفْحُ وَالْخُذُ
عَلَى أَنْ يَجِلَّ الشَّقُوقُ أَوْ يَنْظُمَ الْوَجْدُ
بِهَا وَالنَّدَى وَالْفَضْلُ مِنْ أَحْمَدٍ لَحْدُ
وَلَا ضَمَّ حَجَرٌ مِثْلَهُ لَا وَلَا مَهْدُ
شَبِيهِ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ وَلَا نِدُ
وَلَا عَدَّتِ الْخَلِيلُ السُّوْمَةُ الْجُرْدُ
وَلَا مَجْدُهُ عِلْمٌ يَرَامُ وَلَا مَجْدُ
لَنَا لَمْ يَنْلِهَا السَّعْيُ مِنَّا وَلَا السَّكْدُ
وَصَارَ سِوَاءَ عِنْدَهُ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ
يَقَابِ تَسَاوَى عِنْدَهُ الدَّوْمُ وَالشَّهْدُ
لَقَدْ نَالَ فِيهِ مَا يُؤَلِّهُ الْعَبْدُ
وَقُرْبُ وَلَا بُعْدُ وَوَصْلُ وَلَا صَدُ
بِرَاهِينِهَا كَالشَّمْسِ لَمْ يُخْفِهَا الْجُلُودُ
وَيُسَبِّهُ مَاءَ الْوَرْدِ فِي طَيِّبِ الْوَرْدُ
فَلَا يُبْتَدَى وَرْدٌ وَلِلْمُنْتَهَى وَرْدُ

(١) تخد ، من الوخد : وهو السير السريع . والكوم : جمع كوما ، وهي الناقة العظيمة السنم . والمسومة :

المعلمة . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو القصير الشعر من الخيل . (٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) هذا البيت ورد في (د) هكذا :

وإن كان فيها كالتجوم تناسخ
وإن قصرت عن شأوها كل فكر
فلما عموا عنها وصموا أراهم
ومن لم يكن^(١) منه إلى الحق جانب
وقد يعجز الداء الدواء من امرئ
فعالبهم قوم كان سلاحهم
ثقات من الإسلام إن يعدوا يقوا
وأما مكان الصدق منهم فإنه
إذا ادرعوا كانت عيون دُرُوعهم
يشوقك منهم كل حلم ونجدة
بهاليل^(٢) أما بذلهم في جهادهم
فإنه صديق النبي الذي له
ومن كان للخيار في الغار ثانيا
فإن يتخلل بالعباءة إنه
ومن لم يخف في الله لومة لائم
ولا راعه في الله قتل شقيقه

فطالما سعد وغار بها سعد
فليست يد للأجمل الزهر تمتد
سيوقا لها برق وخيلا لها رعد
يقول ألانت جانبيه القنا للرد
ويشفيه من داء به السكى والقص
نيوب وظفائر لهم فهم أسد
وإن يسألوا يهدوا وإن يقصدوا يجذوا
مقالهم والطنن والضرب والوعد
قلوبها في الرقع من بأسهم سرود^(٣)
تحلت بكل منهما الشيب والمرد
فأنفسهم والمال والنصح والحمد
فضائل لم يدرك بعد لها حد
وجاد إلى أن صار ليس له وجد^(٤)
بذلك في خلته العلم الفرد
ولم يعيه قسط يُقام ولا حد
ألا هكذا في الله فليكن الجلد

(١) صدر البيت ، ورد في م هكذا :

• ومن لم يان منه الحق جانب •

(٢) السرد : نسج الدرع . (٣) بهاليل : سادات .

(٤) الوجد : الجدة . أى ليس عنده شيء .

وَمِنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَاجْتَمَعَتْ بِهِ فَضَائِلُ مِنْهُ مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ الزُّبْدُ
وَجَهَزَ جَيْشًا سَارَ فِي وَقْتِ غُسْرَةٍ تَعَدَّرَ مِنْ قُوَّتِهِ بِهِ الصَّاعُ وَاللُّدُ
وَمَنْ لَمْ يُغْفَرْ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ جَبِينٌ لغيرِ اللَّهِ مِنْهُ وَلَا خَذُ
فَتَى الْحَرْبِ شَيْخُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحِجَى عَلَى الَّذِي جَدُّ النَّبِيِّ لَهُ جَدُّ
وَمَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْأَنَامِ بِفَضْلِهِ كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى وَذَلِكَ الْجُدُّ (١)
إِذَا غَمَزَتْ كَفُّ الْخَطُوبِ قَنَاتَهُ تَوَهَّمتُ أَنَّ الْخَطْبَ لَيْسَ لَهُ زَنْدُ (٢)
وَإِنْ عَجَمَتْ أَفْوَاهُهَا عُدَّ بَأْسُهُ أَفَادَتْكَ عِلْمًا أَنَّ أَفْوَاهَهَا دُرْدُ (٣)
يُورِدُ خَذِيئَةَ الْجِلَادِ وَسَيْفَهُ فَذَلِكَ إِذَا شَبَّهَتْهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ (٤)
وَعِنْدِي لَكُمْ آلُ النَّبِيِّ مَوَدَّةٌ سَلَبْتُمْ بِهَا قَلْبِي وَصَارَ لَهُ عِنْدَ
عَلَى أَنْ تَذْكَرَ لِي مَا قَدْ أَصَابَكُمْ يُجَدِّدُ أَشْجَانِي وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدُ
فِدَى لَكُمْ قَوْمٌ شَقَوْا وَسَعِدْتُمْ فِدَارُهُمُ الدُّنْيَا وَدَارُكُمْ الْخُلْدُ
أَتُرْجُونَ مِنْ أَبْنَاءِ هِنْدٍ (٥) مَوَدَّةً وَقَدْ أَرْضَعْتَهُمْ دَرَّ بِنَفْسِهَا هِنْدُ
فَلَا قَبِيلَ الرَّحْمَنِ عُذْرٌ عُدَاتِكُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ وَإِنْ رُدُّوا
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ عُذْرِي فَإِنِّي بِمُحَبَّتِكَ فِي قَوْلِي أَلَيْنُ وَأَشْتَدُّ
فَإِنْ ضَاعَ قَوْلِي فِي سِوَاكَ ضَلَالَةً فَمَا أَنَا بِالْمَاضِي مِنَ الْقَوْلِ مُعْتَدٍ
وَمَا امْتَدَّ لِي طَرَفٌ وَلَا لَانَ جَانِبٌ لِمَعِيرِكَ إِلَّا سَاءَنِي أَلَيْنُ وَاللَّدُ

(١) الجُد : الحظ . (٢) زَنْدُ وَرَدَتْ فِي د : رَشَدُ .

(٣) الدُّرْدُ : جَمْعُ أَدْرَدَ ، وَهُوَ الْفَمُ الَّذِي يَسْقُطُ مَقْدَمُ أَسْنَانِهِ .

(٤) الْأَسَدُ الْوَرْدُ : مَسْمُومٌ بِلَوْنِهِ وَهُوَ بَيْنَ الْكَبَيْتِ وَالْأَشْقَرِ . (٥) هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ أُمِّ مُعَاوِيَةَ . وَقَدْ أَسْلَمَتْ .

أَشْغَلُ عَنْ رِيحَانَتَيْكَ قَرِيحَتِي بِشِيحٍ وَرَنْدٍ لَنَا الشَّيْحُ وَالرَّندُ^(١)
وَأَدْعُو سِفَاهًا غَيْرَ آلِكَ سَادِي وَهَلْ أَنَا إِنْ وَقَعْتُ إِلَّا لَهُمْ عَبْدُ^(٢)
فَلَارَاحَ مَعْنِيًا بِمَدْحِي حَاتِمُ وَلَا عُنَيْتَ هَنْدٍ بِحُبِّي وَلَا دَعْدُ
وَلَا هَيْجَتَ شَوْقِي ظِلَالًا بِوَجَرَةٍ وَلَا بَعَثْتَ وَصْفِي نَقَاشُهَا الرُّبْدُ^(٣)
وَيَا طَيْبَ تَشْبِيهِ بِطَيْبَةٍ لَا تُنَى عِنَانَ لِسَانِي عَنْكَ غَوْرُ وَلَا نَجْدُ
فَهَبْ لِي رَسُولَ اللَّهِ قُرْبَ مَوَدَّةٍ تَقْرَأُ بِهِ عَيْنٌ وَتَرَوِي بِهِ كَيْدُ^(٤)
وَأِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُقَرِّبَنِي إِلَى جَنَابِكَ إِذْ قَالَ الرَّاكِبُ وَالْوُخْدُ^(٥)
وَلَوْلَا وَثُوقِي مِنْكَ بِالْفُوزِ فِي غَدٍ لِمَا لَدَّ لِي يَوْمًا شَرَابٌ وَلَا بَرْدُ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يُضْحِي بِطَيْبَةٍ لَدَّيْكَ بِهَا وَقْدٌ وَيُمْسِي بِهَا وَقْدُ
وَدَامَتْ كَأَنْفَاسِ الْوَرَى فِي تَرْدُدٍ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ التَّحِيَّةُ وَالرَّدُ

وقال، عفا الله عنه، يمدح أبا العباس المرسبي؛ من الكامل^(٦)؛ ويعزيه في شيخه أبي الحسن الشاذلي^(٧)، عليهم رحمة الله، آمين .

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ بَغْضَاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرْدِ
خَجَلَتْ عَيُونُ الْحُورِ حِينَ وَصَفْتُهَا وَصَفَ الْمَشِيبُ وَقُلْنَ لِي : لَا تَبْعِدِ
وَلِذَاكَ أَظْهَرْتَ انْكِسَارَ جُفُونِهَا دَعْدُ وَأَذَنْ جَدُّهَا بِتَوَرُّدِ
يَا جِدَّةَ الشَّيْبِ الَّتِي مَا غَادَرَتْ لِنَفْسِنَا مِنْ لَذَّةٍ بِمَجْدُ

- (١) الرند : شجر طيب الرائحة . (٢) في الأصل : وهل أنا إلا أن . . . الخ .
(٣) التفائق : جمع نفق ، وهو ذكر النعام . والرند : جمع أريد ، وهو ما مال لونه إلى الغبرة .
(٤) د : تقر بها عين وتروى بها كبد . (٥) الإرقال والوخد : نوعان من السير السريع .
(٦) من الكامل : زيادة في ت . (٧) توفي أبو الحسن الشاذلي سنة ٦٥٦ .

ذَهَبَ الشَّابُّ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَهُ ذَهَبَ الشَّابُّ وَمَا امْرُؤٌ بِمُخْلَدٍ
 إِنَّ الْفَنَاءَ لَكُلٌّ حَتَّى غَايَةٍ مَحْتُمَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَأَنُ قَدْ
 وَارَحْتَا لِمَصَوِّرٍ مُتَطَوِّرٍ فِي كُلِّ طَوْرِ^(١) صُورَةُ الْمَتَرَدِّدِ
 قَدَفَتْ بِهِ أَيْدِي النَّوَى مِنْ حَالِقٍ سَامِيِ الْحَلِّ إِلَى الْخَضِيزِ الْأَوْهَدِ
 مُسْتَوْحِشٍ فِي أَنْسِهِ مُتَعَاهِدٍ بِحَيْنِهِ شَوْقًا لِأَوَّلِ مَقَهْدِ
 حَمَعَتْهُ أَسْبَابُ لَدَيْهِ رَجُوعَةٍ فَاشْتَاقَ لِلْأَوْطَانِ شَوْقَ مُقَيَّدِ
 بِأَلَيْتِهِ لَوْ دَامَ نَسِيًا مَالَهُ مِنْ ذَاكِرٍ أَوْ أَنَهُ لَمْ يُؤَلَدِ
 حَمَلَ الْهَوَى جَهْلًا بِأَنْقَالِ الْهَوَى مُسْتَنْجِدًا بِعَزِيمَةٍ لَمْ تُنْجِدِ
 مَا مِنْ يَزَالُ بِمَا تَكَلَّفَ حَمَلَهُ فِي خُطَايَ خَسَفَ يَرْوَحُ وَيَقْتَلِدِ
 فَرَضًا لِأَمْرِ لَا تَطِيشُ سِهَامُهُ^(٢) وَمَعْرَضًا لِمُعْنَفٍ وَمُقْنَدِ
 وَخَلِيفَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ فِيهَا وَعِيدَ الْمُهْدَدِ
 وَجَبَّ السُّجُودُ لَهُ فَلَمَّا أَنْ عَصَى^(٣) قَالَتْ خَطِيئَتُهُ لَهُ أَرْكَعْ وَاسْجُدِ
 وَنَبَتْ بِهِ الْأَوْطَانُ فَهَوَّ بِغُرْبَةٍ مَا بَيْنَ أَعْدَاءِ يَسِيرٍ وَحُسَدِ
 أَنْفَاسِهِ تَحْصَى عَلَيْهِ وَعِلْمُ مَا^(٤) يَفْضَى إِلَيْهِ غَدَا^(٥) لَهُ حُكْمُ الْغَدِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَاحِدًا أَوْ عَادِمًا فِي حَيْرَةٍ لَفْظَاتِهَا لَمْ تُنْشَدِ
 يُجَسِّي وَيُضَيِّحُ مُنْهَمًا أَوْ مُنْجِدًا لِمَعَادِهِ^(٦) مَعَ مُنْهَمٍ أَوْ مُنْجِدِ

(١) د : في طور كل ضرورة متردد ، ت في كل طور ، ك : في كل طور صورة وتردد . ونظن الصحيح

ما أثبتناه . (٢) ت ، ك : نباله . (٣) د : عفى .

(٤) ك : عليها . (٥) د : عدل . (٦) د : لمعاشه .

يَرْمِي بِهِ سَهْلًا وَوَعْرًا زَاجِرًا^(١) بَطْنُ الْمَسْنِ بِهِ كَظْهِرِ الْمُرْدِ
مُتَخَوِّفًا مِنْهُ الْمَصِيرَ لِمَنْزِلِ مُسْتَوْبِلِ الْمَرْعَى وَبِ^(٢) الْمُرْدِ
مَا إِنْ رَأَى الْجَانِي بِهِ أَعْمَالَهُ إِلَّا تَمَتَّى أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
حَسْبِيَ لَهُ حُبُّ النَّبِيِّ وَآلِهِ عِنْدَ الْإِلَهِ وَسَيْلَةٌ لَمْ تُرْدَدْ
فَإِذَا أَجَبْتَ سُؤْلَهُ فِي آلِهِ سَلْ تُعْطَ وَاسْتَمْدِدْ فَلَا حَافَ تُمَدَّدْ
وَأَمِنْ إِذَا قَامَ النَّبِيُّ مَقَامَهُ الْمَحْمُودَ فِي الْأَمْرِ الْمُتَمِّمِ الْمُفْعَدِ
وَتَزَوَّدِ النَّقْوَى فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ تَزَوَّدْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ صَلَاةَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ذَخِيرَةٌ لَمْ تَنْفَدْ
وَاسْمِعْ مَدَامَحَ آلِ^(٣) بَيْتِ الْمَصْطَفَى مَنِيَّ وَدُونَكَ جَمْعُهَا فِي الْمُرْدِ
صِنُو النَّبِيَّ أَخُو النَّبِيِّ وَزِيرُهُ وَوَلِيِّهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُؤَيَّدِ
جَدُّ الْإِمَامِ الشَّاذِلِيِّ الْمُتَمَيِّ شَرَفًا إِلَيْهِ لِسَيِّدٍ عَنْ سَيِّدِ
أَسْمَاؤُهُمْ عِشْرُونَ دُونَ ثَلَاثَةِ جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ كَأُخْرَفٍ أَبْجَدِ
لِقَلْبٍ الْحَسَنِ انْتَمَى لِلْحَمْدِ عَيْسَى وَسِرُّ مُحَمَّدٍ فِي أَحْمَدِ
وَاخْتَارَ بَطَّالُ لُورْدِ يَوْشَعَا وَيُوسُفِ وَأَفَى قُصَى يَقْتَدِي
وَبِحَاثِمٍ فَتَحَتْ سَيَادَةُ هُرْمُزِ وَغَدَا تَمِيمُ الْمَكَارِمِ يَهْتَدِي
وَبِعَبْدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ انْتَصَى لِلْفَضْلِ عَبْدُ اللَّهِ أَيْ مَهْنَدِ
وَأَتَى عَلِيٌّ فِي الْعَمَلِ يَتْلُوهُمُ فَاخْتَمَ بِهِ سُورَ الْعَمَلِ وَالسُّؤْدِ

أَغْنَى أَبَا الْحَسَنِ (١) الْإِمَامَ الْمُجْتَبَى
 مِنْ هَاشِمٍ وَالشَّاذِلِيَّ الْمَوْلَدِ
 فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةً لِعَيْنِ الْمُهْتَدَى
 فَإِذَا فَعَلَتْ فَذَلِكَ آخِذٌ بِأَيْدِيهِ
 وَحَقِيقَةً وَمُحَمَّدِيَّ الْمُجْتَدِيَّ (٢)
 مِصْبَاحِ نَوْرِ نُبُوَّةٍ مُتَوَقِّدِ
 تَتَوَرَّعُهَا جُودِي كُلُّ مُوَحِّدِ
 مِنْ رَبِّهِ وَلَهُ اجْتِهَادُ الْمُبْتَدَى
 أَوْ وَفَقَهُ مَا فَوْقَهَا مِنْ مُشْهَدِ
 لِلنَّاسِ يُرْجِعُهُ رُجُوعَ مُقْلَدِ
 مَا الْقَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ كَالْمُتَعَمِّدِ
 بِتَوَرُّعٍ حَرَجٍ وَلَا بِتَزْهَدِ
 كَعْدِ الصَّحِيحِ خِلَافَ كَعْدِ الْأَرْمَدِ
 بِمِثْلِي بِحُكْمِ الْحَبْرِ حُكْمُ مُصَفَّدِ
 أَيْحَالُ مِنْهُ عَلَى حَدِيثِ مُسْنَدِ
 فِي رُبْنِيَّةٍ فَقَدْ اسْتَوَوْا فِي الْمَوْعِدِ
 وَالنَّاسُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ وَمُشَرَّدِ
 فَاتَّبَعْتُ طَرِيقَ مُحَمَّدِيَّ شَرِيعَةً
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ سَنَاهُ يَلُوحُ مِنْ
 فَتَحَ أَتَى طُوفَانُهُ بِمَعَارِفِ
 قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرُودُ الْمُنتَهَى
 مُتَمَكِّنٌ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ دَهْشَةٍ
 مَنْ لَمْ يَلْقَ لَمْ يَلْقَ لَهُ فَإِنَّ كَمَالَهُ
 قُلْ لِلْحَاوِلِ فِي الدُّنُوِّ مَقَامُهُ
 وَالْفَضْلُ لَيْسَ بِنَالِهِ مُتَوَسِّلُ
 إِنْ قَالَ ذَلِكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ
 بِمِثْلِي الْمَصْرُفُ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ
 مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسْجَعِ
 لِكَتَبِهِمَا الْحُسْنَى وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْوَا
 كُلُّ لِمَا شَاءَ الْإِلَهُ مُبْتَدِ

(١) أبو الحسن الشاذلي ، هو علي بن عبد الله بن هبة الجبار بن تميم بن هرم بن حاتم بن قصى بن يوسف ابن يوشع بن ورد بن بطل بن أحد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مؤسس الطريقة الشاذلية ، توفي سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب بمصر .

(٢) اتبع طريق الشاذلي فإنه محمدى الشريعة ، والحقيقة ، والمختد ، أى هو صحيح النسب إلى الرسول ، ومطيع لسنته .

وَإِذَا تَحَقَّقْتَ^(١) الْعَنَاةُ فَاسْتَرَحْ . وَإِذَا تَخَلَّفْتَ^(٢) الْعَنَاةُ فَاجْهَدْ .
أَفْدَى عَلِيًّا فِي الْوُجُودِ^(٣) وَكَلَّمَ . بُوْجُودِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ نَفْتَدِي .
قُطْبُ^(٤) الزَّمَانِ وَغَوْنُهُ وَإِمَامُهُ . عَيْنُ الْوُجُودِ لِسَانُ سِرِّ الْمَوْجِدِ .
سَادَ الرِّجَالِ فَقَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِهِ . هِمَمُ الْمُؤَوَّبِ لِلْعَلَا وَالْمُسْتَدِ .
فَتَلَقَّ مَا يُبَاقِي إِلَيْكَ فَنُطْقُهُ . نُطْقُ رُوحِ^(٥) الْقُدْسِ أَيْ مُوَيَّدِ .
إِنَّمَا مَرَرْتَ عَلَى مَكَانٍ ضَرِيحِهِ^(٥) . وَشَمِعْتَ رِيحَ النَّدَى مِنْ تَرْبِ النَّدَى .
وَرَأَيْتَ أَرْضًا فِي الْفَلَا مُخْضَرَّةً . مُخْضَلَّةٌ مِنْهَا بِقَاعُ الْفَدَفِدِ .
وَالْوَحْشُ أَمَنَةٌ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا . حُشِرَتْ إِلَى حَرَمٍ بِأَوَّلِ مَسْجِدِ .
وَوَجَدْتَ تَعْظِيمًا بِقُدْرِكَ لَوْ سَرَى . فِي جَلَدٍ سَجَدَ الْوَرَى لِلْجَلَدِ .
فَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ النَّدى الطَّامِي . وَيَا مَحَرَّ الْعُلُومِ الْمَزِيدِ .
يَا وَارِثًا بِالْفَرَضِ عِلْمَ نَبِيِّهِ . شَرَفًا وَبِالتَّعْصِبِ غَيْرَ مُفَنَّدِ .
الْيَوْمَ أَحْمَدُ مِنْ عَلِيٍّ وَارِثُ . حَظِّي عَلِيٍّ مِنْ وِرَائِهِ أَحْمَدِ .
يُعْزَى الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ وَيَقْتَدِي^(٦) . لِلْمُقْتَدَى هِدَاةُ فَضْلِ الْمُقْتَدَى .

(١) د ، ت : تحققت . وأظن الصواب : تخلفت . (٢) ك : فإذا .

(٣) ك : بالوجود . يقول إنه يفدى أبا الحسن الشاذلي بالوجود ، وذلك لأن كل إنسان يتخلص من كل سوء ببركة وجود الشاذلي ، لأنه القطب ، وبالقرب تحفظ دائرة الوجود .

(٤) القطب في اللغة : السيد ، وعند الصوفية : التليفة . وخلافته هي المعبر عنها في اصطلاحهم بالغواية ، إذ الفوت هو الذي يصل منه الممدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وبدل ورتد . وقوله عين الوجود أي سيد الوجود ولسان سر الموجد : أي مبین سر الموجد الذي أوجد الكائنات .

(٥) يقول : إن الله قوى كلام الشاذلي ، وأيده بجبريل . (٥) ضريح الشاذلي بصحراء عيذاب .

(٦) ك : ينتسب .

وَالْمَرْءُ فِي مِيرَاثِهِ أَتْبَاعُهُ
خَيْرِ الْوَرَى صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا
وَسَرَى الشُّرُورُ إِلَى الْقُلُوبِ فَهَزَّهَا
شَوْقًا^(١) لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ آسَاسُهَا
الْيَوْمَ قَامَ فَتَى عَلَى^(٢) بَعْدَهُ
فَكَانَ يَوْشَعَ بَعْدَ مُوسَى قَائِمٌ
فَلْيَقْصِدِ الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ
فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِهِ
فَنِظَامُ أَعْمَالِ النَّقَى آدَابُهَا
وَتَجَنَّبِ التَّأْوِيلَ فِي أَقْوَالِ مَنْ
قَدْ فَرَّقَ التَّأْوِيلُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ
وَحَذَارٍ أَنْ يَثِقَ الْمُرِيدُ بِنَفْسِهِ
فَالْوَصْفُ يَبْقَى حُكْمُهُ مَعَ فَقْدِهِ
إِنَّ الصَّانِينَ بِنَفْسِهِ فِي الْأَرْضِ لَا
وَيُظَنُّ^(٣) إِنْ رَكَدَتْ سَفِيلَتُهُ عَلَى
فَاصْحَبِ أَبَا التَّيَّاسِ أَحْمَدَ آخِذَا
فَإِذَا اسْقَطَتْ^(٤) عَلَى الْخَلِيرِ بِدَائِهَا

فَاقْدِرْ إِذَنْ فَضَلَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
صَدَعَ الْأَسَى قَلْبًا بِسَجْعٍ مُعَرَّدٍ
مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ
بِعَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَوْقَ الْفَرَفَدِ
كَيْمَا يُبْلَغَ مُرْشِدًا عَنْ مُرْشِدٍ
بِطَرِيقِهِ الْمُتَلَى قِيَامَ مُؤَكَّدِ
دَارِ الْبَقَاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
فَاسْمَعْ كَلَامَ أَخِي النَّصِيحَةِ تَرْشُدُ
فَاصْحَبْ بِهَا أَهْلَ النَّقَى وَالسُّودِ
صَاحِبَتِ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ تَسْعَدُ
يَوْمَ الشُّجُودِ لِأَدَمٍ وَمُبَاقِدِ^(٥)
وَاحْزَمْ فَمَا الْإِصْلَاحُ شَأْنُ الْمُفْسِدِ
وَالْمَرْءُ مَرْدُودٌ إِذَا لَمْ يَفْقَدْ
يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَلَيْسَ بِمُضْعَدِ
أَمْوَاحِهَا وَرِيَاحِهَا^(٦) لَمْ تَرَ كُدِ
يَدَّ عَارِفٍ بِهَوَى النَّفُوسِ مُنْجِدِ
فَاصْبِرْ لِمُرٍّ دَوَائِهِ وَتَجَلِّدِ

(١) ك : شرفا . (٢) على هنا ، أبو الحسن الشاذلي . وفقى على ، هو أبو العباس المرمي .

(٣) يقول : إن التأويل قد فرق بين الملائكة المقربين وبين إبليس وهومن المبعدين .

(٤) ك : أظن . (٥) ك : ورياحه . (٦) د : استطعت .

وَإِذَا بَلَغْتَ بِمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ مِنْ
فَتَى رَأَى مُوسَى الْإِرَادَةَ عِنْدَهُ
وَإِذَا الْفَتَى خُرِقَتْ سَفِينَةُ جِدِّهِ
وَتَبَدَّلَتْ أَبْوَابُ الْفُلَامِ بِقَتْلِهِ
وَأَقِيمَ مُنْقَضُ^(٢) الْجِدَارِ وَتَحْتَهُ
فَلَيْهِنَّ جَمْعًا فِي الْفِرَاقِ دَوُصَلَةٌ
مُغْرَى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وَهَوَلًا
لِلَّهِ مَقْتُولٌ بِغَيْرِ جُنَايَةٍ
مَا زَالَ يَعْظِفُهَا عَلَى مَسْكُورِهِمَا
وَأَحْيَبَ دَاعِيَهَا لِرَدِّ مُشَرَّدٍ
لَمْ تَتْرُكِ التَّقْوَى لَهَا مِنْ عَادَةٍ
فَلَيْهِنَّ أَحْمَدَ كَيْمِيَاهُ سَعَادَةٍ
جَعَلَتْهُ لَمْ يَرِ لِلْحَقِيقَةِ^(٤) طَالِبًا
أَلْعَاطُهُ^(٥) مَبْذُولَةٌ بِذَلِّ الْحَيَا
كُلُّ يَرْوُحٍ بِشَرْبِ رَاحٍ عُلُومِهِ
ضَمِنَ الْوَقَارَ لَهَا اعْتِدَالُ مِزَاجِهَا
فَضَحَّتْ مَعَارِفُهَا مَعَارِفَ غَيْرِهَا

عَلِمِيهِ فَانْقَعَتْ غَلَّةُ الْقَلْبِ الصَّدَى
خِضْرُ الْحَقِيقَةِ نَالَ أَفْصَى الْمَقْصِدِ
لِنَجَاتِهَا وَجَدَ الْأَتَى غَيْرَ^(١) الدَّدِ
بَأَبْرَ مِنْهُ لَوَالِدِيهِ وَأَرْشَدِ
كَزُّ الْوُصُولِ إِلَى الْبَقَاءِ السَّرْمَدِ
مِنْ قَاطِعٍ وَتَرْقِيًا مِنْ مُخْلَدِ
يُعْطَى إِلَى الْقَوَدِ الْقِيَادَ وَلَا الْيَدِ
كَفِّ يَحُبُّ الْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ
حَتَّى زَكَّتْ وَصَفَتْ صَفَاءَ الْعَسْجَدِ
مِنْ أَمْرِهَا طَوْعًا وَجَمْعَ مُبَدَّدِ
أَلِفَتْ وَلَا لِمَرِيضِهَا مِنْ عَوْدِ
صَحَّتْ فَلَا نَارَ عَلَيْهِ^(٣) تَفْتَدِي
إِلَّا يَمْدُ إِلَيْهِ رَاحَةٌ مُجْتَدِي
وَمَصُونَةٌ صَوْنُ الْعَذَارَى الْخُرْدِ^(٦)
طَرِبًا كَغُضَنِ الْبَانَةِ الْمُتَاوَدِ^(٧)
فَشَرَّابُهَا لَا يَذْبُقِي لِمُعْرَبِدِ
وَالزَّيْفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الْجَيِّدِ

(١) ك : عين الرد . (٢) ك : منقض . (٣) ك : عليها .

(٤) علوم الحقيقة هي التي تتناول الإيمان بالله وطرق الاتصال بالذات الإلهية ، أما علوم الشريعة ،

فتتناول أحكام الدين . (٥) ك : ألعاطها . (٦) د ، ومصونة صون العذارى النه . والخرود :

جمع خريدة ، وهي البكر . (٧) البانة : نوع من الشجر . والمتأود : المعوج .

كَشَفَتْ لَهُ الْأَسْمَاعُ عَنْ أَسْرَارِهَا فَإِذَا الْوُجُودُ لِمَقْلَتَيْهِ بِمَرَصَدٍ
وَارَتْهُ أَسْبَابُ الْقَضَاءِ مُبِينَةً لِمُسْتَقِيمٍ يَعْلَمُهَا وَالْمُنْجِدِ
تَأْتِي عُلُومُكَ يَا فَتَى غَيْرِ الْقِي هِيَ فَتَحُ غَيْبٍ فَتَحَهُ لَمْ يَسُدَّ
قُلُوبَ الَّذِينَ تَسْكَنُوا زِيَّ النَّقَى وَتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُحَلِّدٍ
لَا تَحْسَبُوا كُحْلَ الْعُيُونِ ^(١) بِحِيلَةٍ إِنَّ اللَّهَى لَمْ تَسْكَنْحِلْ بِالْإِنْمِدِ
مَا النَّحْلُ ذَلَّتِ الْهِدَايَةُ سَبِيلَهَا مِثْلَ الْخَمِيرِ تَقُودُهَا لِلْمُورِدِ ^(٢)
مَنْ أُمَاتِ التَّقْوَى عَلَيْهِ وَأَنْفَقَتْ يَدُهُ مِنَ الْأَكْوَانِ لَا مِنْ مَزْوَدٍ
وَأَبْيَكَ مَا جَمَعَ الْمَالِي وَادِعَا ^(٣) جَمَعَ الْأُلُوفِ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى الْيَدِ
إِلَّا أَبُو الْعَبَّاسِ أَوْحَدُ عَصَرِهِ أَكْرَمَ بِهِ فِي عَصَرِهِ مِنْ أَوْحَدٍ
أَفْنَتْهُ فِي التَّوْحِيدِ هِمَّةٌ مَاجِدِ شَدَّتْ ^(٤) مَقَاصِدُهَا عَنِ الْمُتَشَدِّدِ
سَاحَتْ رِجَالُ فِي الْفِقَارِ وَإِنَّ لَيْسَ يَسِيحُ فِي مَلَكَوَتِ ^(٥) طَرْفٍ مُسْتَهْدٍ
وَلَهُ سَرَائِرُ فِي الْمُلَا خَطَرَةٌ خَطَّارَهَا ^(٦) وَرِكَامُهَا لَمْ تُشَدِّدِ
فَالْمُسْتَقِيمِ أَخُو الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ لَا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الْأَسْوَدَ بِأَسْوَدٍ
وَأَجَلُ حَالِ مُعَامِلٍ تَبَعِيَّةٍ أُخِذَتْ إِلَى أَدَبِ الْمُرِيدِ بِمَقْوَدِ ^(٧)
فَأَتَى مِنَ الطَّرِيقِ الْقَرِيبِ مَنَالُهَا وَأَتَى سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ ^(٨)
سَيْفٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَاضٍ حُدُّهُ فَاضْرِبْ بِهِ فِي النَّاتِبَاتِ وَهَدِّدِ
أُنْتِي عَلَيْهِ بِبَاطِنٍ وَبِظَاهِرٍ لَا سِرَّ مِنْهُ بِمَقْمَدٍ وَجَرِّدِ

(١) ك : الجفون . والإيمد : الكحل . (٢) ك : مثل الخمار تقوده للمريد . (٣) ك : وادعى .
(٤) ك : سدت . (٥) ك : الملكوت . (٦) ت ، د : خطواتها وركابها لم تُشدد والتصحيح عن ك .
(٧) المعامل : الزبون . معنى البيت أن أفضل حال يعامل الإنسان فيها نفسه ، هو أن يجعلها تتبع آداب المريد
وتسلك سبيله . (٨) ك : طريق أبعد .

مِنْ مَعْشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسَاقُوا مَعَهُ الرِّيحَ بِكُلِّ نَهْدٍ أُجْرِدِ
 وَتَنَوَّأَ عَنْهُمْ وَقَدْ تَرَكَوا الْعِدَا بِالطَّمَنِ بَيْنَ مُجْدَلٍ وَمُقَدِّ^(١)
 مِنْ كُلِّ ذِمْرٍ^(٢) كَالصَّبَاحِ جَبِينُهُ ذَرِبْ بِخَوْضِ الْمُفْضِلَاتِ مُعَوِّدِ
 وَبِكُلِّ أَسْمَرٍ أَزْرَقٍ فُؤَادُهُ وَبِكُلِّ أَيْضٍ كَالنَّجِيعِ مُورِدِ
 شَهِدَ النَّهَارُ لِفَاضِلٍ بِمُسَدِّ مِنْ رَأْيِهِ وَلِطَاعِنٍ بِمُسَدِّ^(٣)
 وَتَمَحَّصَتْ ظُلُمُ اللَّيَالِي مِنْهُمْ عَنْ رُكْعٍ لَا يَسَامُونَ وَسُجْدِ
 خَافَ الْعَدُوَّ مَغِيْبُهُمْ لِشُهُودِهِمْ وَالْمَوْتَ يَكْمُنُ فِي الْحَسَامِ الْمُغْدِ
 السَّاتِرُ وَالْعَوْرَاتِ مِنْ قَتْلِ الْعِدَا يَوْمَ الْحَفِيظَةِ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
 وَالطَّاعِنُ وَالنَّجْلَاءُ يُدْخِلُ كَفَّهُ فِي إِثْرِهَا الْأَسَى مَكَانَ الْمِرْوَدِ
 سَلَّ مِنْ سَلِيلِهِمْ سُلُوكَ سَبِيلِهِمْ يُرْشِدُكَ أَحْمَدُ لِلطَّرِيقِ الْأَحْمَدِ^(٤)
 مُسْتَمْطِرًا بَرَّكَانِهِ مِنْ رَاحَةِ أَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ السَّكُوبِ وَأُجُودِ
 فَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ بَيْنَ مُصَوَّبٍ مِنْهَا لِرَاجِي رَحْمَةٍ وَمُصْعَدِ
 يَأْمَنُ أُمْتُ لَهُ بِحِفْظِ ذِمَامِهِ وَيُحْسِنُ ظَنِّي فِيهِ لِي مُسْتَعْبِدِي^(٥)
 مَوْلَايَ دُونَكَ مَا شَرَحْتُ بَوَازِنِهِ وَرَوَّيْهِ قَلْبَ الْكَثِيبِ الْأَكْمَدِ^(٦)
 فَاقْبَلْ شَهَابَ الدِّينِ عُذْرَ خَرِيدَةٍ^(٧) عَذْرَاءَ تَزُرِّي بِالْعَذَارَى التُّهَدِ
 مَعْسُولَةٍ أَنْفَاطُهَا مِنْ كَامِلٍ أَبْرِدْ حَشْيِي مِنْ رِيْقِهَا^(٨) بِمُبْرَدِ

(١) د ، ت : مفردا والتصحيح عن ك من قده بالميف . (٢) الذمر : انشجاع .

(٣) البيت ورد في ك هكذا :

شهدوا النهار يناضل بمسد من رأيه ويطاعن بمسد

(٤) ك : الأرشد . (٥) د : ويحسن ود فيه لي مستبعد . ك : ويحسن ظن فيه لي مستبعد .

(٦) ك : المكمد . (٧) ك : فريدة . (٨) ك : رجا .

طلعتْ حَجْرَةٌ فَضْلِهَا بِكَوَاكِبِ دُرِّيَّةٍ مَحْفُوفَةٍ بِالْأَسَدِ
 رَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ مِنْهَا مَارِدٌ لَمَّا أَتَتْكَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ مَقْعَدِ
 مِنْ مَنَهْلٍ عَذْبٍ صَفَا سِلْسَالُهُ لَامِنْ صَرَى يَشْرَى الْوُجُوهَ مُصَرَّدٌ^(١)
 بَعَثَتْ إِلَيْكَ بِهَا بَوَاعِثُ خَاطِرٍ مُتَحَبِّبٍ لِحَنَانِكُمْ مُتَوَدِّدٌ
 صَادَقَتْ دُرًّا مِنْ صِفَاكِ مَثْمَنًا فَأَعْرَتْهُ مَنِّي صِفَاتٍ مُنْضَّدِ
 جَاءَتْ تَسْأَلُكَ^(٢) الْأَمَانَ خِلَافِي مِنْ رِبْقَةٍ بِذُنُوبِهِ مُتَوَعِدِ
 فَاضْمَنْ لَهَا دَرَكَ الْعَادِ ضَمَانَهَا بِالْقَوْرِ عَنْكَ إِسَامِيعٍ وَلِئْشِدِ^(٣)
 فَإِذَا ضَمِنْتَ لَهُ فَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ مُبْرِقٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُرْعِدِ
 جَاءَ النَّبِيُّ لِكُلِّ عَاصٍ وَاسِعٌ وَالْفَضْلُ أَجْدَرُ بِاتِّرَاحِ الْمُجَنْدِي

وقال ، رضى الله^(٤) تعالى عنه ، يمدح المقرَّ العالِيَّ الصَّاحِبِيَّ الزَّيْنِيَّ^(٥) زَيْنَ الدِّينِ ،
 رَحِمَهُمَا اللَّهُ^(٦) تعالى ، وذلك من الكامل :

أَهْلُ النُّقَى وَالْبِلَهِ أَهْلُ السَّوْدُودِ فَأَخُو السِّيَادَةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 الصَّاحِبُ ابْنُ الصَّاحِبِ ابْنِ الصَّاحِبِ الْحَبِيزُ الْهُمَامُ السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ
 لَا تُشْرِكَنَّ بِهِ أَمْرًا فِي وَضْنِهِ فَتَكُونَ قَدْ خَانَتْ كُلَّ مُوَحِّدِ
 الشَّمْسُ طَالَعَةٌ فَهَلْ مِنْ مُبْصِرٍ وَالْحَقُّ مُتَضَيِّحٌ فَهَلْ مِنْ مُهْتَدِي
 إِنَّ الْفَتَى مَنْ سَوَّدَتْهُ نَفْسُهُ بِالْفَضْلِ لَامِنْ سَادَ غَيْرَ مُسَوِّدِ

(١) الصرى الماء : الذى طال مكثه فى مستقره . والمصدر : المقلل ، وهو من التصريد ، بمعنى التقليل .

(٢) د ، ك : جاءتكَ تَسْأَلُكَ . (٣) ك : أَوْ مَنَشِد .

(٤) (٦٠٥، ٤) الزيادة التى بين الأقواس واردة فى ت والمملوح هو زين الدين أحمد ، حفيد الصاحب بهاء الدين

ابن حنا ، وكان وزيراً للصعبة ، ثم عزله الملك السعيد سنة ٦٧٧ هـ .

والناسُ مُخْتَلِفُو المَذَاهِبِ فِي الْعِلَالِ وَالْمَذْهَبُ الْمُخْتَارُ مَذْهَبُ أَحْمَدَ
وَفِي عُلُومِ الْأَوَّلِينَ حَقُوقَهَا وَالْآخِرِينَ وَفَاءَ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ
فَكَأَنَّهُ فِينَا خَلِيفَةُ آدَمَ أَوْ آدَمُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
أَفْضَى بِهِ عِلْمُ التَّيَقِينِ لَعَيْنِهِ وَرَأَاهُ حَاسِدُهُ بَعَيْنِي أَرْمَدَ
كَشَفَ الْعِطَاءَ لَهُ فَلَيْسَ كَحَاثِرٍ فِي دِينِهِ مِنْ أَمْرِهِ مُتَرَدِّدٍ
قَدْ كَانَ يَحْكُمُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمِهِ شَهِدَ الْحَقُّ لَدِينِهِ أَمْ لَمْ يَشْهَدْ
لَوْلَا يُخَاطِبُنَا بِقَدَرِ عَقُولِنَا جَاءَتْ مَعَارِفُهُ بِمَا لَمْ نَعْمَدْ
وَرِثَ النُّبُوَّةَ فَلَقِيْمُ كَقِيَامِهِ مَنْ حَاوَلَ الْمِيرَاثَ أَوْ فَلَقِعَهُد
فَلِسَانُهُ الْعَضْبُ الْحَسَامُ الْمُنْتَضَى وَبَيَانُهُ بَحْرُهُ خِصْمُ الزُّبَيْدِ (١)
وَبَصِيرَةُ اللَّهِ يَشْرِقُ نَوْرُهَا وَيُضِيئُ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمَتَوَقَّدِ
وَحَلَاتِقُ مَا شَافَهَا مَنْ شَانَهَا فَأَتَتْ كَاءَ الْمُزْنِ فِي قَلْبِ الصِّدِّيقِ
قَلْبَابِ زَيْنِ الدِّينِ أَحْمَدَ فَلْيَسِّرْ مَنْ كَانَ بِالْأَعْدَارِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
هُوَ كَمِيَّةُ الْفَضْلِ الَّذِي قَصَادُهُ قَدْ حَقَّقُوا مِنْهُ بُلُوغَ الْمَقْصِدِ
لَمَّا وَرَدَتْ عَلَى كَرِيمِ جَنَابِهِ فَوَرَدَتْ بِخَرِّ الْجُودِ عَذْبُ الْمَوْرِدِ
وَرَأَيْتُ وَجْهَهَا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَأَضَاءَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمَتَوَقَّدِ
أَعْرَضْتُ عَنْ لَهْوِ الْحَدِيثِ وَقُنْتُ يَا مَدَحَ الْوَرَى عَنِّي فَمَا أَنَا مِنْ دَرٍ (٢)
وَعَزَمْتُ فِي يَوْمِي عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي أَلْقَاهُ لِي نِعَمَ الذَّخِيرَةُ فِي غَدِ
مَدَحُ إِذَا أَعْمَلْتُ فِيهِ مَقُولِي جَاهَدْتُ عَنْ دِينِ الْهُدَى بِمَهْدِ

(١) د ، ت : البحر الخضم ، والصواب : ما أثبتناه . (٢) الدد : اللهو والعبث ، وهو من قول النسي :

« لست من دد ولا الدد مني » أي لست من اللهو والعبث في شيء .

أَبَقِيَ لَهُ الذِّكْرُ الْخَلَدَ عَلَيْهِ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ يُخْلَدُ
 فَاسْتَنْفَدَتْ بِوُجُودِهِ آمَالُهُ وَاخْتَارَ عِنْدَ اللَّهِ مَالٌ يَنْفَدُ
 شَغِفَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَاتَّرَ اخْتِيَا حُبًّا فَأَوْزَمَ رَغْبَةً يَبْزُهُدُ
 وَأَتَى عَلَيْهَا جُودُهُ فَكَأَنَّهَا لَهْوَانِهَا فِي نَفْسِهِ لَمْ تَوْجَدْ
 فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى مَقَاصِدِهِ بِهَا أَبَدَتْ إِلَيْكَ حَقِيقَةَ الْمُتَجَرِّدِ
 كَلِفٌ بِمَا يَغْنِيهِ مِنْ إِسْعَادِ ذِي الْحَاجَاتِ فِي الزَّمَنِ الْقَلِيلِ الْمُسْعَدِ
 يَطْوِي مِنَ التَّقْوَى حِشَاءً عَلَى الطَّوَى وَيَبِيتُ سَهْرَانًا مَقْصَصَ الْمَرْقَدِ
 وَيَغْضُ مِنْ مَغْشُورَتَيْنِ بِدَمْعِهِ مَكْحُولَتَيْنِ مِنَ الظَّلَامِ بِإِثْمِهِ ^(١)
 عَوَّلَ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْعَرَبِ وَبَيْتُ مَالِ الْمُجْتَنِدِ ^(٢)
 وَاسْتَمَطَرَ الْبَرَكَاتِ مِنْ دَعَوَاتِهِ حَيْثُ اسْتَقَلَّ ^(٣) سَحَابُ رَحْمَتِهِ النَّدَى
 وَاسْمَعْ لِمَا يُوحَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي يُشْجِي الْقُلُوبَ لَوْ أَنَّهَا مِنْ جَلَدٍ
 صَدَرَتْ جَوَاهِرُ لَفْظِهِ مِنْ بَاطِنٍ صَافِي التَّقَى مِثْلِ الْحَسَامِ الْمُقَمَّدِ
 فَأَرَاكَ سَحَرَ الْبَيَانِ مُنْضَدًا يَبْدِي الْبَلَاغَةَ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَدٍ
 مُتَحَلِّيًا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي يُعْنَى بِهَا حَدِيثُ عَنَاءٍ تَجَلَّدِ
 فَالْقَصُّ ^(٤) مِنْهُ إِذَا أَتَاكَ تَعَدَّدَتْ مِنْهُ الْمَعَانِي وَهُوَ غَيْرُ مُعَدَّدٍ
 قُلْ لِلْإِمَامِ الْمُتَقَدِّسِ بِعُلُومِهِ قَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِرَأْيِكَ بِقَتْدِي
 يَأْمَنُ يُرَاعِي لِلْفَضِيلَةِ حَقَّهَا لَتَلْزُدُ بِالْفَضْلِ لَا لَتَزِيدَ
 لَمْ تُضْغِ لِلْعُلَمَاءِ إِلَّا مِثْلًا أَصْفَى سُلَيْمَانُ لِقَوْلِ الْهُدُودِ
 عَجِبْتَ لِزُهْدِكَ فِي الْوِزَارَةِ مَقْشَرُ فَاجْتَنِبْهُمْ عَجَبًا إِذَا لَمْ يَزْهَدْ

(١) الأئمة : الكحل . (٢) المجتدي : السائل .

(٣) استقل : ارتفع . (٤) القصص : الواحد .

ماضراً حَبِيراً قَلَدَتْهُ أُمَّةٌ أَنْ لَمْ يَكُنْ لِنَاصِبٍ بِمُقَلِّدٍ
 وَإِذَا سَمَا بِاسْمِ الْعُلُومِ فَلَا تَسْلُ عَنْ حَطِّ نَفْسٍ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا حِكْمَةٌ أَوْ لَيْتَمَا يَنْحَطُّ عَنْهَا قَدْرُ كُلِّ مَجْدٍ
 بَارُتَبَةً لَا تُرْتَقَى بِسَلَامٍ وَسِيَادَةً مَا تُشْتَرَى بِالْعُسْجَدِ
 خَيْرُ الْمَنَاصِبِ مَا الْعُيُونُ كَالَيْلَةِ عَنْهُ وَمَا الْأَيْدِي لَهُ لَمْ تُمَدِّدِ
 مَوْلَايَ دُونَكَ مِنْ ثَنَائِي حُلَّةٌ تُبْلِي مِنَ الْأَيَّامِ كُلِّ مُجَدِّدِ
 جَاءَتْ مُسَارِعَةً إِلَيْكَ بِسَاعَةٍ سَعِدَتْ مُطَالَعَةً وَإِنْ لَمْ تُرْصَدِ
 يَوْمُ انْتِصَالٍ بِالْأَحْيَةِ ، حَبَّذَا يَوْمُهُ بِانْقِطَاعِ قُلُوبِ الْحَسَدِ
 مَا سِيرَتْ مَا بَيْنَ يَوْسُفَ مِثْلَمَا (١) قَدْ مُرَّ فِيهِ أَحْمَدُ بِمُحَمَّدٍ
 يَا حَبَّذَا مَدْحُ لَالِ مُحَمَّدٍ دُونَ التَّغْزُلِ فِي غَزَالٍ أَغِيدِ
 إِنَّ الْجَلَالََةَ مِنْذُ رُمْتُ مَدِيحَكُمْ لَمْ تَرْضَ لِي ذَكَرَ الْحَسَنِ الْخُرُودِ
 فَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَكُمْ سَادَاتِنَا جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي نَعِيمٍ سَرْمَدِ

وقال لما مدح اليهود وذمَّ النصارى ، وسيأتى ذكرها فى حرف الراء ، وهذَّده (٢)
 النصارى ، فالزموه فكتب :

مَا لِلنَّصَارَى إِلَى ذَنْبٍ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْيَهُودِ
 وَكَيْفَ تَفْضِيلُهُمْ وَفِيهِمْ سِرُّ الْخَنَازِيرِ وَالْقُرُودِ

(١) ت : ما سيرة ما بين يوسف ، وفيه غموض . (٢) ت : فلا هذوه وألزموه كتب .

وقال قافية^(١) الراء : يمدح بها علي بن الصاحب^(٢) :

حَيَّ بُلْبُيْسَ مَنَزِلًا فِي الْعِمَارَةِ وَتَوَجَّهْ تِلْقَاءَ بَنِي عُمَارَةِ
فَالْبَيْتَاتِ^(٣) فَالْحِرَازِ فَتُبْتُيْتِ^(٤) فَشَبَّوْا الْبَيْتُومَ فَالْحَمَارَةَ
وَإِذَا جِئْتَ حَاجِرًا بَيْنَ بُلْبُيْسَ وَقَلِيبَ مِنْ خَرَابِ فَرَارِهِ
فَارْجِعِ السَّيْرَ بَيْنَ بَنِيهَا وَأَتْرِبْ وَكُلُّ لِسَاطِيءِ الْبَحْرِ جَارِهِ
وَإِذَا مَا خَطَرْتَ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ بِفَاقُوسَ فَاقْصِدِ اخْطَارَهُ
وَسَمْنَدِيلَ وَهِيَ مَنَزِلَةُ الْجَيْشِ وَسَعْدَانَةُ مَحَلُّ غِرَارِهِ
خَلَنِي مِنْ هَوَى الْبَدَاوَةِ إِنِّي لَسْتُ أَهْوَى إِلَّا جَمَالَ الْحِصَارِهِ
وَاقْرِ تِلْكَ الْقُرَى السَّلَامَ فَإِنْ أَعْيَمَتْكَ مِنْهَا عِبَارَةٌ فَإِشَارَةٌ
إِنَّ قَلْبِي أَضْحَى إِلَى سَاكِنِيهَا بِاشْتِيَاقٍ وَمُهْجَتِي مُسْتَطَارَةٌ^(٥)
أَذْكَرْتَنَا عَيْشًا قَدِيمًا نَزَعْنَا هُ لِبَاسًا كَالْحِلَّةِ^(٦) الْمُسْتَمَارَةِ
وَزَمَانًا فِي الْحُسْنِ وَجَهَ عَلَيَّ ذَا بَهَاءٍ وَبِهْجَةٍ وَنَضَارَةِ
صَاحِبٍ لَا يَزَالُ بِالْجُودِ وَالْإِفْضَالِ^(٧) طَلَّقَ الْيَدَيْنِ خُلُوَ الْعِبَارَةِ
كَمْ هَدَانَا مِنْ فَضْلِهِ بِكِتَابٍ مُعْجَزٍ مِنْ عُلُومِهِ^(٨) بِأَثَارِهِ
وَجْهَهُ مُسْفِرٌ لِعَافِيهِ مَا نَحْتَاجُ فِي الْجُودِ عِنْدَهُ لِسْفَارِهِ^(٩)

(١) ت : وقال ، سامحه الله ، من الخفيف . (٢) يبدو أن هذه القصيدة قيلت في الصاحب .

بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ، وفيها كثير من الألفاظ والمعاني النامضة .

(٣) ت : فالبياتات . (٤) ت : فنقيت . (٥) هذا البيت ساقط من ت .

(٦) د ، ت : كالحسن ولا معنى له . (٧) والإفضال ساقطة من د ، ت ؛ فأضفها لوزن الشعر .

(٨) ت : أو من علمه . (٩) البيت في الأصل :

وجهه مسفر للعفاة وما نحن محتاج في الجود عنده لسفاره

يَدُهُ رُقْعَةُ الصَّباحِ فَاغْرَبَهَا مِنْ سَلَامَةٍ وَطَهَارَةٍ
يَذْكُرُ الوَعْدَ فِي أُمُورٍ وَلَا يَذْكُرُ جَدْوَى وَلَوْ بِكَلِّ إِمَارَةٍ
إِنَّمَا يَذْكُرُ العَطِيَّةَ مَنْ كَا أَنْتَ عَطَايَاهُ تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ
سَيِّدِي أَنْتَ نُصِرْتِي كُلَّمَا شَنَّ عَلَى الزَّمَانِ بِالْفَقْرِ غَارَهُ
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأْسْتُ كَأَنِّي زَامِرُ الحَيِّ أَوْ صَغِيرُ الحَارَةِ ^(١)
وَابْنُ عِمْرَانَ وَهُوَ شَرُّ مَتَاعٍ لِلزُّورَى فِي بَطَانَةٍ وَظَهَارَةٍ ^(٢)
حَسَنَ القُرْبِ مِنْكُمْ قُبُحَ ذِكْرَا هُ كَتَحْصِينَ الْمِسْكِ ذِكْرَ الْفَارَةِ
فَهَوَى فِي الْمَدْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِي وَهُوَ فِي الْهَجْرِ مِنْ زِنَادِي شَرَارَهُ
مَالَهُ مِيزَةٌ عَلَى سِوَى أَنْ لَهُ بَفْلَةٌ وَمَالِي حِمَارَهُ
وَعِيَاظُ تَدْوَى الدَّوَاوِينُ مِنْهُ لَا بَعْنَى كَأَنَّهُ طِنْجَهَارَةٌ ^(٣)
يَتَجَنَّى ^(٤) يَسُوءُ خُلُقِي عَلَى النَّاسِ وَنَفْسِي ظُلُومَةٍ كَفَّارَهُ
لَمْ تُهَذِّبْهُ كُلُّ قَاصِرَةِ الطَّرِيقِ فِي أَجَادَتِ بِأَخْذِ عَيْنِهِ الْقَصَارَهُ
وَابْنُ يَغْمُورَ إِذْ كَسَاهُ مِنَ الدَّرَّةِ دِرْعًا كَأَنَّهُ غَفَّارَهُ
طَبَعَتْ رَأْسَهُ دَمًا وَبِسَاطِي ^(٥) جِلْدَةً أَوْ حَسْبَتُهُ جُلَّتَارَهُ
وَسَلْيَانُ كُلَّمَا قَرَعَ الْقَرْعَةَ طَنَّتْ كَأَنَّهُا نُقَارَهُ
وَقَعَاتُ تُنْفِئِي الْمُؤَرَّخَ مَا كَا نَ مِنْ سُنْبِسٍ وَمِنْ زُنَارِهِ
إِنْ جَبَّهْتُمْ مَا حَلَّ فِي سَاحِلِ ^(٦) الشَّيْخِ مِنَ الصَّفْعِ فَاسْأَلُوا ^(٧) الْبَحَّارَهُ

(١) يشير إلى المثل : « زامر الحى لا يطرب » .

(٢) ابن عمران : ناظر الشرقية في ذلك العهد ، وقد فصل البوصيرى من وظيفته فحقق عليه وعرض به .

(٣) دوى بكسر الواو يدوى بفتحها فهو ذو : أى مرضى : ولعله يريد تدوى بتشديد الواو المكسورة من

من الدوى وهو الصوت الشديد ، ولكن لا يوجد منه فعل ثلاثى . والطنجهاره : كذابا بالنون كما فى الأصل ،

وفى التاج : الطرجهارة : شبه كأس . وفى التكملة : شبه طاس يشرب فيه . (٤) ت : يتجلى .

(٥) د : بسطى . (٦) د : ساجه . (٧) د : فاسأله التجارة .

قَالَتِ الْبَغْلَةُ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ^(١) أَنَا مَالِي عَلَى الْعُبُونِ مَرَارَهُ
 إِنَّ هَذَا شَيْخٌ^(٢) لَهُ بِجَوَارِيهِ مَعَ النَّاسِ كُلِّ يَوْمٍ صَهَارَهُ
 قُلْتُ لَا تَفْتَرِي عَلَى الشَّاعِرِ الْفَقِيرِ ، قَالَتْ^(٣) : سَلِ الْفَقِيرَ عُمَارَهُ
 لَوْ أَنَّهُ فِي عَرْسِهِ شَطْرُ فَلَسٍ لَرَأَى^(٤) الْبَيْعَ رَجُلَةً وَشَطَارَهُ
 قُلْتُ هَذَا شَاذٌ الدَّوَابِنِ ، قَالَتْ مَا أَوَّلَى هَذَا عَلَى الْخَرَّارَةِ^(٥)
 قُلْتُ ذِي غَيْرَةِ الْأُيُورَةِ^(٦) إِلَّا تَشْتَهِي أَنْ تُفَارِقَ الْأَبَّارَةَ
 قَالَتْ أَقْوَى وَكَيْفَ أَغْيِرُ مَنِّي عِنْدَ شَيْخٍ كَلِّ يَغْيِرُ زِبَارَهُ^(٧)
 قُلْتُ : مَا تَكْرِهِينَ مِنْهُ ؟ فَقَالَتْ أَيْ يَخْلُ فِيهِ وَأَيُّ قِتَارَهُ
 أَنَا فِي الْبَيْتِ أَشْتَهِي كَفَّ تَبْنٍ وَمِنْ الْقُرْطِ أَشْتَهِي نُورَهُ
 وَعَلَيْقِي عَلَيْهِ أَرْخَصُ مِنْ مَا لِي الْمَوَارِيثِ فِي شِرَا ابْنِ جُبَارَهُ
 سَمَرَقِ النَّصْفِ وَاشْتَرِي النَّصْفَ بِالنَّصْفِ وَأَقْتِي بِأَنْ هَذَا تِجَارَهُ
 لَا تَلُمُوا إِذَا وَقَعْتُ مِنَ الْجَوِّ عَرَفَانِي مِنَ الْخَوَى خَوَّارَهُ
 مَا كَفَّاهُ مِنَ الطَّوَافِ بِبُلْبُلَيْنَسٍ إِلَى أَنْ يَطُوفَ بِي السَّيَّارَهُ
 آءٍ مِنْ ضَمِيمَتِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ مَالِي عَلَى الْعُبُونِ مَرَارَهُ
 أَكْمَلْتُ خَلَقَتِي وَشَبَبِي وَمَالِي^(٨) فِي حُجُورٍ^(٩) أُخْتُ وَلَا فِي مِهَارَهُ^(١٠)
 أَيْ شَبْرِيَّةٍ^(١١) أَلَذُّ وَطَاءٍ مِنْ رُكُوبِي وَأَيْمًا شَبَّارَهُ

(١) أوقعته ساقطة من ت . (٢) ت : شيخ . (٣) د ، ت : فقالت وقد حذفت ألفاء الوزن .

(٤) ت : لرأى . (٥) د : المزمار . (٦) د ، ت : الإبرة .

(٧) أقمنا البيت على هذا النحو ، وكان في الأصل هكذا :

قالت أقوى وكيف أغير على شيخ خصي كل يغير زبارهُ

(٨) ت : وما في . (٩) حجور ، جمع حجر ، وهي أنثى الخيل . (١٠) مهارة بالكسر :

جمع مهر ، وهو الجواد الصغير . (١١) شبرية ، كلمة عامية تطلق على سرير مصنوع من

قوائم من الخشب وظهر من الجبال المتخذة من ليف النخيل .

عَبَّرْتَنِي بِهَا بِغَالُ الطَوَاحِينِ، وَقَالَتْ تَمَّتْ عَلَيْكِ الْعِيَارَةُ
 دُرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ عِنْدَ الْمَنَاجِسِ فَيَا لَيْتَ أَنِّي دَوَّارَةٌ
 وَلَقَدْ أَنْذَرْتُهُ فَرَأَيْتُهُ^(١) جَاهِلِيًّا لَمْ تُغْنِ فِيهِ النَّذَارَةُ
 وَقَوَّافِيٍّ لَيْسَ فِيهَا صِقَالٌ^(٢) مِنْ نَدَى^(٣) لَا^(٤)، وَلَيْسَ فِيهَا زَفَارَةٌ^(٥)
 كُلُّ عَذْرَاءٍ مَا تَرُدُّ مِنَ الْكُفِّ يَعْيِبُ وَلَا زَوَالٍ^(٦) بَكَارُهُ
 سِرْنَ مِنْ حُسْنَيْنٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بِفَكْنِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ
 لَنْ يَصِيدَهُنَّ^(٧) النَّوَالِ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي أَوْ يُضْطَادُّ الدُّرُّ بِالسَّنَارَةِ ؟
 غَيْرَ أَنِّي أَعَدَّدْتُهَا لِحَطَايَا وَذُنُوبٍ أَسْلَفْتُهَا كِفَّارُهُ
 أَوْلَمْ تَذَرِ أَنْ مَدَحَ عَلِيٍّ مِثْلُ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَزِيَارَةِ
 * * *
 أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمُؤَمِّلُ أَدْعُوكَ دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِجَارَةٍ
 أَنْقَلَتْ ظَهْرِي الْعِيَالُ وَقَدْ كُنْتُ زَمَانًا بِهِمْ خَفِيفَ^(٨) الْكَارَةِ
 وَلَوْ أَنِّي وَخَدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَغَارَةٍ
 أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيْنًا وَهُوَ حَرْبٌ لَسْتُ فِيهِ وَلَا مِنَ النَّظَّارَةِ
 لَا تَكْلِفْنِي إِلَى إِسْوَاكَ فَأَخِيَا رُزْمَانِي لَا يَمْنَحُونَ خِيَارَهُ
 وَوُجُوهُ الْقُصَادِ فِيهِ حَدِيدٌ وَقُلُوبُ الْأَجْوَادِ فِيهِ حِجَارُهُ

(١) د ، ت : قرائته . ونظن الصواب ما أثبتناه . وفي وزن البيت خليل بن .

(٢) ت : مقال . وصقال من صقل الشيء : أوى جلده . (٣) ت : نديا .

(٤) ليست في د ، ت : وقد زدها للوزن . (٥) يقال زفر زفر إذا استقى فحمل . وفي الحديث

« إن امرأة كانت تزفر القرب يوم خيبر تسقى الناس » أي تحمل القرب المملوء ماء .

(٦) ت : بعب ولا زفي أو بكاره . (٧) ت : ان يصف من النوال . وفي د : لن يصددهم .

وفي البيت اضطراب وتحريف في الألفاظ : ولعل صوابه :

لن يصيد النوال من بحر فكري أو يضطاد دره سناره ؟

(٨) خفيف الكارة : خفيف الحمل .

فَإِذَا فَازَ كَفَّ حُرٌّ بِبِرٍّ^(١) فَهَوَّ إِمَّا بِنِقْضَةٍ أَوْ نِشَارِهِ^(٢)
 إِنَّ بَيْتِي يَقُولُ قَدْ طَالَ عَهْدِي بِدُخُولِ التَّلَاسِ^(٣) لِي وَالشَّكَارَةِ
 وَطَعَامٍ قَدْ كَانَ يَعْمِدُهُ النَّاسُ مَتَاعًا لَهُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
 فَالْكَوَانِينُ مَا تَمَابُ مِنَ الْبَرِّ دِ بَطْبَآخَةٍ وَلَا شَكَّارَةٍ^(٤)
 لَا بِسَاطٍ وَلَا حَصِيرٍ بِدِهْلِيزِي وَلَا تَجْلِسِي وَلَا طَيَّارَةٍ
 لَيْسَ ذَا حَالٍ مَنْ يُرِيدُ حَيَاةَ إِيْعَالٍ وَلَا لِبَيْتٍ عِمَارَةٍ
 قُلْتُ إِنَّ الْوَزِيرَ أَشْكَنَ غَيْرِي فِي^(٥) مَكَانِي وَلِي عَلَيْهِ إِجَارَةٌ
 قِيلَ إِنَّ الْوَزِيرَ لَنْ يَقْصِدَ الْفَسْحَ ، فَلَمْ لَارَاجَعْتَ فِي الْخَرَّارَةِ^(٦)
 أَسْقَطَتْهُ مِنْ ظَهْرِنَا فَأَرْتَنَا جِيْبَهُ لَازِمًا لِبَطْنِ الْمَحَارَةِ
 ثُمَّ شَدَّوهُ^(٧) بِالْإِزَارِ فِخْلْنَا هُ الْخِيَالِيَّ مِنْ وَرَائِ السُّتَارَةِ
 لَمْ يُفْضَلْ عَلَيْكَ غَيْرُكَ لَكِنَّ عَطَايَاهُ كَالْكُتُوسِ الْمُدَارَةِ
 فَسَأَعْدُو^(٨) بِهِ سَعِيدًا كَأَنِّي لَاعْتَدَلِ الرَّيِّعَ لِلشَّمْسِ دَارَهُ
 وَيَشُوقُ الْأَضْيَافَ فِي^(٩) بَادِهَنْجٍ مِنْ بَعِيدٍ قُرُونُهُ^(١٠) كَالْمَنَارَةِ
 إِنَّ بَيْتًا يَغْشَاهُ كُلُّ فَقِيرٍ مِنْ عَلِيٍّ فِي ذِمَّةٍ وَخِفَارَةٍ
 صَرَفَ اللَّهُ الشُّوَّ عَنْهُ وَأَتَا هُوَ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَمَلَا مَا اخْتَارَهُ

(١) د ، ت : بين .

(٢) د ، ت : نقضه بنجر باء . (٣) التلّيس : الغرارة .

(٤) د ، ت : بشكارة ، والشكارة : المرأة التي تقطع اللحم . (٥) في ، ساقطة من د ، ت .

(٦) الخمرارة : اسم قرية من قرى الشرقية . (٧) د ، ت : شجوة .

(٨) ت : فساعدوه . وفي د ، فاسعدوا ، والصواب : ما أثبتناه . (٩) ت : لي . (١٠) ت : نرؤنه .

وقال يمدح^(١) أَيْدَمُرُ عَزَّ الدِّينَ^(٢) ، ويعزیه^(٣) في سيف الدين :

قد خَصَّ بِالْفَضْلِ قَطْلِيحَا^(٤) وَأَيْدَمُرُ وطابَ منه ومنكَ الْأَصْلُ وَالثَّمَرُ
بَحْرَانِ لَوْ جَادَ بَحْرٌ مِثْلَ جُودِهَا بِيَعَتْ بَارِ خَصَّ مِنْ أَصْدَافِهَا الدَّرَرُ
لَهُ مِنَ الْبَيْضِ نَابٌ وَالْقَنَا ظَفَرُ اللَّهُ دَرَكُ عَزَّ الدِّينِ لَيْثٌ وَغَى
أَلْقَى إِلَهُهُ عَلَى الدُّنْيَا مَهَابَتَهُ فَالْبَيْضُ تَرَعْدُ خَوْفًا مِنْهُ وَالسُّرُ
أَرَيْنَا فَضْلَ شَمْسِ الدِّينِ مُنْتَقِلًا إِلَيْكَ مِنْهُ وَصَحَّ الْخَبْرُ وَالْخَبَرُ
إِنْ تُحْيِ آثَارَهُ مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَتْ فَإِنَّكَ النَّيْلُ تُحْيِ الْأَرْضَ وَالْمَطَرُ
وَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ خَيْرَ الْوَارِثِينَ لَهُ فَمَا يُنَازِعُكَ^(٥) فِي مِيرَاثِهِ بَشَرُ
وَإِنْ تَكُنْ فِي الْعُلَاوِ الْفَضْلُ تَخْلُفُهُ فَالشَّمْسُ يُخْلِفُهَا إِنْ غَابَتِ الْقَمَرُ
أَخْجَلَتْ بِالْجَلْمِ سَادَاتِ الزَّمَانِ فَلَمْ يَغْفُوا كَعَفْوِكَ عَنْ ذَنْبٍ إِذَا قَدَرُوا
وَلَمْ تَزَلْ تَسْتُرُ الْعَيْبَ الَّذِي كَشَفُوا وَلَمْ تَزَلْ تَجْبُرُ الْعَظَمَ الَّذِي كَسَرُوا
لَوْ أَنَّ أَلْسِنَةَ الْأَيَّامِ نَاطِقَةٌ أَثْنَتْ عَلَى فَضْلِكَ الْأَصَالُ وَالْبُكَرُ
شَرَعَتْ لِلنَّاسِ طَرَقًا مَا بَهَا عُجْرُ يَخَافُ سَالِكُهَا فِيهَا وَلَا بُجْرُ^(٦)
لَوْ يَسْتَقِيمُ عَلَيْهَا السَّالِكُونَ بِهَا كَمَا أَمَرَتْ مَشَتْ مَشَى لَمَّا الْحُرُ
أَكْرَمَ بِأَيْدَمُرَ الشَّمْسِيِّ مِنْ بَطَلٍ بِذِكْرِهِ فِي الْوَعَى الْأَبْطَالُ تَفْتَحِرُ
تَخَافُ مِنْهُ وَتَرْجُوهُ كَمَا فَعَلَتْ فِي قَلْبٍ سَامِعِهَا الْآيَاتُ وَالسُّورُ

(١) ت : وقال عفا الله عنه من البسيط .

(٢) هو الأمير عز الدين أيوب الفخرى ، الذى أسندت إليه ولاية القاهرة ، بدلا من شمس الدين أبي بكر بن

إسباسلار ، الذى توفى سنة ٦٧٨ هـ . (٣) د : ويهته .

(٤) د : نقطليحا . (٥) ت : فلم .

(٦) أصل العجر : العروق المتعقدة في الجسد . والبحر : العروق المتعقدة في البطن . والمعنى هنا : أنك مهدت

للناس طرقا خالية من الصعاب .

مَعْنَى الْوُجُودِ الَّذِي قَامَ الْوُجُودُ بِهِ وَهَلْ بَغَيْرِ الْمَعْنَى ^(١) قَامَتِ الصُّورُ ؟
 بَنَانُهُ مِنْ نَدَاهُ ^(٢) الْغَيْثُ مُنْسَكِبٌ وَسَيْفُهُ مِنْ سَطَاهُ النَّارُ تَسْتَعِرُّ
 نَهْتُهُ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا نَزَاهَتُهُ وَشَرَّدَ النَّوْمَ مِنْ أَجْفَانِهِ السَّهَرُ
 وَلَيْسَ يُضْجِرُهُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ وَكَيْفَ يُذْرِكُ مَنْ لَا يَتَعَبُ الصَّجَرُ
 يُمَسِّي وَيُضَبِّحُ فِي تَذِيرِ مَمْلَكَةٍ أَعْيَا الْخَلَائِقَ فِيهَا بَعْضُ مَا يَزِرُ
 يَكْفِيهِ حَمْلُ الْأَمَانَاتِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى الْجِبَالِ فَكَادَتْ مِنْهُ ^(٣) تَنْفَطِرُ
 خَافَ الْإِلَٰهَ خَافَتُهُ رَعِيَّتُهُ وَالْمَرْءَ يُجْزَى بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 وَاخْتَارَهُ مَلِكُ الدُّنْيَا لِيُخْبِرَهُ فِي مُلْكِهِ وَهُوَ مُخْتَارٌ وَمُخْتَبَرُ
 فَطَهَرَ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ فَلَا عَيْنَ لَهُمْ بَقِيَّةٍ فِيهَا وَلَا أَنْزَرَ
 وَدَبَّرَ الْمُلُوكَ تَذِيرًا يَقْصُرُ عَنْ إِذْرَاكِ أَيْسَرِهِ الْأَفْهَامُ وَالْفِكَرُ
 وَحِينَ طَارَتْ ^(٤) إِلَى الْأَعْدَاءِ مُسْمَعَتُهُ مَاتَ الْفَرَنْجُ بِدَاءِ الْخَوْفِ وَالتَّرُّ
 فَمَا يُبَالِي بِأَعْدَاءِ قُلُوبِهِمْ فِيهَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ
 وَكُلُّ أَرْضٍ ذَكَرْنَاهُ بِهَا غَنِيَّتُ عَنْ أَنْ يُجْرَدَ فِيهَا الصَّارِمُ الذَّاكِرُ
 فَلَوْ تُجْرَدُ مِنْ مِصْرِ عَزَائِمُهُ إِلَى الْعِدَا بَطَالِ الْبَيْكَارِ وَالسَّفَرِ ^(٥)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى الْقَتْلَى بِصَارِمِهِ كَأَنَّا نُحِثَرُ فِي مَوْسِمِ جُزُرُ
 كَأَنَّ صَارِمَهُ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ نَذِيرُ مَوْتٍ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ النَّذُرُ ^(٦)

(١) ت : المال . (٢) ت : يداه . وقد صححها تيمور باشا في الهامش فجعلها ، نداه .

(٣) د ، ت : كانت ، ونظن الصواب ما أثبتناه . كلمة منه : ساقطة من ت . (٤) الأصل من الأعداء .

(٥) البيكار : الحرب . (٦) هذا البيت ساقط من د .

شُكْرًا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ فِي وَلَايَتِهِ مَعْنَى كَرَامَتِهِ لِلنَّاسِ مُشْتَهَرٌ
 عَمَّ الرِّعْيَةَ وَالْأَجْنَادَ ^(١) مَعْدَلَةٌ فَمَا شَكَ نَفَرًا مِنْ عَدْلِهِ نَفَرٌ
 وَسَرَّ أَسْمَاعَهُمْ مِنْهُ وَأَعْيَنَهُمْ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَذِكْرُ طَبِيبٍ عَطِرٌ
 تَأَرَّجَتْ عَنْ نَظِيرِ الْمِسْكِ نَظَرَتُهُ ^(٢) كَمَا تَأَرَّجَ عَنْ أَكْلِمِهِ الزَّهَرُ
 مِنْ مَعَشَرٍ فِي الْعُلَا أَوْفَوْا عُهُودَهُمْ وَلَيْسَ مِنْ مَعَشَرٍ خَانُوا وَلَا غَدَرُوا
 تَرَكْتُ تَزَيَّنْتَ الدُّنْيَا بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ لَهَا الْحُلَى إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا
 حَمَكْتَ ظَوَاهِرَهُمْ حُسْنًا بِوَاطِنِهِمْ فَهُمْ سِوَاهُ أَسْرُوا الْقَوْلَ أَوْ جَهَرُوا ^(٣)
 بِيضُ الْوَجْهِ يَجْنُ اللَّيْلُ إِنْ رَكِبُوا إِلَى الْوَعَى وَيُضِي الصُّبْحُ إِنْ سَفَرُوا
 تَسْعَى لِأَبْوَابِهِمْ ^(٤) قَصَادُ مَا لِهِمْ وَجَاهِهِمْ زُمَرًا فِي إِثْرِهَا زُمَرٌ
 تَسَابَقُوا فِي الْعُلَا سَبَقَ الْجِيَادِ لُهُمْ مِنَ الشَّاءِ الْحُجُولُ الْبَيْضُ وَالْفَرَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ سَمِعْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِمْ فَمِنْ مَنَاقِبِ عَزِّ الدِّينِ مُخْتَصَرٌ
 مَوْلَى تَلَدْنَا أَخْبَارُ سُودُدِهِ كَانَ أَخْبَارُهُ مِنْ حُسْنِهَا سَمَرٌ
 فَلَوْ أَدَارَتْ سُقَاةُ الرَّاحِ سِيرَتَهُ عَلَى النَّدَامَى وَحَيَّوْهُمْ بِهَا سَكِرُوا
 يَا حُسْنَ مَا يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَيُنْفِقُهَا كَالْبَحْرِ يَحْسُنُ مِنْهُ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
 لِكُلِّ شَرَطٍ جَزَائِهِ مِنْ مَكَارِمِهِ وَكُلُّ مُبْتَدَأٍ مِنْهَا لَهُ خَيْرٌ
 فَمَا نَظَّمْتُ مَدِيحًا فِيهِ مُبْتَكِرًا إِلَّا أَنَا نِيَّ جُودٍ ^(٥) مِنْهُ مُبْتَكِرٌ
 صَدَقْتُ فِي مَدْحِهِ فَازْدَادَ رَوْقُهُ فَمَا عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رَيْبَةٍ قَتَرٌ

(١) د : الأخبار . (٢) ت : نصرته . (٣) ت : أم .

(٤) ت : لأموالهم . (٥) د : جواد .

أَعْنَتَ عَطَايَاهُ فَقَرَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ
لِذَلِكَ أَثْنَوْا عَلَيْهِ بِالَّذِي عَلِمُوا
قَالُوا وَجَدْنَاهُ مِثْلَ الْكَرَمِ فِي كَرَمٍ
وَمَا يَزَالُ يُعِينُ الطَّاعِينَ إِذَا
وَمَنْ أَعَانَ أُولَى الطَّاعَاتِ شَارَكَهُمْ
فَمَا أَتَى النَّاسُ مِنْ فَرَضٍ وَمِنْ سُنَنِ
نَحَجٍّ وَهُوَ مُقِيمٌ وَالْحِجَازُ بِهِ
وَجَاهَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَائِفَةٌ
وَأَطَعَمَ الصَّائِمِينَ الْجَائِعِينَ وَمِنْ
وَلَمْ تَفْتُهُ مِنَ الْأَوْرَادِ نَاشِئَةٌ
يَطْوِي النَّهَارَ صَيَامًا وَهُوَ مُضْطَرِمٌّ
وَمَالُهُ فِي زَكَاةٍ كُلُّهُ نُصِبُ
أَعْمَالُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ خَالِصَةٌ
كَمْ عَادَ بَغْيٌ عَلَى قَوْمٍ عَلَيْهِ بَغَوَا
لَمْ يَخَفْ عَنْ عِلْمِهِ فِي الْأَرْضِ خَافِيَةٌ
فَلَا يَظُنُّ مُرِيبٌ مِنْ جِهَالَتِهِ
عَصَتْ عَلَيْهِ أَنْاسٌ لِاخْتِلَاقِ لَهُمْ
تَلَذُّمُوا ثُمَّ قَالُوا: إِنَّا عَرَبٌ
وَلَا عُهُودَ لَكُمْ تُزْعَى وَلَا ذِمَّةَ

فَسَلَّمُ عَنْهُمْ إِنَّ قُلُوبًا وَإِنْ كَثُرُوا
خَيْرًا فَيَا حُسْنَ مَا أَثْنَوْا وَمَا شَكَرُوا
يَنْفِي مِنْهُ عَلَيْنَا الظِّلُّ وَالذَّمُّ
تَطَوَّعُوا بِجَمِيلٍ، أَوْ إِذَا نَذَرُوا
فِي أَجْرِ مَا حَصَرُوا مِنْهُ وَمَا تَجَرَّوْا
فِي صَحِيفَةِ الْعَرَاءِ مُسْتَطَرٌّ
قَوْمٌ يُقِيمُونَ لِحَاجَتِهِمْ وَلَا اعْتَمَرُوا
وَخِيَلَهَا مِنْهُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْبُتْرُ
فَرَطِ الْخَلِصَةِ فِي أَكْبَادِهِمْ سَعُرُ
فِي لَيْلَةٍ قَامَ يُخَيِّبُهَا وَلَا سَحَرُ
وَاللَّيْلَ يَطْوِي قِيَامًا وَهُوَ مُعْتَكِرُ
لَا الْخُسُوفُ فِيهِ لَهُ ذِكْرُ وَلَا الْعُشُرُ
وَنُصْحُهُ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدَّرُ
وَحَاقَ مَكْرُ بِأَقْوَامٍ بِهِ مَكَرُوا
كَأَنَّهُ لِلْجُودِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
بِأَنَّ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ عَنْهُ يَسْتَتِرُ
الشُّومُ شِيمَتُهُمُ وَالْيَوْمُ وَالذَّبْرُ
فَقُلْتُ لَا عَرَبٌ أَنْتُمْ وَلَا حَصَرُ
وَلَا يُبُونُكُمْ شَعْرٌ وَلَا وَبْرُ

وَأَيُّ بَرِيَّةٍ فِيهَا بِيُوتُكُمْ
وَلَيْسَ يُنْجِي امْرَأًا رَامُوا أَذِيَّتَهُ
يَشْكُو جَمِيعُ بَنِي الدُّنْيَا أَذِيَّتَهُمْ
يَرَوْنَ كُلَّ قَبِيحٍ مِنْهُمْ حَسَنًا
مِنْ لَوْثٍ أَحْسَابِهِمْ إِنْ شَاءَ مُوَارِيحُوا
لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الرِّفْقَ أَبْطَرَهُمْ
زَجَرْتَهُمْ بِعُقُوبَاتٍ مُنَوَّعَةٍ
كَأَنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ
فَمَعَشَرَ رَكِبُوا الْأَوْتَادَ^(١) فَانْقَطَعَتْ
وَمَعَشَرَ قَطِيعَتْ أَوْصَالُهُمْ قِطْعًا
وَمَعَشَرَ بِالطُّبَا طَارَتْ رُءُوسُهُمْ
وَمَعَشَرَ وَسَطُوا مِثْلَ الدَّلَاءِ وَلَمْ
وَمَعَشَرَ سَمُّوا فَوْقَ الْجِيَادِ وَقَدْ
وَأَخْرَوْنَ فَدَوَّا بِالمَالِ أَنْفُسَهُمْ
مَوْتَاتُ سَوْءٍ تَلَقَّوْهَا بِمَا صَنَعُوا
وَقَدْ تَأَذَّبَتِ الْمُسْتَخْدَمُونَ بِهِمْ
فَعَفَّ كُلُّ ابْنِ أَنْتَى عَنْ خِيَاتِهِ
وَهَلْ هِيَ الشَّعْرُ قُولُوا لِي أُمِّ الْمَدَرِ ؟
مِنْهُمْ فِرَارٌ فَقُلْ كَلَّا وَلَا وَزَرَ
فَهُمْ بِطُرُقِهِمُ الْأَحْجَارُ وَالْخَفَرُ
وَلَمْ يَبَالُوا أَلَامَ النَّاسِ أَمْ عَذَرُوا ؟
وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إِنْ قَاتَلُوا خَسِرُوا
وَالْفُسَادُونَ إِذَا أُكْرِمَتْهُمْ بِطَرُوا
وَفِي الْعُقُوبَاتِ لِلطَّاغِينَ مُزْدَجَرُ
لَا يَتْرَكُونَ الْأَذَى إِلَّا إِذَا قَهَرُوا
أَمْعَاؤُهُمْ فَمَتَمَّوْا أَنَّهُمْ نُحِرُوا
فَمَا يُلَفِّقُهَا خَيْطٌ وَلَا يُبْرِ
عَنِ الْجُسُومِ فَقُلْنَا إِنَّهَا أُكْرِ
تُرَبِّطُ حِبَالُهَا بِهَا يَوْمًا وَلَا بَكْرُ
شَدَّتْ جُسُومَهُمُ الْأُلُوحُ وَالْدُّسْرُ
وَقَالَتِ النَّاسُ خَيْرٌ مِنْ عَمَى عَوْرُ
وَمِنْ وَرَاءِ تَلَقِّيهِمْ لَهَا سَقَرُ
وَالْعَافِلُونَ إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكِّرُوا
فَلَمْ يَخُنْ نَفْسَهُ أَنْتَى وَلَا ذَكَرَ

إِنْ كَانَ قَدْ صَلَحَتْ مِنْ بَعْدِ مَا نَسَدَتْ
 لَوْلَاكَ مَا عَدَلُوا مِنْ بَعْدِ جَوْرِهِمْ
 وَلَا شَكَرْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَمِّهِمْ
 وَكُنْتُ وَصِيَّتُهُمْ أَنْ يَحْذَرُواكَ كَمَا
 وَقُلْتُ لَا تَقْرَبُوا مَا لَا حَوْتَ يَدُهُ
 وَحَازِرُوا مَعَهُ أَنْ تَرَكِبُوا غَرَرًا
 وَلَا تَصَدُّوا لِمَا لَمْ يَرْضَ خَاطِرُهُ
 فَبِأَن نُّصَحِي لَهُمْ إِذَا مَاتَ نَاطِرُهُمْ
 مُقَدَّمَاتٌ : أَمَاتَاهُ وَأَقْبَرَهُ
 وَجَرَّسُوهُ عَلَى النَّعْسِ الَّذِي حَمَلُوا
 يَا سَوْءَ مَا قَرَّبُوا مِنْ كُلِّ مُخْزِيَةٍ
 وَكَبَّرُوا بَعْدَ تَضْغِيرِ جَرَائِمِهِ
 وَكَانَ جَمَعَ أَمْوَالًا وَعَدَّدَهَا
 فَأَذْنَتْ بِزَوَالِ عَنْهُ مُسْرِعَةً
 وَرَاحَ مِنْ خِدْمَةِ صِفْرِ الْيَدَيْنِ فَقُلْ
 مَا عَذْرُ مَا شِ مَشَى بِالظُّلَمِ فِي طُرُقِ
 إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي الْمُسْتَخْدِمِينَ بَدَأَ
 ظَنُّهُمْ عَمَرُوا الدُّنْيَا بِيَدِهِمْ
 فَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ خَبَثُ

أَحْوَاهُمْ بِكَ إِنَّ الْكُسْرَ يَنْجِبُهُ
 عَلَى الرَّعَايَا وَلَا عَفْوًا وَلَا انْحَصَرُوا
 كَأَنَّهُمْ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
 وَصَّى الْحَكِيمُ بَنِيهِ وَهُوَ مُحْتَضَرُ
 فَالْفَتْحُ يَهْرُبُ مِنْهُ الطَّائِرُ الْخَذِرُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ مَنْ مَرَّ كُوبُهُ الْغَرَرُ
 إِنَّ التَّصَدَّى لِمَا لَمْ يَرْضَ خَاطِرُهُ
 وَقَدْ بَدَتْ لِلْوَرَى فِي مَوْتِهِ عِبْرُ
 مَشَاعِلِيَّابِ مَا أَدَّوَا وَلَا نَصَرُوا
 مِنَ الْفِرَاشِ إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرُوا
 عَلَى جِنَازَتِهِ جَهْرًا وَمَا هَجَرُوا
 وَقَبَّحُوا مَا طَوَّرُوا مِنْهَا وَمَا نَشَرُوا
 وَظَنَّهَا لَصُوفِ الدَّهْرِ تَذْخُرُ
 كَمَا يَزُولُ بِحَلْقِ الْعَانَةِ الشَّعْرُ
 لِلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ اعْتَبَرُوا
 رَأَى الْمَشَاءَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ عَبَرُوا
 مِنْهُمْ لِعَيْنَيْكَ مَا لَمْ يُبْدِهِ النَّظَرُ
 وَإِنَّمَا خَرَبُوا الدُّنْيَا وَمَا عَمَرُوا
 لَوْ يَغْسِلُونَهُمْ بِالْبَحْرِ مَا طَهَّرُوا

نِيرَانُ شَرٍّ كَفَانَا اللَّهُ شَرَّهُمْ
فاحذرْ كِبَارَ بَيْدِهِمْ إِيَّاهُمْ قُرْمٌ
فالفيلُ تَقْتَلُهُ الْأَفْعَى بِأَصْغَرِهَا
واضِرُّهُمْ بِقِنَّا^(٢) مِثْلَ الْحَدِيدِ بِهِمْ
وَلَا تَتَّقِ بَوَاءَ مِنْ أَخِي حُقِّ
مِنْ كُلِّ مَنْ قَدَرُهُ فِي نَفْسِهِ أَبَدًا
يَصُدُّ عَنْكَ إِذَا اسْتَغْنَى بِجَانِبِهِ
كَأَنَّهُ الدَّلْوُ يَغْلُو حِينَ تَمْلُؤُهُ
وَالدَّهْرُ يَرْفَعُ أَطْرَافًا كَمَا رَفَعَتْ
حَسَبُ اللَّحْلَةِ لَمَّا زَالَ نَاطِرُهَا
وَأَنَّ أَعْمَالَهَا لَمَّا حَلَّتْ بِهَا
وَأَهْلَهَا فِي أَمَانٍ مِنْ مَسَاكِينِهَا
مَلَأَتْ فِيهَا بُيُوتَ الْمَالِ مِنْ ذَهَبٍ
وَالْمَالُ يُجْنَى كَمَا يُجْنَى الثَّمَارُ بِهَا
وَتَابَعَتْ بَعْضَهَا الْغَلَاتِ فِي سَفَرٍ
وَسَيِّمَتْ الْخَلِيلُ لِلْأَبْوَابِ مُسْرَجَةً
وَالْمُجْنُ تَحْسِبُهَا سُجْبًا مُفَوَّقةً^(٧)
لَا يَزْهَوْنَ وَلَا يُبْقُونَ إِنْ ظَفَرُوا
وَاحْذَرْ صِفَارَ بَيْنِهِمْ إِيَّاهُمْ شَرُّ
فِيهَا وَلَمْ تَخْشَ^(١) مِنْ سِنِّهَا الصَّغَرُ
فَلَيْسَ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ يَنْفَعُ الزُّبُرُ
فَالْحَقُّ دَالَا عِيَالًا يَرْؤُهُ عَسِيرُ
مُعْظَمٌ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُحْتَقَرُ
وَلَا يَزُورُكَ إِلَّا حِينَ يَفْتَقِرُ
مَاءٌ وَيُفْرِغُ مَا فِيهِ^(٣) فَيَنْحَدِرُ
أُذُنَايَا لِقَاءِ الْحَاجَةِ الْبَقَرُ
أَنْ زَالَ مُذْزَالَ عَنْهَا الْبُؤْسُ وَالضَّرَرُ^(٤)
تَعَارُ مِنْ طَيْبِهَا الْجَنَّاتُ وَالنَّهْرُ
مِنْ فَوْقِهِمْ غُرْفٌ مِنْ تَحْتِهِمْ سُرُرُ
وَفِضَّةٌ صَبْرًا يَاحْيَا الصَّبْرُ^(٥)
حَتَّى كَأَنَّ بَنِي الدُّنْيَا لَهَا شَجَرُ
بَعْضًا إِلَى شَوْنٍ^(٦) ضَاقَتْ بِهَا الْخُدُرُ
لَمْ تَخْصُ عَدَاوَتُهَا الْإِنْجَمُ الزُّهْرُ
فِي الْحَقِّ مِنْهَا فِضَاءُ الْجَوْ مُنْحَصِرُ

(١) د : تفشه . (٢) د : بقنقع . ت : بتنى . ونظن الصواب ما أثبتناه .
(٣) د : فيفرغ بما فيه . (٤) ت : البأس . (٥) يقال اشترى الشيء صبرة : أى بلا وزن ولا كيل .
(٦) د : شؤون . (٧) مفوق : فيه خطوط بيض .

وَكُلُّ مُقْتَرَحٍ مَادَارَ فِي خَلَدٍ يَأْتِي إِلَيْكَ بِهِ فِي وَقْتِهِ الْقَدَرُ
وَمَا هَمَّتْ بِأَمْرِ غَيْرِ مَطْلَبِهِ إِلَّا تَيَسَّرَ مِنْ أَسْبَابِهِ الْقَسِيرُ
وَالْعَامِلُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ مَا عَمِلُوا مِنْ أَىِّ مَا جَاءَ يَأْتِي وَمَا شَعَرُوا
وَمَا أَرَى يَنْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ دَرَى مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَهُ الْأَكْيَاسُ وَالْبِدَرُ
هَذَا وَمَا أَحَدُهُ كَلَفْتُهُ شَطَطًا بَمَا فَعَلْتَ كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ سَجَرُوا
بَلْ زَادَهُمْ فِيكَ حُبًّا مَا فَعَلْتَ بِهِمْ مِنْ الْجَلِيلِ وَذَنْبُ الْحُبِّ مُغْتَفَرُ
فَإِنْ شَكُوا بِنِصَّةٍ مِمَّنْ مَضَى سَلَفَتْ فَمَا لِقَلْبٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مُضْطَرُ
فَالصَّبْرُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَحْبَبْتَهُ عَسَلَتْ وَالشَّهْدُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَبْغَضْتَهُ صَبْرُ
لَقَدْ جُبِلْتَ عَلَى عَدْلٍ وَمَعْرِفَةٍ سَارَتْ بِفَضْلِهِمَا الْأَمْثَالُ وَالسَّيْرُ
فَمَا حَكَمْتَ بِمَكْرُوهٍ عَلَى أَحَدٍ حُكْمًا يُخَالِفُهُ نَصٌّ وَلَا خَبَرُ
رُزِقْتَ ذُرِّيَّةً ضَاهَتْكَ طَيِّبَةً مِنْ طِينَةٍ غَارَ مِنْهَا الْعَنْبَرُ الْعَطِرُ
فَلِيَهْنِكَ الْيَوْمَ مِنْهَا الْفَضْلُ حِينَ غَدَا دِينَ الْإِلَهِ يَسِيفُ الدِّينِ مُنْتَصِرُ
عَلَى صِفَاتِكَ دَلَّتْنَا نَجَابَتَهُ وَبَانَ مِنْ أَيْنَ مَا الْوَرْدُ يُعْتَصِرُ
مِيزَانُهُ فِي التَّقَى مِيزَانُ مَعْدَلَةٍ وَحِكْمَةٍ لِاصْنَى^(١) فِيهَا وَلَا صِفَرُ
مَشَى صِرَاطًا سَوِيًّا مِنْ دِيَانَتِهِ فَمَا يَزَالُ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْتُرُ
تَرْضِيكَ^(٢) فِي اللَّهِ أَعْمَالُهُ وَتُعْضِبُهُ وَمَا بَدَأَ لِي أَمْرٌ مِنْكُمْ نُكْرُ
قَالَتْ لِي النَّاسُ مَاذَا الْخُلْفُ؟ قُلْتُ لَهُمْ: كَمَا تَخَافَ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ
أَمَا عَصَى أَمْرَ مُوسَى عِنْدَ سَفْكِ دَمٍ مَا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى أَنَّهُ هَدَرُ

وقد تعاطى ابنُ عَفَّانٍ لِأَسْرَتِهِ
وَلَنْ يَصِيرَ أَوْلَى التَّقْوَى اخْتِلَافُهُمْ
وَمَا تَعَاطَى أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ
مُشْمَرٌ فِي مَرَامِي اللَّهِ مُجْتَهِدٌ
وَهَمَّ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ قَدْ فُطِرُوا
زَانَ اللَّيَالَى وَالْأَيَّامِ إِذْ بَقِيَتْ
وَبِالْعَفَافِ وَتَقْوَى اللَّهِ مُؤْتَزِرٌ
وَقَعْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ مَهَابَتِهِ
كَأَنَّهَا غُرُرٌ فِي إِثْرِهَا طُرُرٌ
وَقَصَّرَتْ كَلَامِي عَنْ مَدَائِحِهِ
وَقَالَتِ النَّاسُ مَيِّتٌ مَسَّهُ كِبَرٌ
فَاقْبَلْ بِفَضْلِكَ مَدْحًا قَدْ أَتَاكَ بِهِ
وَقَدِ انْحَنَّتْ وَاسْتَقَامَ السَّهْمُ وَالْوَتَرُ
فَمَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ عَيْبٍ تُعَابُ بِهِ
يَغَارُ فِي الْحُسْنِ مِنْهُ الْوَشْيُ وَالْحَبَرُ
مِنْ شَاعِرٍ صَادِقٍ مَا شَانَهُ كَذِبٌ
إِنْ انْحَنَّتْ وَاسْتَقَامَ السَّهْمُ وَالْوَتَرُ
فِيَا يَقُولُ وَلَا عَيْتٌ وَلَا حَصْرٌ
يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ مَدَائِحِهِ
عَلَى مَعَانٍ أَضَلَّتْ حُسْنَهَا الْفِكْرُ
لَا يَنْظِمُ الشُّعْرَ إِلَّا فِي الْمَدِيحِ وَمَا
غَيْرُ الْمَدِيحِ لَهُ سُؤْلٌ وَلَا وَطْرٌ
وَلَا لِعَانِيَةٍ فِي طَرَفِهَا حَوْرٌ
مَدِيحُهُ فِيكَ حُرٌّ لَيْسَ يَمْلِكُهُ
مِنْ الْجَوَائِزِ أَمَانٌ وَلَا أَجْرٌ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا أَهْدَى كَرَامَتُهُ
فَقَصَدَهُ شَرَفُ الْأَنْسَابِ لَا الْمَهْرُ
تَبًّا لِقَوْمٍ قَدْ اسْتَعْنَوْا بِمَا نَظَّمُوا
مِنْ امْتِدَاحِ بَنِي الدُّنْيَا وَمَا نَثَرُوا
لَعَوَّ قَتْنِي الْقَوَافِي فِيكَ وَالْفَقْرُ
فَلَوْ قَقَوْتُ بِأَخْذِ الْمَالِ إِثْرَهُمْ
ذِكْرِي بِمَدْحِي لَهُ فِي الْأَرْضِ يَنْتَشِرُ
خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مَدْحُ ذِي كَرَمٍ

فَالصُّفْرُ مِنْ ذَهَبٍ عِنْدِي وَإِنْ صَفِرْتُ يَدِي وَإِنْ غَنَيْتُ سَيَّانٍ وَالصُّفْرُ
بَقِيَتْ مَا شِئْتُ فِيمَا شِئْتُ مِنْ رُتَبٍ عَلَيْهِ عُمَرُ الدُّنْيَا بِهَا عَمِرُوا
وَبَلَّغْتُكَ اللَّيَالِي مَا تَوَمَّلُهُ وَلَا تَعَدَّتْ إِلَى أَيَّامِكَ الْغَيْرُ
وَقَدْ دَعَتْ لَكَ مَنِّي كُلُّ جَارِحَةٍ وَبِالْإِجَابَةِ فَضْلُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ

وقال (١) :

جِوَارِكَ (٢) مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ يُجِيرُ وَيَشْرُكَ لِلرَّاجِي نَدَاكَ بِشِيرُ
فَضَلْتَ بَنِي الدُّنْيَا فَفَضْلُكَ أَوَّلُ وَأَوَّلُ فَضْلِ الْأَوَّلِينَ أَخِيرُ
وَأَنْتَ مُهَامٌ دَبَّرَ الْمَلِكُ رَأْيَهُ خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ الزَّمَانِ بَصِيرُ
إِذَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَاوَلَ نَصْرَهُ كَفَى الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ مِنْكَ نَصِيرُ
فَلَا تُنْسِ الْأَيَّامُ ذِكْرَكَ إِنَّهُ بِهِ فَرِحَ بَيْنَ الْمُلُوكِ فَخُورُ
إِذَا مَرَّ فِي أَرْضٍ بِجَيْشٍ عَرَمَمَ تَكَادُ لَهُ أُمُّ النُّجُومِ تَمُورُ
وَتَحْسِبُهُ قَدْ سَارَ يَرْمِي بَرُوجَهَا يُخِيلُ عَلَيْهَا كَالْبُرُوجِ يُغَيِّرُ
وَمَا قَلْبُهَا مِمَّا يَقْرَأُ خُفُوقَهُ وَلَا طَرَفُهَا حَتَّى يَعُودَ قَرِيرُ
سَوَالًا عَلَيْهِ خَيْلُهُ وَرِكَابُهُ وَسَرَجُهُ إِذَا جَابَ الْغَلَاةَ وَكُورُ
لَقَدْ جَهَلَتْ دَاوِيَةُ الْكُفْرِ بَأْسَهُ وَغَرَّمُ الْمُسْلِمِينَ غَرُورُ
فَلَا بُورِكَوَامِنْ إِخْوَةٍ إِنْ أَمَّهُمْ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهَا الْبَنُونَ نَزُورُ

(١) ت . وقال رضى الله تعالى عنه من الطويل .

(٢) هذه القصيدة نظمها الشاعر في مدح الملك المنصور قلاوون الأتقى الصالحى ، بمناسبة بناءه المارستان

المنصورى الكبير ، ومدرسة الحديث والفتية سنة ٦٨٤ هـ .

[فَإِنْ غَلَطْتَ مِنْهُمْ رِقَابٌ لِبُعْدِهِ] [أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا نُوَاصِلُ إِنْ جَفَوْا]

[فَمَا انْحَطَّ عَنْهَا لِمَذَلَّةِ نِيرُ^(١)] [يَظُنُّونَ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ يَصُدُّهَا]

[وَأَنَا عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ نَزُورُ]

[عَنِ الْعَدُوِّ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ دُحُورُ]

[مِنْ التَّرَكُّ جَمٌّ لَا يَعْدُ غَفِيرُ]

[أَمَّا زُلْزَلَتِ بِالْعَادِيَاتِ وَجَاءَهَا]

[أَتَوْا بِطُمَرَاتٍ مِنَ الْجُرُودِ سِيرَتْ^(٢)] [وَرَجُلٍ لَهُمْ مِثْلُ الْجُرَادِ طُمُورُ^(٣)]

[فَلَمْ يَرْقُبُوا مِنْ صَرْحِ هَامَانَ مَرْقَبًا]

[بِهَامَتِهِ بَرْدُ السَّحَابِ بَكُورُ^(٤)] [وَصُبَّ عَلَيْهِمْ عَارِضٌ مِنْ حِجَارَةٍ]

[وَسَامُوهُ^(٥) خَسَفًا مِنْ نُقُوبٍ كَانَهَا]

[وَنَبْلٍ وَكُلٌّ بِالْعَذَابِ مَطِيرُ]

[أَثَافٍ^(٦) لَهَا تِلْكَ الْبُرُوجُ قُدُورُ]

[فَذَاقُوا بِهِ مَرًّا الْحِصَارِ فَأَصْبَحُوا]

[لَهُمْ ذَلِكَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ حَصِيرُ^(٧)] [يَصِيحُونَ أَعْلَى السُّورِ خَوْفًا كَصَافِنِ^(٨)]

[نَقَى عَنْهُ نَوْمَ الْمُقْلَتَيْنِ صَفِيرُ]

[وَمَاذَا يَرُدُّ السُّورُ عَنْهُمْ وَخَلْفَهُ]

[مِنْ الْخَيْلِ سُوْرٌ وَالصَّوَارِمِ سُوْرُ]

[وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى الْأَسْرِ مَلْجَأُ]

[فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسٍّ أَغْلَبَ هِمَّةٌ]

[غَدُوٌّ إِلَيْهِمْ بِالرَّدَى وَبَكُورُ]

[دَعَوُهُ وَشَمْلُ النَّصْرِ مِنْهُمْ مُمَزَّقُ]

[أَمَانًا وَجِلْبَابُ الْحَيَاةِ يَقِيرُ^(٩)]

(١) هذان البيتان زيادة في النسخة التيمورية . (٢) رجل ، جمع راجل ، وهو ضد الفارس .
 الطمور : الذهاب في الأرض والمقصود هنا سرعة الحركة والانتقال .
 (٣) برد السحاب : أى السحاب المصحوب بالبرد . (٤) ساموه : أذاقوه .
 (٥) أثاف : جمع إثفية ، وهى الأحجار التى توضع عليها القدر . (٦) حصير : الحبس .
 (٧) الصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الخافر .
 (٨) يشق : مشقوق .
 (٩) يقير : مشقوق .

أَعَارَهُمْ أَفَرْنَسِيْسُ تِلْكَ وَسِيْلَةً رَأَى مُسْتَعِيْرًا غِبْهَا وَسَعِيْر
فَدَى نَفْسَهُ بِالْمَالِ وَالْأَلِ وَأَنْتَنَى تَطِيْرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ طُيُوْر
فَلَاتَذْكُرُوا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْهُمْ فَذَلِكَ لِأَحْقَادِ السُّيُوفِ مُثِيْر
فَلَوْ شَاءَ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ سَاقَهُمْ لِمِصْرٍ وَتَحْتَ الْفَارِسِيْنَ بَعِيْر
تُبَشِّرُ مِصْرَ دَائِمًا بِقُدُوْمِهِمْ إِذَا فَصَلَتْ (١) مِنْهُمْ لَعَزَّةٌ عِيْر
تَسْرُهُمْ عِنْدَ الْقَوْلِ بِضَاعَةً وَتَحْفَظُ مِنْهُمْ إِخْوَةً وَتَمِيْرُ (٢)
وَلَوْ شَاءَ مَدَّ النَّيْلَ سَيْلُ دُمَائِهِمْ وَرَفَتْ (٣) نَحُوْرُهُ مَاءَهُ وَسُحُوْرُهُ (٤)
بَعِيْدٍ كَعِيْدِ النَّحْرِ يَاحْسَنُ مَا يَرَى بِهِ مِنْ عُلُوْجٍ كَالْعُجُوْلِ جَزُوْر
وَلَكِنَّهُ مِنْ حِلْمِهِ وَاقْتِدَارِهِ عَفُوٌّ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيْمِ غَفُوْر
وَلَمْ يُبْقِيَهُمْ إِلَّا خَيْرًا (٥) لِيْلِيَا مَلِيْكُ يَجِبُ الرَّأْيُ وَهُوَ خَبِيْر
يَرَى الرَّأْيَ مِنْ رَاحِ يَهْوَى عَتِيْقُهُ وَيُكْرَهُ مِنْهُ الْحُلُوْ وَهُوَ عَصِيْر
فَوَلَّوْا وَسُوهُ الظَّنَّ يَلُوْى وَجُوْهُهُمْ فَتَحَسِبُهَا صُوْرًا وَمَا هِيَ (٦) صُوْر
وَقَدْ شَعَرَتْ مِنْهُمْ حُصُوْنٌ أَوَاهِلُ وَمَا رَاعَهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ شَعُوْر
فَلِلَّهِ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ إِنَّهُ مَلِيْكُ يَسِيْرُ النَّصْرِ حَيْثُ يَسِيْرُ
وَيُعْمِدُ فِي هَامِ الْمُلُوْكِ حُسَامُهُ وَيَرْهَبُ مِنْ هَامِ الْمُلُوْكِ غَفِيْر
وَيَجْمَعُ مِنْ أَشْلَانِهِمْ مُتَفَرِّقًا بِصَارِمِهِ جَمَعَ الْهَشِيْمِ حَظِيْرُ (٧)

(١) فصل من الباد ، خرج منها . (٢) تميز : تجلب لهم الطعام .

(٣) ت : وزفت . (٤) ت : صخور . وزفت : مصت ، والنحور ، جمع نحر ، وهو أسفل

الخلق . وسحور جمع سحر يفتح السين ، وهى الرثة .

(٥) د : حيرا . (٦) ١٠ : ساقطة من د . (٧) الحظير : يريد الحظيرة التى تعمل للدواب ونحوها .

فَأَخْلَقَ بَأْنَ يَبْقَى وَيَبْقَى لِلْمَلِكَةِ ثَمَاءٌ حَكَاهُ عَنِّي وَعَبِيرُ
وَتَأْتِيهِ خَيْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ يُؤَيَّدُ مِنْهَا بِالنَّفِيرِ نَفِيرُ
وَيَحْمِلُ كُلَّ الْمَلِكِ عَنْهُ وَإِصْرَهُ (١) حَرِيٌّ بِتَدْيِيرِ الْأُمُورِ جَدِيرُ
أَخُو عَزَمَاتٍ فَالْبَعِيدُ مِنَ الْعَلَا لَدَيْهِ قَرِيبٌ وَالْعَسِيرُ يَسِيرُ
تَكَادُ إِذَا مَا أُبْرِمَتْ عَزَمَاتُهُ لَهَا الْأَرْضُ تُطَوَّى وَالْجِبَالُ تَسِيرُ
دَعَانِي إِلَى مَعْنَاهُ دَائِعٌ وَلَيْسَ لِي جَنَانٌ عَلَى ذَاكَ الْجَنَابِ جَسُورُ
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَسِيرِي لِلْمَجْدِ لَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ يُجِيرُ
إِذَا جِئْتُهُ وَحَدِي يَقُومُ بِنُصْرَتِي قِبَائِلُ مِنْ إِقْبَالِهِ وَعَشِيرُ
فَتَى أَبَدَتْ الدُّنْيَا عَوَاقِبَهَا لَهُ وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا لَدَيْهِ صُدُورُ
فَعَقَلَتْهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ يَقْظَةُ وَغَيْبَتُهُ عَمَّا يُرِيدُ حُضُورُ
وَمَا كُلُّ فَضْلٍ فِيهِ إِلَّا سَجِيَّةٌ يُشَارِكُ فِيهَا ظَاهِرٌ وَضَمِيرُ
فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النَّزَالِ مُحَرَّضٌ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النُّوَالِ سَفِيرُ
هُوَ السَّيْفُ فَاحْذَرُ صَفْحَةً لِفِرَارِهِ (٢) قَبِيْنَهُمَا لِلْإِمْسِينِ غُرُورُ (٣)
مَهِيْبٌ وَهَوْبٌ لِلْمُحَاوِلِ جُودُهُ جَوَادٌ وَلِلَّيْثِ الْمَصُورِ هُصُورُ
إِشَارَاتُهُ فِيمَا يَرُومُ صَوَارِمٌ وَسَاعَاتُهُ عَمَّا يَسَعْنَ دُهُورُ
إِذَا هَجَرَ النَّاسُ الْهَجِيرُ لَكَرَّ بِهِمْ يَلْدُ لَهُ أَنَّ الزَّمَانَ هَجِيرُ

(١) الإِصْرُ . السَّكْلُ : الْعَبْرَةُ ، وَمِثْلُهَا .

(٢) غَرَارُ السَّيْفِ : حُدُّهُ . (٣) يَقْصِدُ بِالْفِرَارِ : الْهَلَاكُ .

وَهَلْ يَتَّقِي حَرَّ الزَّيْتَانِ ابْنُ غَادَةَ جَلِيلٌ عَلَى حَرِّ الزَّيْتَانِ صَبُورٌ
يُحَازِرُهُ الْمَوْتُ الزُّوَامُ إِذَا سَطَا وَلَكِنَّهُ مِنْ أَنْ يُلَامَ حَدُورٌ
وَسَتَهَوْنُ^(١) الْأَهْوَالُ فِي الْمَجْدِ نَفْسُهُ وَاسْتَحْقِرُ الْمُؤْهُوبَ وَهُوَ خَطِيرٌ
مَكَارِمُهُ لَمْ تَبْقَ فَقْرًا وَرَأْيُهُ إِلَى بَعْضِهِ أَغْنَى الْمَالُوكِ فَقِيرٌ
كَفَفَتْهُ سَطَاهُ أَنْ يُجَهِّزَ عَسْكَرًا وَأَرَاؤُهُ أَنْ يُسْتَشَارَ وَزِيرٌ
فَوَاطِنَ أَطْرَافِ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُهُ وَصِيْنَتْ حُصُونٌ بِاسْمِهِ وَتُغَوِّرُ
مُحْيَاهُ طَلَقَ بِاسْمِ رَوْضٍ كَفَّهُ أَرِيضٌ وَمَا الْبَشَرُ مِنْهُ نَمِيرٌ^(٢)
حَكَمَى الْبَحْرَ وَصَفَاءً مِنْ طَهَارَةِ كَفَّهُ فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ طَهُورٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا كِيمِيَاهُ سَعَادَةٍ وَوَصْنِي لَتِلْكَ الْكِيمِيَاءِ شُدُورٌ
بِهَاقَمَ شِعْرِي لِلْخَلَاصِ^(٣) فَمَا أَرَى لَشِعْرِي امْتِحَانِ الْفَاقِدِينَ نَصِيرٌ^(٤)
وَرُبَّ أَدِيبٍ ذِي لِسَانٍ كَمَبْرَدٍ^(٥) بَدَا مِنْ قَمِّ كَالْكَبِيرِ أَوْ هُوَ كَبِيرٌ
أَرَادَ امْتِحَانًا لِي فَرَزَيْفَ لَفْظُهُ نَتَانٌ^(٦) بَدَا مِنْ نَظْمِهِ وَخَرِيرٌ^(٧)
إِذَا مَا رَأَى عَافِي وَاسْتَقْلَنِي كَأَنِّي فِي قَعْرِ الزُّجَاجَةِ سُورٌ^(٨)
وَيُعْجِبُهُ أُنَى نَحِيفٍ وَأَنَّهُ سَمِينٌ يَسُرُّ النَّاضِرِينَ طَرِيرٌ^(٩)

(١) تعددها هيئة .

(٢) النمير : الناجع من الماء ، عذبا كان ، أو غير عذب .

(٣) د : لا خلاص .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) د : مكرر . (٦) تن ككرم وضرب نتانة وأنتن فهو منتن . ولم نجد التنان بغير هاء . وهي عامية .

(٧) الطرير : صوت الماء والريح . (٨) سور أصلها سور ، وهو ما يتبقى من الشارب في الإناء .

(٩) الطرير : ذو المنظر الحسن .

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الدَّرَّ يَصْغُرُ جِرْمُهُ وَمَقْدَارُهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ خَطِيرُ
فَقَامَ بِنَصْرِي دُونَهُ ذُو نَبَاهَةٍ حَلِيمٌ إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ وَقُورُ
وَلَا جَوْرَ فِي أَحْكَامِهِ غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى الْخَائِنِينَ الْجَائِرِينَ يَجُورُ
فَلَا تَنْظُرِ الْعَمَالُ لِلْمَالِ إِنَّهُ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ غَيُورُ
وَأَنَّ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ بَعْدَ لَهُ طَوِيلٌ وَعُمَرُ الْخَائِنِينَ قَصِيرُ
لَهُ قَلَمٌ بِالْبَأْسِ يَجْرِي وَبِالنَّدَى فِي جَانِبَيْهِ جَنَّةٌ وَسَمِيرُ
تُحَلِّي الطُّرُوسَ الْعَاطِلَاتِ سَطُورُهَا كَمَا تَتَحَلَّى بِالْعُقُودِ نُحُورُ
أَجَلِّي لِحَاطِي فِي خَمَائِلِ حُسْنِهِ فَمِنْ حَيْرَةٍ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَحُورُ
عَلَا بَعْضُهُ فِي الْقَدْرِ بَعْضًا كَمَا عَلَا مَعَ الْحَسَنِ زَهْرٌ فِي الرِّيَاضِ نَضِيرُ
حَكَى حَسَنَاتٍ فِي صَحَائِفِ مُؤْمِنٍ يُسَرُّ كِبِيرِيٌّ بِهَا وَصَغِيرُ
فَكَانَتْ شُكُوكًا مِنْهُ زَانَتْ حُرُوفُهُ حِسَابًا قَالَتْ^(١) مِنْهُ الصَّحَّاحُ كُسُورُ
فَقُلْتُ وَقَدَرَا عَتَى بِفَصْلِ خِطَابِهِ وَرَاقَتْ عُيُونُ النَّاظِرِينَ سُطُورُ
لَئِنْ جَاءَهُمْ كَالْعَيْثِ مِنْهُ مُبَشِّرًا لَقَدْ جَاءَهُمْ كَالْمَوْتِ مِنْهُ نَذِيرُ
فَوَيْلٌ لِلْعُومِ مِنْ يَرَاجَ كَأَنَّهُ خِلَالُ^(٢) يَرُوعُ الْأُسْدُ مِنْهُ صَرِيرُ
وَلَمْ لَا وَآسَادُ الْعَرِينِ لِدَانِهِ^(٣) يَكُونُ لَهُ مِثْلُ الْأَسَدِ زَنْبِيرُ
يَغْضُ لَدَيْهِ مُقْلَتِيهِ ابْنُ مُقْلَةٍ كَمَا غَضَّ مَنْ فِي مُقْلَتِيهِ بُشُورُ
وَأَنَّى لَهُ لَوْ نَالَهُ مِنْ تَرَابِهِ لَيْسَ كَحَلِّ مِنْهُ مُقْلَتِيهِ ذَرُورُ

(١) قلت: أبغضت . (٢) الخلال جمع خلة بكسر الخاء، وهي جفن السيف، والمقصود بها هنا السيف .

(٣) الأصل: لذاته ونظن الصواب ما أثبتناه .

وَقَدْ كَفَّ عَنْ كُوفِيَّةٍ كَفَّ عَاجِزٍ وَفِيهِ نَظِيمٌ دُرُّهُ وَنَشِيرٌ
وَوَدَّ الْعَذَارَى لَوْ يُعْجَلُ نِخْلَةٌ إِلَيْهِنَّ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ مُهَوَّرٌ
رَأَى مَا يَرُوقُ الطَّرْفَ بِلَ مَا يَرُوعُهُ فَخَارَ وَذُو الْقَلْبِ الضَّعِيفِ يَخُورُ
بَنَى مَا بَنَى كِسْرَى وَعَادَ وَتَبَعَ وَلَيْسَ سِوَاءَ مُؤْمِنٍ وَكَافُرٍ
وَدَلَّ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ أُسَاسُهُ كَمَا دَلَّ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورُ
حِجَازِيَّةُ السُّحْبِ الثَّقَالِ يَسُوقُهَا عَلَى جَبَلٍ سَوَاقًا صَبًا وَدُبُورُ
وَمِنْهَا نُجُومٌ فِي بُرُوجٍ مَجَرَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ تَبْدُو تَارَةً وَتَغُورُ
تَضِيقُ بِهَا السُّبُلُ الْفِجَاجُ فَلَا يَرَى بِهَا لِلرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَسِيرُ
فَكَمْ صَخْرَةٍ عَادِيَّةٍ قَذَفَتْ بِهَا إِلَيْهِ سُهُولٌ جَمَّةٌ وَوُغُورُ
وَمَنْ عُمِدَ فِي هِمَّةٍ الدَّهْرِ قُوَّةُ^(١) وَفِي بَاعِهِ مِنْ طُولِهِنَّ قُصُورُ
أَشَارَ لَهَا فَأَقَادَ سَهْلًا عَسِيرُهَا إِلَيْهِ وَمَا أَمَرَ عَلَيْهِ عَسِيرُ
أَتَتْهُ بِهَا أُنْدَى الرِّيَّاحِ وَدُونَ مَا أَتَتْهُ بِهَا أُنْدَى الرِّيَّاحِ ثَمِيرُ
وَمَا كَانَ لَوْلَا مَالُهُ مِنْ كَرَامَةٍ لِأَيَّاتِنَا بِالْمُعْجَزَاتِ أَمِيرُ
لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْوَى وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ بِحُرٍّ^(٢) مَبَانِيهِ الثَّلَاثُ تُشِيرُ
فَمِثْدَنَةٌ فِي الْجَوِّ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى عَلَيْهَا هُدًى لِلْعَالَمِينَ وَنُورُ
وَمِنْ حَيْنًا وَجْهَتْ وَجْهَكَ نَحْوَهَا تَلَقَّتْكَ^(٣) مِنْهَا نَضْرَةٌ وَسُرُورُ

يَمُدُّ إِلَيْهَا الْحَاسِدُ الطَّرْفَ حَسْرَةً فَيَرْجِعُ ^(١) عَنْهَا الطَّرْفُ وَهُوَ حَسِيرٌ ^(٢)
فَكَمْ حَسَدَتْهَا فِي الْعُلُوِّ كَوَاكِبُ وَغَارَتْ عَلَيْهَا فِي السَّكَالِ بُدُورُ
إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَذِّنٌ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنُّجُومِ سَمِيرُ
فَلِلنَّاسِ مِنْ تَذْكَارِهِ وَأَذَانِهِ فَطُورٌ عَلَى رَجْعِ الصَّدَى وَسَحُورُ
وَقُبَّةٌ مَارِسْتَانِ لَيْسَ لِعِلَّةٍ ^(٣) عَلَيْهِ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُرُورُ
صَحِيحُ هَوَاءٍ لِلنَّفُوسِ بِنَشْرِهِ مَعَاذُ وَلِلْعَظَمِ الرِّيمِ نُشُورُ
يَهْبُتُ فَيَهْدِي كُلَّ رُوحٍ بِجِسْمِهِ كَأَنَّ صَبَاهُ حِينَ يَنْفُخُ صُورُ ^(٤)
فَلَوْ تَعَلَّمَ الْأَجْسَامُ أَنْ تُرَابُهُ مَهَادُ حَيَاةٍ لِلْجُسُومِ وَثِيرُ
لَسَارَتْ بِمَرْضَاهَا إِلَيْهِ أَسْرَةٌ وَصَارَتْ بِمَوْتَاهَا إِلَيْهِ قُبُورُ
وَمَا عَادَ يُبْلَى بَعْدَ ذَلِكَ مَيِّتًا ضَرِيحٌ وَلَا يَشْكُو الْمَرِيضَ سَرِيرُ
بِجَنَّتِهِ وَرُزْقُ تُرَاسِلُ مَاءُهُ يَشُوقُ هَدِيلُ مِنْهُمَا وَهَذِيرُ
وَقَدْ وَصَفَتْ ^(٥) لِي النَّاسُ مِنْهَا عَجَائِبًا كَأَوْجُهُ غَيْدٍ مَا لَهْنٌ سُفُورُ
مَحَارِسُهَا اسْتَدْعَتْ نَسِيْبِي وَمَادَعَا نَسِيْبِي غَزَالٌ قَبْلَ ذَاكَ غَرِيرُ ^(٦)
وَبَاتَ بِهَا قَلْبِي يُمَثِّلُ حُسْنَهَا لِعَيْنِي وَنَوْمِي بِالسَّهَادِ غَزِيرُ
وَلَا وَصَفَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِوَاصِفٍ وَرُودٌ عَلَى مَوْصُوفِهِ وَصُدُورُ
بَدَتْ فَهِيَ عِنْدَ الصَّالِحِيَّةِ جَلَّتْ وَفِي تِلْكَ جَنَّاتٍ وَتِلْكَ قُبُورُ

(١) د : فرجع . (٢) حسير : متعب ومنقطع من طول المدى .

(٣) د : بعلة . (٤) الصور: أرواح الموتى ، قيل إنه جمع صورة .

(٥) د : وصفوا . (٦) غرير : ساذج ، غير مجرب .

وَلَوْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لَتَبَادَرَتْ
 وَمَدْرَسَةٌ وَدَّ الْخَوَرَنَقُ أَنَّهُ
 مَدِينَةُ عِلْمٍ وَالْمَدَارِسُ حَوْلِهَا
 تَبَدَّتْ فَأَخْفَى الظَّاهِرِيَّةُ نُورُهَا
 بِنَاءُ كَانَ النَّحْلَ هَنْدَسَ شَكْلَهُ
 بَنَاهَا حَكِيمٌ لَيْسَ فِي عَزَمَاتِهِ
 بَنَاهَا شَدِيدُ الْبَأْسِ أَوْحَدُ عَصَرِهِ
 فَمَا صَنَعَتْ عَادٌ مَصَانِعَ مِثْلَهُ
 ثَمَانِيَّةٌ فِي الْجَوْثِ يَحْمِلُ عَرْشَهَا
 يَرَى مَنْ يَرَاهَا أَنَّ رَافِعَ سَمَكِهَا
 وَأَنَّ مَنَارًا قَائِمًا بِإِزَائِهَا
 كَانَ مَنَارَ اسْكَنْدَرِيَّةَ عِنْدَهُ
 بَنَاهَا سَعِيدٌ فِي بَقَاعِ سَعِيدَةٍ
 إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَذِّنٌ
 فَصَارَتْ بُيُوتُ اللَّهِ آخِرَ عُمرِهَا
 ذَكَرْنَا لَدَيْهَا قُبَّةَ النَّسْرِ مَرَّةً
 فَإِنْ نُسِبَتْ لِلنَّسْرِ فَالطَّائِرُ الَّذِي
 وَإِلَّا فَمَكَّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَالُ دُونِهَا^(١)

مِنَ الدَّرِّ وَلِدَانٌ إِلَيْهِ^(٢) وَحُورٌ
 لَدَيْهَا حَظِيرٌ وَالسِّدْرُ غَدِيرٌ
 قُرَى أَوْ نُجُومٌ بَدْرُهُنَّ مُنِيرٌ
 وَلَيْسَ بِظُهُرٍ لِلنَّجُومِ ظُهُورٌ
 وَلَا نَتَ لَهُ كَالشَّمْعِ مِنْهُ صُخُورٌ^(٣)
 فَتُورٌ وَلَا فِيمَا بَنَاهُ فَتُورٌ
 خَلَّتْ حَقَبٌ مِنْ مِثْلِهِ وَعُصُورٌ
 وَلَا طَاوَلَتْهُ فِي الْبِنَاءِ قُصُورٌ
 وَبَعْضٌ لِبَعْضٍ فِي الْبِنَاءِ ظَاهِرٌ
 عَلَى فِعْلٍ مَا أَعْيَا الْمُلُوكَ قَدِيرٌ
 بَنَانٌ إِلَى فَضْلِ الْأَمِيرِ تَشِيرٌ
 نَوَاةٌ بَدَتْ وَالْبَابُ فِيهِ نَقِيرٌ
 بِهَا سَعِدَتْ قَبْلَ الْمَدَارِسِ دُورٌ
 فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنَّجُومِ سَمِيرٌ^(٤)
 قُصُورٌ خَلَّتْ مِنْ سَادَةٍ وَخُدُورٌ
 فَمَا كَادَ نَسْرٌ لِلْحَيَاءِ يَطِيرٌ
 لَهُ فِي الْبُرُوجِ الثَّابِتَاتِ وَكُورٌ
 إِلَى الْأَرْضِ عِقْبَانٌ هَوَتْ وَنُسُورٌ

(١) د : لديه . (٣٤٢) هذه الأبيات ساقطة من الديوان وواردة في خطط المقرئ عند الكلام

عن المارستان المنصوري الكبير . (٤) د : حال .

تَبَيَّنَتْ فِي^(١) مِحْرَابِهَا وَهِيَ كَالدُّمَى قُدُودٌ غَوَانٍ كُلُّهُنَّ خُصُورُ
 وَقَدْ حُلِيَتْ مِنْهَا صُدُورُهُ بِعَسْجَدٍ وَلَقَّتْ لَهَا تَحْتَ الْحِلِيِّ شُعُورُ
 بِهَا عُدَّةٌ كَثْرَتْنَ أَيَّامَ عَامِهَا وَمِنْ عَامِهَا لَمْ يَمُضْ بَعْدُ شُهُورُ
 مَبَانٍ^(٢) أَبَانَتْ عَنْ كَمَالِ بِنَائِهَا وَأَعْرَبَ عَنْ وَضْعِ الْأَسَاسِ هَتُورُ
 سَمَاوِيَّةٌ أَرْجَاوُهَا فَكَّأُهَا^(٣) عَلَيْهَا مِنَ الْوَشْيِ الْبَدِيعِ سَتُورُ
 تَوَهَّمُ طَرْفِي أَنَّ تَجْزِيعَ بَسْطِهَا رُقُومٌ وَتَلْوِينَ الرُّخَامِ حَرِيرُ
 وَكَمْ جَاوَزَ الْإِبْدَاعُ فِي الْحُسْنِ حَدَّهُ فَأَوْهَمَنَا أَنَّ الْحَقِيقَةَ زُورُ
 فَلِلَّهِ يَوْمٌ ضَمَّ فِيهِ أُمَّةٌ تَدْفَقُ مِنْهُمْ لِلْعِلْمِ بِحُجُورُ
 وَشَمْسُ الْمَعَالِي مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ لَفْظِ السَّكَلَامِ تُدِيرُ
 وَقَدْ أَعْرَبَتْ لِلنَّاسِ عَنْ^(٤) خَيْرِ مَوْلِدٍ عَرُوبٌ^(٥) بِهِ وَالْفَضْلُ^(٦) فِيهِ كَثِيرُ
 فَأَكْرَمَ يَوْمٍ فِيهِ أَكْرَمُ مَوْلِدٍ لِأَكْرَمِ مَوْلُودٍ نَمَتُهُ حُجُورُ
 يُطَالِعُهُ الْمُسْلِمِينَ مَسْرَّةٌ وَلَكِنْ بِهِ لِلْكَافِرِينَ ثُبُورُ^(٧)
 قَرَأْنَا بِهَا الْقُرْآنَ غَيْرَ مُبَدَّلٍ فَغَارَتْ أَنْجِيلُهُ وَغَارَ زُبُورُ
 وَتَنَّتْ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ رِوَاثُهَا وَكَلَّتْ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ خَبِيرُ
 وَتَلَّتْ يَدْعُو اللَّهُ فِيهَا مُوَحِّدٌ ذَكَرُورُ لِنِعْمَاءِ الْإِلَهِ شَكُورُ
 وَمَا تِلْكَ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا سَعَادَةٌ يَدُومُ لَهُ ذِكْرُهَا وَأُجُورُ
 دَعَاها إِلَيْهِ وَافِرُ الرَّأْيِ وَالْحِجَا يَزِينُ الْحِجَى وَالرَّأْيُ مِنْهُ وَقُورُ

(١) ت : من . (٢) د : إبان إينيت . (٣) ت : فكأنما .

(٤) د : من . (٥) الأصل عدوية إن الفضل فلعلها عروبة أو غدا به .

(٦) د : إن الفضل . (٧) الثبور : الهلاك .

فهل في ملوك الأرض أو خلفائها له في الذي شادت يده نظير
على أنهم^(١) في جنب ما شاد من علا ولو كان كالسبع الطباق حصير^(٢)
وقال^(٣) :

ذو يراع يرُوعُ كالسيفِ إما بصلي عِده أو بصير
ما رأى الناس قبله من يراع لوزير صيرُهُ كالزئير
فإذا سطر الكتاب أَرانا بحر فضل أواجه من سطور
وإذا استخرجه يستخرج الدر نفيساً من بحر المسجور^(٤)
نظرت مقلتي إليه كاني ناظر في بديع زهر نصير
ثم شرفت مسمعي بتوأم^(٥) وفرادى من دره المنور
لأنطاوله في الفخار فما غا در في الفخر مرتقى لفخور
ذكره لذة السامع فاستمتع به من لسان كل ذكور
ثم معنى وصوره فهو في الحا^(٦) أين ملء العيون ملء الصدور
زرت أبوابه التي أسعد الله بها كل زائر ومزور

(١) د : أنه . (٢) حصير : بخيل .

(٣) عبارة « وقال » ساقطة من النسخة التيمورية . وقد ترتب على سقوطها أن امتزجت هذه القصيدة بالتي قبلها . وقد علق ناسخ الخطوطة التيمورية على ذلك بقوله « الظاهر أن هذه الأبيات من قصيدة أخرى غير التي قبلها . فإن هذه من الضرب الأول من بحر الخفيف وتلك من الضرب الثالث من بحر الطويل . وحرف الروي في تلك مضموم وفي هذه الأبيات مكسور . وقد وجدت النسخة الأصلية كذلك فتتبعها والله أعلم . والنسخة المنقول عنها خلط الثانية مع الأولى وجعلها قصيدة واحدة . وهذا خلاف الصواب . ولذا فصلتها عن التي قبلها » .

(٤) المسجور : الزاخر . (٥) التوأم : كل اثنين ولدا في بطن واحد . (٦) د : للحالين .

كُلُّ مَنْ زَارَهَا يَعُودُ كَمَا عُدْتُ بِفَضْلٍ مِنْهَا وَأَجْرٍ كَثِيرٍ
وَكَفَانِي سَعْيِي إِلَيْهَا لِأَهْدِي مِنْهُ بِالرُّشْدِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ ^(١)
إِنَّ مَنْ دَبَّرَ الْمَالِكَ لَا يَنْزُبُ عَنْ حُسْنِ رَأْيِهِ تَدْبِيرِي
كَانَ رِزْقِي مِنْ جَدِّهِ وَأَيُّهُ أَيْ رِزْقِي مُبْتَسِرٍ مُؤَفَّورٍ
وَإِذَا كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى الْوَالِدِ رِثَ إِنْ عِبْدَ لِعَبْدٍ ^(٢) الشُّكُورُ
فَارِسِ الْخَيْلِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ الْحَبِيرِ الْمَعَامِ الْخَلَّاحِلِ ^(٣) النَّحْرِيرِ
لَمْ يَزَلْ مِنْ عُلُومِهِ وَتَقَاهُ بَيْنَ تَاجٍ مِنْ سُودُدٍ وَسَرِيرِ
أَبَدًا بِالصَّوَابِ ^(٤) يَنْظُرُ فِي الْمُلْكِ وَفِي بَيْتِ مَالِهِ الْمَعْمُورِ
فَغَدَا الْجُنْدُ وَالرَّعِيَّةُ وَالْمَالُ لُبَّخِيرٍ مِنْ سَعْيِهِ الْمَشْكُورِ
فَأَقْلُ الْأَجْنَادِ فِي مِصْرَ يُزْرَى مِنْ بِلَادِ الْعِدَا بِأَوْفَى أَمِيرِ
قُلُوبٍ مِنْ خَابَ قَصْدُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ وَعَيْنِ مَأْمُورِ
يَمُحُّ الصَّاحِبَ الَّذِي يُتَرَجَّى ^(٥) فَتَحُ ثَغْرٌ ^(٦) بِهِ وَسَدٌّ ثَغُورِ
وَبَعِيدُ الْأُمُورِ مِثْلُ قَرِيبٍ عِنْدَهُ وَالْعَسِيرُ مِثْلُ يَسِيرِ
أَوْ مِمَّا لَقِيتُ مِنْ غَيْبَتِي عَنْهُ وَمِنْ نِسْبَتِي ^(٧) إِلَى التَّقْصِيرِ
كَثُرَ الشَّاهِدُونَ لِي أَنَّنِي مُتُّ وَفِي الْبُعْدِ عَنْهُ قَلَّ عَذِيرِي
مَنْ لَشَيْخِ ذِي عِلَّةٍ وَعِيَالٍ ثَقَلَتْ ظَهْرَهُ بِغَيْرِ ظَهِيرِ ^(٨)
أَثَقَلُوهُ وَكَلَّفُوهُ مَسِيرًا ^(٩) وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ سَيْرُ ثَبِيرِ ^(١٠)

(١) ت : آموري . (٢) د : إني لعبد شكور ، ت : إني عبد الشكور . وقد كتب تيمور باشا

أمام هذا الشطر في نسخهته ما نصه « ولعل الصواب إني عبد لعبد الشكور » وقد استصوبت هذا فأثبتته .

(٣) الخلاجل : السيد الركين . والنحرير : العالم المتقن . (٤) د : في الصواب .

(٥) د : يزجي . (٦) د : ثنور . (٧) د : ينسبني . (٨) الظهير : المعين .

(٩) د : سيرا . (١٠) ت : يسير .

فَهُوَ فِي قَيْدِهِمْ يُدَادُ مِنَ السَّيِّئِ لِنَتَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ كَالْأَسِيرِ
وَعَتَّتْ أُمَّهُمْ عَلَى وَبَلَّتْ فِي عَتُوٍّ مِنْ كِبَرَتِي وَنُفُورِ
وَدَعَتْ دُونَهُمْ هُنَالِكَ بِالْوَيْلِ لِأَمْرِ فِي نَفْسِهَا وَالثُّبُورِ
حَسِبْتُ عِلَّتِي تَزُولُ فَقَالَتْ يَا كَثِيرَ التَّهَوُّينِ وَالتَّهَوُّيرِ^(١)
كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ فَعَجَّلْ بِدَوَائِي دَاءَ غُضُوِّ خَطِيرِ
قُلْتُ مَهْلًا فَمَا يَمْلِحُ السَّقَنُ قُوَّ رِ أَدَاوِي وَلَا يَلْخُمُ الذُّرُورِ
سَقَطَتْ قُوَّةُ الْمَرِيضِ الَّتِي كَانَتْ قَدِيمًا تُرَادُّ بِالْكَافُورِ
وَعَصَانِي نَظْمُ الْقَرِيضِ الَّذِي جَرَّ ذُيُولًا عَلَى قَرِيضِ جَرِيرِ
وَأَزْدَرَّتَنِي^(٢) بَعْضُ^(٣) الْوَلَاةِ وَقَدْ أَصْبَحَ شِعْرِي فِيهِمْ كَخُبْرِ الشَّعِيرِ
وَعَسَلْتُ الَّذِي جَمَعْتُ مِنَ الشَّعْرِ بِفَيْضٍ^(٤) عَلَيْهِ غِسْلٌ صُخُورِ
وَنَهَيْتَنِي عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ شِدَّةُ الْبَأْسِ مِنْ سَخَا فِي مَسِيرِ
وَهَجَرْتُ الْكِرَامَ حَتَّى شَكَانِي مِنْهُمْ كُلُّ عَاشِقٍ مَهْجُورِ
وَكَرْغِبِ الْقَطَا وَرَانِي فِرَاحُ^(٥) مِنْ إِنْثَاءٍ أَعُولُهُمْ وَذُكُورِ^(٦)
يَتَعَاوَنُونَ كَالذَّنَابِ وَيَنْقَضُونَ مِنْ فَرَطِ جُوعِهِمْ كَاللَّسُورِ
وَفَتَاةٍ مَا جُهِّزَتْ بِجِهَازٍ خُطِبَتْ لِلدُّخُولِ بَعْدَ شُهُورِ
وَأَفْتَضَلْتَنِي الشُّوَارَ^(٧) بَغِيًّا عَلَى مَنْ بَيْتُهُ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ^(٨) حَصِيرِ
هَذِهِ السُّورَةُ^(٩) الَّتِي أَقَعَدْتَنِي عَنْكَ آيَاتُهَا قُعُودَ حَسِيرِ

(١) التَّهَوُّيرُ : الفش . (٢) د : وازورتنى . (٣) د : لبعض . (٤) د : لفيض ، ت : لفيض ،
ولعل الصواب ما أثبتناه . (٥) ت ورائى . (٦) د : أو . (٧) الشوار : جهاز العروس .
(٨) د : إلا . (٩) د : الشوز ، ت : الشورة والصواب ما أثبتناه .

أَقْدَتْنِي بِقَرَّةٍ أَسْلَمَتْنِي لِضِيَاعٍ مِنْ فَاقَتِي وَكُفُورِ
 كُلِّ يَوْمٍ مُنْقَصٍ بِطَعَامٍ أَوْ رَفِيقٍ مُنْقَصٍ بِشُرُورِ
 وَرِفَاقِي فِي خِدْمَةٍ طَوَّلَ عُمْرِي رَفَقَتِي^(١) فِي الْحِرَانِ مِثْلُ الْحَمِيرِ
 كُلَّمَا رُمْتُ أَنْسَهُمْ ضَرَبُوا مِنْ وَخْشَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي بِسُورِ
 وَأَبَوْا أَنْ يُسَاعِدُونِي عَلَى قُوَّةِ عِيَالِي بِخُلَاٍّ بِكَيْلٍ بَعِيرِ^(٢)
 فَسَيِّغُنِي إِلَهُهُ عَنْهُمْ بِجَدْوَى خَيْرِ مَوْلَى لَنَا وَخَيْرِ نَصِيرِ
 صَاحِبِ يَبْلُغِ الْمُؤَمِّلُ مِنْهُ كُلَّ مَارَامِهِ بِغَيْرِ سَفِيرِ
 مِنْ أَنْاسٍ سَادُوا بَنِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فِي الْوَرَى لَهُمْ مِنْ نَظِيرِ
 سَرَّتِ النَّاطِرِينَ^(٣) مِنْهُمْ وَجُودُهُ وَصِفَتِ بِالْجَمَالِ وَصَفَ الْبُدُورِ
 وَرَبُّوا الْأَرْضَ مِثْلَ مَا كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الذِّكْرِ بَعْدَ الزُّبُورِ
 فَهُمْ الْقَائِمُونَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ بِالْقِسْطِ وَالزَّمَانِ الْآخِرِ
 وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَالْوَارِثُونَ الْفِرْدَوْسِ وَالْمُفْلِحُونَ فِي التَّفْسِيرِ
 عَبْدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ
 وَأَحَبُّوا آلَ النَّبِيِّ فَكَانُوا مَعَهُمْ فِي مَغْيَرِهِمْ وَالْحَضُورِ
 فِي مَقَامٍ مِنَ الصَّالِحِ وَأَمِنْ وَمُقَامٍ مِنَ النَّعِيمِ وَثِيرِ
 أَهْلُ بَيْتِ مُطَهَّرِينَ مِنَ الرَّجْسِ وَهُمْ أَغْنِيَا^(٤) عَنِ التَّطَهِيرِ
 حُجِّبُوا بِالْأَثَاثِ عَنَّا وَبِالزَّيِّ وَأَخْفَوْا جِهَالَهُمْ بِالْخُدُورِ
 لَبَسُوا الزَّيَّ بِالْقُلُوبِ وَأَغْنَوْا صِدْقَهُمْ عَنِ لِبَاسِ تَوْبَى زُورِ

(١) د : روفقة . (٢) د : بغيرى . (٣) د : للناظرين .

(٤) د : أغنياء ، ت : أغنياء عن تطهير ولعل الصواب ما أثبتناه .

وَأَرَوْنَا أَهْلَ التَّقَى فِي الزَّوَايا سَلَمُوا فِي الْبَقَا لِأَهْلِ الْقُصُورِ
وَأَتَوْا كُلَّهُمْ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأَتَى غَيْرُهُمْ بِثَوْبٍ تَقِيرِ
وَحَسَكَنَهُمْ ذُرِّيَّةٌ كَالدَّرَارِي مِنْ بَطُونِ زَكِيَّةٍ وَظُهُورِ
يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ لَا لِحِزَاءٍ يَتَرَجَّوْنَهُ وَلَا لِشُكُورِ
عَلَّمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا جَهِلْنَا وَكَفَاهُمْ شُكْرُ الْعَالِمِ الْخَلْبِيرِ
وقال (١) :

تَنَاوَكَ مِنْ رَوْضِ الْحَمَلِيلِ أَعْطَرُ وَوَجْهَكَ مِنْ شَمْسِ الْأَصَائِلِ أَنْوَرُ
وَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ وَسَعْدُكَ مُقْبِلٌ وَكُلُّ مَرَامٍ رُمْتُ فَهَوَّ مَيْسِرُ
وَجَاءَكَ مَا تَخْتَارُ مِنْ كُلِّ رِفْعَةٍ كَأَنَّكَ فِي أَمْرِ الْمَعَالِي مُخَيَّرُ
وَقَدَّرَكَ أَعْلَى أَنْ تُهَيَّيَ بِمَنْصِبٍ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَجَلُّ وَأَكْبَرُ
فِيَالِكَ تَكْمَسُ تَمَلَّاتُ الْأَرْضُ رَحْمَةً وَيَمْلَأُهَا شَوْقًا لَهُ حِينَ يُذْكَرُ
لَقَدْ مُلِئْتُ حُبًّا وَرُغْبًا قُلُوبُنَا بِهِ فَهَوَّ بِالْأَمْرَيْنِ فِيهَا مُصَوَّرُ
وَقَدْ أَدْعَنْتُ مِنْهُ الْجَوَارِحُ طَاعَةً لَهُ إِنْ سُلْطَانَ الْجَوَارِحِ سُنْقَرُ
يَرْوَعُ الْعِدَا مِثْلَ الْبَغَايَا (٣) إِمَانَةً إِذَا رَاعَهَا مِنْ رُحْمَةِ اللَّذَنِ مَنَسِيرُ (٤)
فِيَأْتِيهَا الشَّمْسُ الذِي فِي صِفَاتِهِ عُقُولُ الْوَرَى مِنْ دَهْشَةٍ تَتَخَيَّرُ
تَعْلَمُ مِنْكَ النَّاسُ مَا مَدَحُوا بِهِ كَأَنَّكَ فِيهِمُ لِلْفَضَائِلِ عُنْصُرُ

(١) ت : وقال ساعده الله تعالى من الطويل .

(٢) يبدو أن هذه القصيدة نظمت بعد سنة ٦٨٦ وذلك لأن الشاعر يشير فيها إلى طرد الأقباط من الوظائف الحكومية وكان ذلك سنة ٦٨٦ حيث قال :

ومذكروه السلطان خد منهم له تخي النصارى أنهم لم ينصروا

(٣) ت : فله شمس . (٣) الأصل : البغاة ، ولعلها البغايا ، وهي طلائع الجيش .

(٤) المنسر : المنقار . والمقصود به هنا ، سن الرمح .

وَأَنْتَ هَاهُمْ قَدَمْتَهُ ثَلَاثَةً
 مِنَ التَّرَكُّ فِي أَخْلَاقِهِ بَدْوِيَّةٌ
 وَكَمْ فِتْنَةً بَيْنَ الْعَشِيرِ ^(١) أَزَالَهَا
 فَأَتَّخِذَ مَا بَيْنَ الْخَلِيلِ بَرًّا بِهِ
 وَقَدْ زَبَرْتَ زَبْرًا وَقَبْضًا وَحَارِثًا
 وَقَدْ أَخْرَبْتَ مَا لَيْسَ يَغْمُرُ عَامِرٌ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ تُخْذَمِ مِنَ الْقَوْمِ فِتْنَةً
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْغَازَ أَمْرِهِ
 فَإِنْ فَوَّضَ السَّلْطَانُ أَمْرَ بِلَادِهِ
 وَأُمْسِرَ رَأَى حَالَ الْمَحَلَّةِ حَائِلًا
 فَقَالَ لِأَهْلِ الرَّأْيِ مَنْ يُرْتَضَى لَهَا
 فَمَا غَيْرُ شَمْسِ الدِّينِ يَحْمِي دِيَارَهَا
 خَيْرٌ بِأَحْوَالِ الْأَنَامِ كَأَنَّهُ
 وَلَا يَسْتَرُ مَا بَيْنَ الرَّعَايَا وَبَيْنَهُ
 فَلَمَّا رَأَتْ أَهْلُ الْمَحَلَّةِ قَدْرَهُ
 تَنَاجَوْا وَقَالُوا : قَامَ فِينَا خَلِيفَةٌ
 هَامُوا لَهُ فَهُوَ الرَّشِيدُ بَرًّا بِهِ
 فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا رَسُولُ سِيَادَةٍ
 فَقُلْ لِلرَّعَايَا لَا تَخَافُوا ظُلَامَةً

لَهَا الْمُنْتَهَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَمَنْظَرٌ
 لَهَا يَعْتَزِي زَيْدٌ وَعَمْرُو وَعَنْتَرُ
 وَكَانَ بِهَا لِلنَّاسِ بَعْثٌ وَمُخْشَرُ
 وَنَابُلَسُ النَّارِ الَّتِي تَنْسَعَرُ
 كِنَانَةٌ مِثْلُ الْكَرَمِ إِبَّانَ يُزْبَرُ ^(٢)
 وَقَدْ قَتَلْتَ مَا لَيْسَ يَقْبَرُ مَقْبَرُ
 وَلَمْ يَنْعَقِدْ فِيهَا عَلَى الصَّلْحِ مَشُورٌ ^(٣)
 يُنْطَقُ ذَا رَأْيٍ بِهِ وَيُبْصَرُ
 إِلَيْهِ فَمَا خَلَقَ بِهِ مِنْهُ أَجْدَرُ
 وَأَعْمَالُهَا وَالْجَوَرُ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
 فَقَالُوا لَهُ اللَّيْثُ الْهَمَامُ الْغَضْبَفَرُ
 سَطَاهُ كَمَا يَحْمِي الْعَرِينَةَ قَسُورُ
 بِمَا فِي نَفُوسِ الْعَالَمِينَ يُخْبِرُ
 وَلَكِنَّهُ حِلْمًا عَلَى النَّاسِ يَسْتَرُ
 يُعَزِّزُ مَا بَيْنَ الْوَرَى وَيُوقِرُ
 وَلَكِنْ لَهُ مِنْ صَبَوَةِ الظَّرْفِ مَنَبَرُ
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ جُودٌ كَفِيٍّ جَعْفَرُ
 وَصَارِمُهُ لِلنَّاسِ هَادٍ وَمُنْذِرُ
 وَلَا تَحْزَنُوا مِنْ حُكْمِ جَوْرِ وَأَبْشِرُوا

(١) العشير : قوم من العرب ، كانوا يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت .

(٢) ورد هذا البيت في الأصل هكذا وفيه تمحوض . (٣) المشور : مجلس التشاور .

فَقَدْ جَاءَكُمْ وَالِ بُرُوقُ سُيُوفِهِ إِذَا لَمَعَتْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرٌ
 فَتَى حَسَنْتُ أَخْبَارُهُ وَاخْتِيَارُهُ وَطَابَ ^(١) مَغِيبٌ مِنْ عُلَاهُ وَخَضِرَ
 عَجِبْتُ لَهُ يُرْضِي الرِّعَايَا انْتِصَاعُهُ وَيَرْمِي الْعِدَا مِنْ كَفِّهِ بِصَوَاعِقٍ
 وَيَجْمَعُ سِرَّ الْمَاءِ وَالنَّارِ سَيْفُهُ وَيُجْرِي عَلَى وَفْقِ الْمَرَادِ أُمُورَهُ
 وَتَنْفَعِلُ الْأَشْيَاءُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ وَتَسْتَغْطِمُ الظُّلَمُ الْخَفِيرَ فَلَوْ بَدَا
 فَطَهَّرَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ فَاسِدٍ ^(٢) وَمَهَّدَهُ لِلْسَّالِكِينَ ^(٣) مِنَ الْأَذَى
 فَشَرَّقَ وَغَرَّبَ فِي الْبِلَادِ فَكَمْ لَهُ وَمَا كُلُّ وَالٍ مِثْلُهُ فِيهِ يَنْقُطَةُ
 أَنْامَ الرِّعَايَا فِي أَمَانٍ وَطَرَفُهُ فَلَا الْخَوْفُ مِنْ خَوْفٍ أَلَمْ بَارِضِهِ
 أَتَى النَّاسَ مِثْلَ الْفَيْثِ فِي أَرْضِ جُودِهِ وَكَانَتْ وُلَاةُ الْحَرْبِ فِيهَا كَمَا صَفِ
 وَكُلُّ امْرِئٍ وَلِيَّتُهُ فِي رَعِيَّةٍ وَمَنْ حَسَنْتَ آثَارُهُ فَهُوَ مُقْبِلٌ
 إِذَا لَمَعَتْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرٌ وَطَابَ ^(١) مَغِيبٌ مِنْ عُلَاهُ وَخَضِرَ
 عَجِبْتُ لَهُ يُرْضِي الرِّعَايَا انْتِصَاعُهُ وَيَرْمِي الْعِدَا مِنْ كَفِّهِ بِصَوَاعِقٍ
 وَيَجْمَعُ سِرَّ الْمَاءِ وَالنَّارِ سَيْفُهُ وَيُجْرِي عَلَى وَفْقِ الْمَرَادِ أُمُورَهُ
 وَتَنْفَعِلُ الْأَشْيَاءُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ وَتَسْتَغْطِمُ الظُّلَمُ الْخَفِيرَ فَلَوْ بَدَا
 فَطَهَّرَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ فَاسِدٍ ^(٢) وَمَهَّدَهُ لِلْسَّالِكِينَ ^(٣) مِنَ الْأَذَى
 فَشَرَّقَ وَغَرَّبَ فِي الْبِلَادِ فَكَمْ لَهُ وَمَا كُلُّ وَالٍ مِثْلُهُ فِيهِ يَنْقُطَةُ
 أَنْامَ الرِّعَايَا فِي أَمَانٍ وَطَرَفُهُ فَلَا الْخَوْفُ مِنْ خَوْفٍ أَلَمْ بَارِضِهِ
 أَتَى النَّاسَ مِثْلَ الْفَيْثِ فِي أَرْضِ جُودِهِ وَكَانَتْ وُلَاةُ الْحَرْبِ فِيهَا كَمَا صَفِ
 وَكُلُّ امْرِئٍ وَلِيَّتُهُ فِي رَعِيَّةٍ وَمَنْ حَسَنْتَ آثَارُهُ فَهُوَ مُقْبِلٌ

(١) طابت : صعبت .

(٢) الأنملة : أطراف الأصابع .

(٣) د : طابت .

(٤) د : للساكنين .

(٥) ت : مفسد .

وَكَمْ سَعِدَتْ بِالطَّالِعِ السَّعْدِ أُمَّةٌ
فَمَا بَلَغَ الْفُصَادُ غَايَةَ سُوءِهِمْ
وَمَنْ حَظَّهُ مِنْ حُسْنِ مَدْحِي وَإِفْرِ
أَمْوَالِي عُدْرًا فِي الْقَرِيضِ وَكُلُّ مَنْ
لَكَ الْهَيْمُ الْعُلْيَا وَكُلُّ مُحَاوِلٍ
تَبَاثَرَتْ الْأَعْمَالُ لَمَّا رَأَيْتَهَا
عَذَرْتُ الْوَرَى لَمَّا رَأَوْكَ فَهَلَّلُوا
دَعْوَكَ^(١) بِهَا كَسَرَى وَكَمْ لَكَ نَائِبٌ
عَمَرَتْ بِهَا مَالِيسٌ يَخْرَبُ بَعْدَهَا
تَفَاءَلْتُ لَمَّا قِيلَ أَقْبَلَ مِنْ سَخَا
فِيَمَمَّتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقُدُومِهِ
وَحَقَّقَ طَرْفِي أَنَّ مَرَاكَ جَنَّةٌ
وَلَوْلَمْ تَكُنْ شَمْسًا لَمَّا سِرْتَ فِي الضُّحَى
وَأَقْبَلْتَ تُخَيِّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدَمَوْتِهَا
فَأَخْرَجْتَ مَرَعَاهَا وَأَجْرَيْتَ مَاءَهَا
وَلَوْلَاكَ مَارَاعَتْ بُحُورًا تَرَاوَعَتْ
فَهَا هِيَ تَخْشَى جَنَّةَ الْخُلْدِ نَزَاهَةً

وَكَمْ شَقِيَّتْ بِالطَّالِعِ النَّحْسِ مَعْشَرُ
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَرْجُو سِوَاهُ وَيَحْذَرُ
وَحَظَّتْ مِنْ إِحْسَانِهِ بَنِي أَوْفَرِ
شَكَا الْعِزَّ عَنْ إِدْرَاكِ وَصْفِكَ يُعْذَرُ
مَدَاهَا وَكَمْ بِالْمَدْحِ مِنْ مَقْصَرٍ
يَمْرَأُكَ وَالْوَجْهَ الْجَمِيلُ مُبَشِّرُ
لِطَّلَعِ شَمْسِ الْفَضْلِ مِنْكَ وَكَبَّرُوا
يُقِرُّ لَهُ فِي الْعَدْلِ كَسَرَى وَقَيْصَرُ
وَقَدْ أَخْرَبَ الْمَاضُونَ مَالِيسَ يَعْمُرُ
وَكُلُّ امْرِئٍ غَادٍ لِمَلَقَاهُ مُبَكِّرُ
وَطَائُرُ حَظِّي مِنْهُ بِالسَّعْدِ يُزَجِّرُ^(٢)
وَبِشْرُكَ رِضْوَانٍ وَكَفْكَ كَوْنُ
تَسْرُّ عِيُونَ النَّاظِرِينَ وَتَبَهَّرُ
وَفِي الْجُودِ مَا يُخَيِّ الْمَوَاتِ وَيَنْشُرُ
غَدَاةَ بَحَارِ الْأَرْضِ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وَلَا كَانَ مِنْ جِسْرِ عَلَى الْمَاءِ يُجَسِّرُ
وَمِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارُهَا تَبْقَعَجِرُ

(١) د ، ت : دعوت . وقد صححها تيمور باشا ، فجعلها دعوك .

(٢) يزجر : يطير من على شجره ، ليتفاد به .

وَأُعْطِيتَ سُلْطَانًا عَلَى الْمَاءِ عَالِيًا
فَخُذْ آيَتِي مُوسَى وَعِيسَى بِقُوَّةٍ
فِيَا صَالِحًا فِي قِسْمَةِ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ
فَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِكَ الْمَاءُ رَاكِدٌ
فَهَذَا لَهُ وَقْتُ وَحْدَةٍ مُعَيَّنٌ
هَيْنًا لِلْإِبْنِ طَيْرٌ أَنَّكَ زُرْتَهَا
دَعَتْ لَكَ سُكَّانُهَا وَمَسَاكِنُ
وَصَلُّوا بِهَا لِلَّهِ شُكْرًا وَصَدَقُوا
فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بِالْعَدْلِ مُخَصَّبٌ
أَتَيْتُكَ بِالذَّحْرِ الَّذِي جَاءَ مُظْهِرًا
فَخُذْهُ ثَنَاءً يُخْجِلُ الزَّهَرَ نَظْمُهُ
مِنْ الرَّأْيِ أَنْ يَهْدِيَ لِمِثْلِكَ مِثْلُهُ
فُتِنْتُ بِشِعْرِي وَهُوَ كَالسَّحْرِ فَتْنَةٌ
وَمَالِي أَزْكَى النَّفْسِ فِيمَا أَقُولُهُ
وَهَا^(٢) إِنْ شَمَسَ الدِّينَ لِلْفَضْلِ بَاهِرٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو^(٣) إِنْ صَفَوْا مَوَدَّتِي
وَإِنْ أَظْهَرَ الْأَصْحَابُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ
وَإِنْ غُرِسَتْ فِي أَرْضٍ قَلْبِي مَحَبَّةٌ

بِهِ يَزْخَرُ الْبَحْرُ الْخِصْمُ وَيُسْجَرُ
وَكُلُّ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ تَحْسَرُوا
وَلَا نَاقَةَ فِي أَرْضِهِمْ لَكَ تُغْفَرُ
وَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِهِ يَتَحَدَّرُ
وَهَذَا لَهُ حَدٌّ وَوَقْتُ مُقَدَّرُ
وَشَرَّفَهَا مِنْ وَقْعِ خَيْلِكَ عَنَدُ
وَلَمْ يَدْعُ إِلَّا^(١) عَامِرٌ وَمُعَمَّرُ
وَحَقٌّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَلُّوا وَيَنْحَرُوا
وَبِالْحَمْدِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَرُ
إِلَى النَّاسِ مِنْ حُبِّكَ مَا أَنَا مُضْمِرُ
وَهَلْ تُنْظِمُ الْأَزْهَارُ نَظْمِي وَتُنَثِّرُ
جَهْلِي وَهَلْ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ جَوْهَرُ
وَقُلْتُ كَذَا كَانَ أَمْرُ الْقَيْسِ شِعْرُ
وَأَتَّبَعُهَا فِيمَا يُدْمُ وَيُشْكُرُ
وَلَيْسَ خِيفَ عَنْهُ لِلْفَضْلِ مَخْبَرُ
عَلَى كَدَرِ الْأَيَّامِ لَا تَتَكَدَّرُ
فَإِنِّي بِمَا عِنْدِي مِنَ الْوَدِّ مُظْهِرُ
فَلَيْسَ بِبُغْضِ آخِرِ الدَّهْرِ تَنْمِرُ

وَيَمْلِكُنِي خُلُقٌ عَلَى السُّخْطِ وَالرَّضَا
وَقَلْبٌ كَمَثَلِ الْبَحْرِ يَغْلُو عُبابُهُ
إِذَا سُئِلَ الْإِبْرِيزُ^(١) جَاشَ لُعَابُهُ^(٢)
وَمَا خُلِقِي مَدْحُ^(٣) اللَّيِّمِ وَإِنْ عَلَتِ
وَلَا أُبْتَغِي الدُّنْيَا وَلَا عَرَصًا بِهَا
لِيَعْلَمَ أَغْنَى الْعَالَمِينَ أَنَّهُ
وَأَبْسُطُ وَجْهِي حِينَ يَقْطُبُ^(٤) وَجْهَهُ
أَنْظِمُ هَذَا الدَّرَّ فِي جِيدِ جَاهِلٍ
وَعِنْدِي كَلَامٌ وَاجِبٌ أَنْ أَقُولَهُ
وَلَمْ تَرَنِي لِلْمَالِ بِالْمَدْحِ مُؤَثِّرًا
فِيَا مَصْدَرَ الْفَضْلِ الَّذِي الْفَضْلُ دَابُّهُ
بَرْتُ مِنَ الْمُسْتَخْدَمِينَ^(٥) فَخَيْرُهُمْ
هَدَرْتُهُمْ مِثْلَ الرُّمَادِ لِكَذِبِهِمْ
فَلَا تُدْنِ مِنْهُمْ وَاحِدًا مِنْكَ سَاعَةً
وَقَدْ قِيلَ كُتَابُ النَّصَارَى مَنَاسِرُ
فَبَرَّدُ فَوَادِي بَاتِقَامِكَ مِنْهُمْ
مَنْعَتْ بِهِمْ حَظِّي شُهْرًا وَلَمْ أَصِلْ
وَحَسْبُكَ أَنِي مِنْهُمْ مُتَصَوِّرُ

جَمِيلٌ كَمَثَلِ الْبُرْدِ يُطَوَّى وَيُنْشَرُ
وَيَزْخَرُ مِنْ غَيْظٍ وَلَا يَتَغَيَّرُ
وَيَصْفُو بِمَا يَطْفُو عَلَيْهِ وَيَظْهَرُ
بِهِ رُتَبٌ لَا أَنْتِي مُتَكَبِّرٌ
بِمَدْحِي فَإِنِّي بِالْقَنَاعَةِ مُكْبِرٌ
إِلَى كَلِمِي مِنِّي لِدُنْيَاهُ أَفْقَرُ
فِيَحْسَبُ أَنِي مُوسِرٌ وَهُوَ مُعْسِرُ
وَأُظْلِمُهُ إِنِّي إِذْنٌ لِمُبْدِرٍ
فَلَا تَسَامُوا بِمَا أَقُولُ وَتَسْخَرُوا
وَلَكِنِّي لِلْوَدِّ بِالْمَدْحِ مُؤَثِّرُ
فَمَا اشْتَقُّ إِلَّا مِنْهُ لِلْفَضْلِ مَصْدَرُ
لِصَاحِبِهِ أَعْدَى وَأَدْهَى وَأُنْكَرُ
وَعِنْدِي أَنَّ الرِّءَا بِالسَّكْذِبِ يُهْدَرُ^(٦)
وَلَوْ فَاحَ مِنْ بُرْدَيْهِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ
فَمَا مِثْلُ كُتَابِ الْمَحَلَّةِ مَنَسَرُ^(٧)
فَقَدْ كَادَ قَلْبِي مِنْهُمْ يُتَفَطَّرُ^(٨)
إِلَى حَظِّهِمْ حَتَّى مَضَتْ لِي أَشْهُرُ
وَكَأَنَّ أَمْرِي مِنْهُمْ كَذَا يَتَصَوَّرُ

(١) ت : الأبرين . (٢) د : لغامة ، ت : نعامه ؛ والصواب ما أثبتناه .

(٣) ت : مدحى . (٤) ت : يقبض . (٥) ت : أدبت المستخدمين .

(٦) هدرتهم . يقال هدرت دمه وأهدرته أى أبعثه .

(٧) المنسرق لغة المصريين : العصابة من اللصوص . (٨) يتفطر : يتشقق .

فَوَاعَجَبَا مِنْ وَاقِفٍ مِنْهُمْ عَلَى
 يَقُولُونَ لَوْ شَاءَ الْأَمِيرُ أَزَالَهُمْ
 فَقَدْ قَهَرَ السُّلْطَانُ كُلَّ مُعَانِدٍ
 وَمَا^(١) فِيهِمْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ
 إِنْ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ كَانَ أَقْلَهُمْ
 كَأَنَّهُمْ الْبُرْغُوثُ ضَعْفًا وَجُرْأَةً
 رِيَاسَتُهُمْ أَنْ يُضْفَعُوا وَيُجَرَّسُوا
 وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرْفِ صَابِرٌ
 وَمَذْكَرَةُ السُّلْطَانِ خِدْمَتُهُمْ لَهُ
 إِذَا كَانَ سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ مِنْهُمْ
 وَبِالرَّغْمِ^(٢) مِنْهُمْ أَنْ يَرَوْا لَكَ كَاتِبًا
 وَيُعْجِبُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدِّهِ بِطَرْسٍ
 بَأَنَّ النَّصَارَى يَرْغَبُونَ لِبَعْضِهِمْ
 عَدَاوَتُهُمْ لِلْعَلَّكَ مَا لَيْسَ تَنْقُضِي
 وَمِنْهُمْ أَنَسٌ يُظْهِرُونَ مَوَدَّتِي
 وَكَمْ عَمَّرَ الْوَالِي بِلَادًا وَأَخْرَبُوا
 وَقَالُوا بِأَيَّامِي مَسَاقٌ مُحَرَّرٌ
 وَكَمْ زُورٍ^(٣) قَوْلٍ قُلْتُ أَيْ^(٤) حُجَّةٌ
 شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مَعِيَ يَتَهَوَّرُ^(٥)
 قُلْتُ زَوَالُ الْقَوْمِ لَا يَتَصَوَّرُ
 وَمَا أَحَدٌ لِلْقَبِيطِ^(٦) فِي الْأَرْضِ يَتَهَمَرُ
 أَخُو قَلَمٍ إِلَّا يَحُونُ وَيَغْدِرُ
 عَلَى كُلِّ سُوءٍ يُعْجِزُ النَّاسَ أَقْدَرُ
 وَإِنْ يَشْبَعُ الْبُرْغُوثُ لَوْلَا يَمْدَرُ
 وَدِينُهُمْ أَنْ يَصْلُبُوا وَيُسْمَرُوا
 وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الذَّلِّ أَصْبَرُ
 تَمَنَّى النَّصَارَى أَنَّهُمْ لَمْ يُنْصَرُوا
 يَغَارُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاللَّهُ أَغْيَرُ
 وَمَا أَحَدٌ فِي فَنَاءِ مِنْهُ أَمِيرُ
 وَيَحْزَنُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدِّهِ جَحْدَرُ
 وَمِنْ غَيْرِهِمْ كُلُّ رِاعٍ وَيُدْعَرُ^(٧)
 وَذَنْبُ أَخِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ يُغْفَرُ
 وَبَعْضُهُمْ لِي مِنْ قِفَا نَبِكَ أَشْهَرُ
 وَكَمْ آنَسَ الْوَالِي قُلُوبًا وَنَفَرُوا
 وَلَيْسَ لَهُمْ فَلْسٌ مَسَاقٌ مُحَرَّرُ
 وَكَمْ حُجَجٍ لِلْخَائِنِينَ تَزُورُ

(١) شفا : حافة . هار : متصدع ويتهور : يتهدم .

(٢) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .

(٣) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .

(٤) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .

(٥) هذا البيت ساقط من د .

(٦) د : وكَمْ زور واق .

(٧) د : قلم الشد حجة .

وَإِنْ تَنْصُرُونِي قُتْتُ فِيهِمْ مُجَاهِدًا فَإِنَّهُمْ لِلَّهِ أَغْصَى وَأَكْفَرُ
وَالْأَفْأَى لِلْأَمِيرِ مُذْكَرٌ بِمَا قَعَلُوهُ وَالْأَمِيرُ مُنْظَرُ
وَكَمْ مُشْتَكٍ مِنِّي شَكَالِي مِنْهُمْ كَمَا يَشْتَكِي فِي اللَّيْلِ أَعْمَى وَأَعُورُ
وَكُنْتُ وَمَالِي عِنْدَهُمْ مِنْ طِلَابَةٍ أَرْوَدُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْقَرُ
وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا مَعَارِفُ مِنْهُمْ ذُنُوبُ وَدَادِي عِنْدَهُمْ لَا تُكْفَرُ
وَلَوْلَا^(١) حَيَاتِي أَنْ أَعَانِدَ مُنْكَسَا لَحَقَّتْ أَتَانِي الْحَقُّ وَهُوَ مُعَبَّرُ
فَإِنْ شَمَرُوا عَنْ سَاقِ ظُلْمِي فَإِنِّي لَدِمَهُمْ عَنْ سَاقِ جَدِّي^(٢) مُسَمَّرُ
وَإِنْ حَمَلُوا قَلْبِي وَسَارُوا فَتَنْطَقِي يُحْمَلُ فِي آثَارِهِمْ وَيُسَيَّرُ
وَإِنْ يَسْبِقُوا لِلْأَبَابِ^(٣) دُونِي فَإِنَّهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِالنَّاسِ أُخْرَى^(٤) وَأَجْدَرُ
فَإِنْ أَشْكُ مَا بِي لِلْأَمِيرِ فَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا أَسِيرُ وَأَجْبَرُ
فَإِنْ أَشْكَتِ^(٥) الْأَيَّامُ تُلُقِ قِيَادَهَا إِلَيْهِ وَتَجْفُ مَنْ جَفَاهُ وَتَهْجُرُ
وَتُجَلِي عَلَى أَعْدَائِهِ مَا يَسُوءُهُمْ وَتُوحِي إِلَى أَسْمَاعِهِ مَا يُحْبِرُ

[وَقَالَ يَدَاعِبُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمٍ «بَنَ حَنَا»^(٦) مِنَ الْكَامِلِ :]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي أَيَّامُهُ طَائِعَةٌ أَمْرَةٌ
وَمَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْعُلَا تَكِلُهُ عَنْ أَوْصَافِهَا الْفِكْرَةُ
أَخْلَاقُكَ الْغُرُ دَعْتَنَا إِلَى الْإِذْلَاءِ^(٧) فِي الْقَوْلِ عَلَى غِرَّةِ
إِذْ لَمْ^(٨) تَزَلْ تَصْفَحُ عَمَّنْ جَنَى وَتُؤَثِّرُ الْعَفْوَ مَعَ الْقُدْرَةِ

(٢) د : حد .

(١) ت : وإلا .

(٥) د : شكت .

(٤) ت : أجرا .

(٣) ساقطة من ت .

(٨) د : ولم .

(٧) د : الإيلاء .

(٦) ما بين القوسين زيادة في ت .

حتى لقد يخفى على الناس ما تحب من أمر وما تكره إليك^(١) نشكو حالنا إننا أحدث^(٢) المولى الحديث الذي جرى عليهم بالخيط والإبره صاموا مع الناس ولكمهم إن شربوا فالبيز زير لهم لهم من الخبز مسلوقة أقول مهما اجتمعوا حولها وأقبل العيد^(٣) وما عندهم فازحهم إن أبصروا^(٤) كمكة تشخص أبصارهم نحوها فكم أقامى منهم لوعة كم قائل يا أبتا منهم ما صيرت تأتينا بفلس ولا وأنت في خدمة قوم فهل

تحب من أمر وما تكره عائلة في غاية الكثرة جري عليهم بالخيط والإبره كانوا لمن يبصرهم عبره ما برحت والشربة الجره في كل يوم تشبه النشرة تنزهوا في الماء والخضرة قح ولا خبز ولا فطره في يد طفل أو رأوا تمره بشقة^(٥) تنبها زفره وك أقامى منهم حسره قطعت عنا الخبز^(٦) في كرهه يدرهم ورق ولا نقره^(٧) تخدمهم يا أبتا^(٨) سخره

(١) هذا الشطر ورد في فوات الوفيات هكذا « في قلة نحن ولكن لنا » .

(٢) هذا البيت ورد في د ، هكذا :

أحدث المولى حديثا جرى لي معهم بالخيط والإبره

وفي ت : لهم فدا . وما أثبتناه هو رواية فوات الوفيات .

(٣) د ، ت : ولا ، وهذه رواية فوات الوفيات . (٤) فوات الوفيات : عابوا .

(٥) د ، ت : شدة . وهذه رواية فوات الوفيات . (٦) فوات : الخير .

(٧) النقرة : سبيكة من الذهب أو الفضة والورق : الدراهم المضروبة . (٧) فوات : يا أبي .

يا خَيِّبَةَ السَّعَى إِذَا لَمْ يَكُنْ يَجْرَى ^(١) لَنَا أَجْرٌ وَلَا أُجْرُهُ
 [لَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَهَا فِطْنَةً أَتَى بِهَا الطِّفْلُ بِلَا جَرِّهِ] ^(٢)
 وَكَيْفَ يَخْلُو الطِّفْلُ مِنْ فِطْنَةٍ وَكُلُّ مُوَلَّدٍ عَلَى الْفِطْرِ
 وَيَوْمَ زَارَتْ أُمَّهُمْ ^(٣) أُخْتَهَا وَالْأُخْتُ فِي الْعَيْرَةِ كَالضَّرَةِ
 وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لَهَا حَالَهَا وَصَبَرَهَا مِنْ عَلَى الْعُسْرَةِ ^(٤)
 قَالَتْ لَهَا كَيْفَ تَكُونُ النِّسَاءُ كَذَا مَعَ الْأَزْوَاجِ يَا غِرَّهُ ^(٥)
 قُومِي أَطْلُبِي حَقَّكَ مِنْهُ بِلَا تَخَلُّفٍ مِنْكَ وَلَا فَتْرَةٍ ^(٦)
 وَإِنْ تَأْتِي فَخُذِي ذِقْنَهُ نَمَّ انْتَفِيهَا شَعْرَةً شَعْرَهُ
 قَالَتْ لَهَا مَا عَادَتِي ^(٧) هَكَذَا فَإِنْ زَوْجِي عِنْدَهُ ضَجَّرَهُ
 أَخَافُ إِنْ كَلَّمْتُهُ كَلِمَةً طَلَّقَنِي . قَالَتْ لَهَا : بَعْرَهُ
 فَهَوَّتْ ^(٨) قَدَرِي فِي نَفْسِهَا فَجَاءَتْ الزَّوْجَةَ مُحْتَرَّةً
 فَاسْتَقْبَلَتْنِي ^(٩) فَتَهَدَّدَتْهَا فَاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِي بِأَجْرِهِ
 وَبَاتَتْ الْفِتْنَةُ مَا بَيْنَنَا مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى بُكْرِهِ
 وَمَا رَأَى الْعَبْدُ لَهُ مُخْلَصًا إِلَّا وَمَا فِي عَيْنِهِ قَطْرَهُ
 فَحَقَّ ^(١٠) مَنْ حَالَتُهُ هَذِهِ أَنْ يَنْظُرَ الْمَوْلَى لَهُ نَظْرَهُ ^(١١)

- (١) د ، ت : تجرى لنا . (٢) ما بين القوسين ساقط من د . (٣) د ، ت : أمها .
 (٤) فوات : العشرة . (٥) د ، ت : ياعره . والفره : الجاهلة . (٦) فترة : ضعف .
 (٧) فوات : ما هكذا عادت . (٨) فوات : وهوت . (٩) فوات : فقاتلتني .
 (١٠) نوات : وحق . (١١) فوات : أمره .

وله في عيد المسيح^(١) ؛ لم يخبز ولا نَبّه النصارى لطعام العيد .

يَهُودُ بُلْبَيْسَ كُلِّ عِيدٍ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ النَّصَارَى
أَمَا تَرَى الْبَغْلَ وَهُوَ بَقْلٌ فِي فَضْلِهِ يَفْضُلُ الْحِمَارَ
قافية السين :

قال يمدح صاحب شمس الدين بن صاحب برهان الدين ؛ من الكامل^(٢) :

إِنْ تُحَى آمَالِي بِرُؤْيَا عَيْسَى	فَلَطَمْنَا أَنْصَتُ إِلَيْهِ الْعِيسَا
وَحَظَيْتُ بَعْدَ الْيَأْسِ بِالْخِضْرِ الَّذِي	مَازَالَ يَرِقِي أَوْ حَكَّى إِذْ رِيسَا
لَوْلَا وَجُودُ الصَّاحِبَيْنِ كَلَيْهِمَا	صَارَتْ بُيُوتُ الْعَالَمِينَ رُمُوسَا
كَمْ قُلْتُ لَمَّا أَنْجَبَ الْأَبُ ابْنَهُ	لَا غَرَوُ أَنْ يَلِدَ النَّفِيسُ نَفِيسَا
لِلَّهِ شَمْسُ الدِّينِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ	فِينَا بُدُورًا لِلْهَدَى وَشُمُوسَا
رَدَّتْ لَنَا يَدُهُ الْغَضُوبَ وَأَسْكَنْتْ	بِالْعَدْلِ آرَامَ الْكِنَاسِ الْخِيسَا
أَغْنَتْ مَكَارِمُهُ الْفَقِيرَ وَأَطْعَمَتْ	مَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الزَّمَانِ يَتُوسَا
حَبْرٌ تَصَدَّرَ لِلنَّوَالِ فَلَمْ يَزَلْ	يَتْلُو عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِيحِ دُرُوسَا
دُعَى ابْنُ سَيْنَا بِالرَّئِيسِ وَلَوْ ^(٣) رَأَى	عَيْسَى لَسَمَّى نَفْسَهُ الْمَرْهُوسَا
وَحَسْبَتْهُ مِنْ بَأْسِهِ وَذَكَائِهِ	بَهْرَامَ قَارَنَ فِي الْعُلَا بَرَجِيسَا
مِنْ مَعَشَرٍ لَيْسَارٍ عُونٌ إِلَى الْوَعَى	مُتَنَازِعِينَ مِنَ الْجَمَامِ كُوسَا

(١) ت : وله في عيد المسيح حيث لم يده إليه النصارى طعام العيد .

(٢) من الكامل : زيادة في ت . وهو شمس الدين عيسى بن صاحب برهان الدين السنجارى توفى سنة ٥٦٨٢

وكان ينوب عن أبيه في الوزارة . (٣) د : ولا . (٤) ت : يتسارعون .

لَهُ الْخِصَامِ إِذَا تَشَاوَرَتِ الْقَنَا
وَأَخُو الْبَسَالَةِ مَنْ غَدَا بِذِرَاعِهِ
يُوفُونَ مَا وَعَدُوا كَأَنَّ وَعُودَهُمْ
يَأْتِيهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ وَمَنْ لَهُ
هَنَيْتَ تَقْلِيدًا أَتَاكَ مُجَدِّدًا
أُرْسَلَتْ مِنْهُ لِلْخَلَائِقِ رَحْمَةٌ
وَكَأَنَّ قَارِئَهُ بِيَوْمٍ عَرُوبَةٍ
وَنَظَّمَتْ شَمْلَ الْمَلِكِ بِالْقَلَمِ الَّذِي
وَبَسْتَرَكَ الْعَوْرَاتِ قَدْ كَشَفَ الْوَرَى
مِنْ كُلِّ مَشْدُودِ الْخِلَاقِ بِكُرْبَةٍ
أَطْفَأَتْ نِيرَانَ الْعَدَاوَةِ بَعْدَمَا
وَأَرْحَتَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ تُخَيِّ لُهُمْ
هَلَكْتَ جَدِيسٌ وَطَسَمَ حِينَ تَعَادَتَا
يَا بَنَ الَّذِي يَلْقَى الْفَوَارِسَ بِاسْمًا
سَعِدَتْ بِكَ الْجُلُوسَاءُ فَاحْذَرُ بَعْضَهُمْ
بَحْسُوا ضِيُوفَ اللَّهِ عِنْدَكَ حَظَّهُمْ
وَأَعِزُّ مُجَدِّدَكَ أَنْ يَكُونَ بِطَائِفِ
فَاللَّهُ عَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ آدَمًا

لَمْ يَجْعَلُوا لَهُمُ الْحَدِيدَ لَبُوسًا
لَا دِرْعَهُ^(١) يَوْمَ الْوَعْدِ يُخْرُوسَا
كَانَتْ يَمِينًا بِالْوَفَاءِ غَمُوسَا
حَكَمَ أَغَارَتْ مِنْهُ رَسْطَالِيسَا
لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانِهِمْ نَامُوسَا
عَمَّتْ قِيَامًا مِنْهُمْ وَجُلُوسَا
لَكَ يُعْرَبُ التَّسْيِيحُ وَالتَّقْدِيسَا
حَلَّيْتَ مِنْهُ لِلْسُّطُورِ طُرُوسَا
لَكَ بِالْذُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ رُهُوسَا
نَفَسَتْ عَنْهُ خِثَافُهُ تَنْفِيسَا
أَوْطَأَتْ مِنْهَا الْمُوقِدِينَ وَطِيسَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ دَاحِسًا وَبَسُوسَا
وَكَأَنَّ طَسَمًا لَمْ تَكُنْ وَجَدِيسَا
حَاشَاكَ أَنْ تَلْقَى الضُّيُوفَ عَبُوسَا
فَلَرُبَّمَا أَعْدَى الْجَلِيسُ جَلِيسَا
لَا^(٢) كَانَ حَظُّكَ عَنْدهُمْ مَبْخُوسَا^(٣)
مِنْ حَاسِدٍ بَنِيمَةٍ تَمْسُوسَا
وَأَطَاعَ آدَمُ نَاسِيًا إِبْلِيسَا

(١) د : لدراعه . (٢) د : قاربه . (٣) د : لكن .

(٤) د : منحوسا . وهذا البيت وما يليه تعريض بطبيعة الفقهاء ودفاع عن الدراويش . وقد تناولت هذا

الموضوع بالتفصيل في كتابي « البوصيري : دراسة ونقد » .

إِنَّ الْمُرَاحِلَ مَنْ أَضَاعَ أَجُورَهُ وَاعْتَاضَ عَنْهَا بِالنَّفِيسِ خَسِيسًا^(١)
 فَارْغَبَ^(٢) إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي فِي الذِّكْرِ نِعَمٌ وَبِيسَا
 مَا أَنْتَ بِمَنْ تَسْتَبِيحُ صُدُورَهُمْ^(٣) حَقْدًا وَلَا أَعْرَاضَهُمْ تَذْنِيسًا
 أَذْغُوكَ لِلصَّفْحِ الْجَلِيلِ فَإِنْ تُجِبْ أَحْكَمْتَ بُنْيَانًا عَلَا^(٤) تَأْسِيسًا
 وَمِنْ السِّيَاسَةِ أَنْ تَكُونَ مُرَاعِيًا لِلصَّالِحِينَ تَبَرُّهُمْ وَتُسُوسَا^(٥)
 قَوْمٌ إِذَا اتَّذَبَوْا لِيَوْمِ كَرِيمَةٍ أَلْفَيْتَ وَاحِدَهُمْ يَرُدُّ خَمِيسًا^(٦)
 تَالَهُ مَا خَابَ أَمْرُؤُهُ مُتَوَسِّلٌ بِالْقَوْمِ فِي النُّعْمَى وَلَا فِي الْبُؤْسَى
 وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالْبَاقِينَ فَلَا تَحْزَلْ قَوْلِي ظُنُونًا فِيهِمْ وَحُدُوسَا
 وَرَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا رَأَيْتُ^(٧) لِفَعْلِهِمْ أَذْهَبْتُ عَنْهُمْ مِنْهُمْ التَّلْبِيسَا
 مَا ضَرَّهْمُ قَوْلُ الْمُعَانِدِ إِنْهُمْ يَفْعَالِهِمْ أَقْوَى الْأَنَامِ نَفُوسَا
 كَمْ ذَمُّهُمْ جَهْلًا وَأَنْكَرَ حَالَهُمْ قَوْمٌ يَلُونِ الْحُكْمَ وَالتَّنْذِرِيسَا
 فَرَدَدْتُ قَوْمَهُمْ بِقَوْلِي ضَارِبًا مَثَلًا عَلَى الْخَضِرِ السَّلَامُ وَمُوسَى
 وَعَلَى سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ أَغْرَى رِحَالِيهِ عَلَى بَلْقِيسَا
 وَعَلَى فَتَى الْحَسَنِ الَّذِي سَطَوَاتُهُ مَرَّتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَّ الْمُوسَى
 يَارُبَّ ذِي عِلْمٍ رَأَى نُصْحِي لَهُ فَأَجَابَنِي أَتَطِبُّ جَالِينُوسَا
 لَمْ يَذَرِ أُنَى كَلِمًا اسْتَعْطَفْتُهُ كَانَ الْحَدِيدَ وَكُنْتُ مِغْنَاطِيسَا

(١) د : نفيسا . (٢) د : أرغب . (٣) ت : ما أنت من تسبيح نفس صدورهم .
 (٤) ت : بنيان الملا . (٥) د : تسوسا .
 (٦) الخميس : الجيش الكثيف . (٧) ت : رويت .

لو كنتُ أرضَى الجاهليَّةَ مثلهُ
وَنَفَخْتُ نارَ عداوةٍ لا تُضْطَلَّى
لَمْ يَبْقَ لِي خَوْفُ الْمَعَادِ مُعَادِيَا
أَوْ مَاتَرَى حُبَّ السَّلَامَةِ جَاعِلِي
أُمُكَلِّفِي نَظْمِ النَّسِيبِ وَقَدْ رَأَى
أَمَّا النَّسِيبُ فَمَا يَنَاسِبُ قَوْلُهُ
مَا هَمْ يَخْضِبُ شَيْبَهُ^(٥) مُتَشَوِّقًا
لَمَّا رَأَى زَمَنَ الشَّيْبَةِ مُذِيرًا
مَضَتْ الْأَحِبَّةُ وَالشُّبَابُ وَخَلَفَا
أَذْكَرَتْنِي عَهْدَ الطَّعَانِ فَلَمْ أَجِدْ
أَيَّامَ عَزَمِي لَا تَقُوتُ رِسَالُهُ
ثَنَّتِ السُّنُونُ سِنَانِ صَعْدَتْنِي الَّتِي
فَقَنَاءَ حَرْبِي لَا أُرِدُّ تَقْوِيمَهَا
مَاحَالُ مَنْ مَنَعَ الرُّكُوبَ وَطَرَفُهُ
بِالْأَمْسِ كَانَ لَهُ الشَّمْسُ مُذَلَّلًا
لَا دَرَدَرُ الشَّيْبِ إِنْ نُجُومُهُ

أُمَلِّتُ مَآمِلًا الْقُلُوبَ نَسِيسًا^(١)
بَلْ^(٢) لَا يُطِيقُ لَهَا الْعَدُوَّ حَسِيسًا
فَيَهْيِجَ مِنِّي لِلْهِجَاجِ رَسِيسًا^(٣)
أَلْقَى السَّلَامَ مُسَالِمًا وَالْكَيْسَا
عُودَ الشُّبَابِ الرَّطْبَ عَادَ يَبِيسَا
شَيْخًا أَبَدًا مُعَمَّرًا مَنَكُوسًا^(٤)
زَمَنَ الصَّبَا إِلَّا أَنْقَى التَّدْلِيسَا
نَزَعَ الشَّرَى وَتَدَرَّعَ التَّعْرِيسَا^(٦)
لِي الْإِدَّكَارَ مُسَامِرًا وَأُنِيسَا
رُمَحًا أَصُولُ بِهِ وَلَا دَبُوسًا^(٧)
غَرَضًا وَسَهْمِي جُرْحُهُ لَا يُوَسِّي
لَمْ تَلَقْ رَادِقَةً وَلَا قَرُوسًا^(٨)
لِلطَّعْنِ إِلَّا رَدَّهَا تَقْوِيْسَا
يَشْكُو إِلَيْهِ رِبَاطُهُ مَحْبُوسَا
وَالْيَوْمَ صَارَ لَهُ الذَّلُولُ شَمُوسًا^(٩)
تَدَرُّ السَّعِيدِ مِنَ الرِّجَالِ نَحِيسَا

- (١) النسيب : غاية جهد الإنسان . (٢) د : بدلا . (٣) الرئيس : ابتداء الحمى وفى د : شكيسا
(٤) المنكوس : الضعيف . (٥) ت : فاحم بحصب سبيله .
(٦) السرى : السير بالليل . والتعريس ، من عرس القوم إذا نزلوا فى آخر الليل للاستراحة .
(٧) الدبوس : نوع من الأسلحة . (٨) صعقت : قناتى . والرادفة : الرادف الذى يركب خلف
الراكب والقربوس : حنوالرج ، وهما قربوسان .
(٩) الشموس : يقال شمس الفرس ، إذا منع ظهره . والشموس ضد الذلول .

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اجْتِمَاعِ جَاعِلٍ
 لَوْ كَانَ لِي فِي بَيْتٍ خَالِي نُصْرَةٌ
 وَنَصِيحَةٌ أَعْرَبْتُ عَنْهَا فَانْدَنْتُ
 إِنَّ النَّصَارَى بِالْحَلَّةِ وَدُهُمُ
 أَتَرَى النَّصَارَى يَحْكُمُونَ بَأَنَّهُ
 إِنِّي عَادَ إِسْمَعُوكَ إِلَيْهَا ثَانِيًا
 صَرَفَ إِلَهُهُ السُّوءَ عَنْكَ بِصَرْفِهِ
 أَفَدَى بِهِ الْمُسْتَعْدِمِينَ وَإِنَّمَا
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَمْرَهُمْ مِنْ غَيْرَتِي
 يَرَعُونَ أَمْوَالَ الرَّعِيَّةِ بِالْأَذَى
 اللَّهُ أَرْسَلَهُمْ عَلَى أَقْوَانِهِمْ
 مَلَأَتْ بُيُوتَهُمْ^(٤) الْغِلَالُ فَلَا^(٥) تَرَى
 مَنْ لَمْ يَقُمْ لِي مِنْهُمْ بِوِطْئِي
 إِنِّي لَا نَذِرُ بَعْضَهُمْ وَكَأَنِّي
 لِي صَاحِبُ سَرَقِ اللُّصُوصِ نِيَابَهُ
 وَشَكَالِ الْوَالِي الْحَرْبِ سَارِقِ بَيْتِهِ
 وَكَأَنَّهُ قَاضٍ يَقُولُ لَخَصْمِهِ :
 وَبِحُجَّتِهِ أَصْحَابُ رَنْجٍ عِنْدَهُ

بَيَّنَّتِ الْفِرَاشِ بِسَاكِنٍ مَأْنُوسًا^(١)
 جَمَعَتْ نَفْيَ الْخَلْدِ وَالْإِنْكِيسَا^(٢)
 كَالصُّبْحِ يَجْلُو ضَوْؤُهُ التَّغْلِيْسَا^(٣)
 لَوْ كَانَ جَامِعُهَا يَكُونُ كَنِيسَا
 مَنْ بَاشَرَ الْأَحْبَاسَ صَارَ حَمِيْسَا
 ضَرَبُوا عَلَى أَبْوَابِهَا النَّاقُوسَا
 فَاصْرِفْهُ عَنَّا وَاصْفَعْ الْقَسْبِيْسَا
 أَفَدَى بِتَيْسٍ كَالْيَهُودِ تَيْوُسَا
 لَمْ أَبْقِ لِلْمُسْتَعْدِمِينَ ضُرُوسَا
 لَوْ يُحْلِبُونَ لِأَشْبَهُوا الْجَامُوسَا
 سُوْسًا وَقَدْ أَمِنُوا عَلَيْهَا السُّوسَا
 مِنْهَا كَبَيْتِي فَارِغًا مَكْنُوسَا
 جَرَسَتْهُ بِمَلَامَتِي تَجْرِيْسَا
 فِي أُذُنِ بَغْلِ الْكُوسِ أَضْرِبُ كُوسَا^(٦)
 لَيْلًا فَبَاتَ بِبَيْتِهِ^(٧) مَحْبُوسَا
 فَكَأَنَّمَا يَشْكُو لَهُ أَفْرَنْسِيْسَا
 هَذَا غَرِيْمُكَ أَثْبَتَ التَّغْلِيْسَا
 وَيُقَدِّمُوهُ فَيُظْهَرُ التَّعْبِيْسَا

(١) ت ، د : مكنوسا . (٢) الإنكيس : الضعيف . (٣) التغلس : الغلس ، ظلمة آخر الليل .
 (٤) ت ، د : قلوبهم . ولعلها بيوتهم .
 (٥) د : متى .
 (٦) الكوس : الطبل .
 (٧) ت : بليله .

وَلَرُبَّمَا التَّمَسُّوهُ بِالْمَالِ الَّذِي
 مَلَأُوا الْبُيُوتَ بِمَالِهِ وَلَوْ اشْتَكَى
 كَمْ قُلْتُ إِذْ سَمِعَ الْوَلَاةُ كَلَامَهُمْ
 قَلْبَ الْعِيَانِ لَهُمْ وَكَمْ فِي عَلَيْهِ
 فَاَنْظُرْ لِمَنْ ذَهَبَ الْأُصُوصُ بِمَالِهِ
 رَفَعُوا الْقَوَاعِدَ مِنْ شِوَارٍ^(١) ثِيَابِهِ
 قَدَكُنْتُ مِنْ خَوْفِ الْأُصُوصِ أَخَافُ أَنْ
 لَا زِلْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحْكِي فِي الْعُلَا
 مَا دَامَ يَدْبِيعُ النُّجُومِ مُنْجَمٌ^(٢) وَيُخْبِرُ التَّثْلِيثَ^(٣) وَالتَّسْدِيسَ

وقال في رجل مغربي عانده في الشعر ، وشرع في هجائه وكان نزل^(٣) عند ولي الدولة
 المستوفى ضيفا^(٤) عنده ، وكان يعمل شعره نخلة^(٥) :

قُلْ لَوْلِي الدَّوْلَةُ الْمُتَمَجِّجِي وَالتَّقَى فِي الْجُودِ وَالْبَاسِ
 فُزْتُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ حَتَّى حَكَوْا عِنْدَكَ فَوْزًا عِنْدَ^(٦) عَبَّاسِ
 لَا سِيَّامَا هَذَا الْأَدِيبُ الَّذِي أَتَى مِنَ التَّنْظِيمِ بِأَجْناسِ
 النَّابِ^(٧) الْمُفْلِقُ فِي مَدْحِهِ وَهَجْوِهِ وَالْجَارِحُ الْآسِي
 لَمْ أَرِ^(٨) مِنْ قَبْلِ وَقُوفِي عَلَى مَا قَالَ نَشَابًا بِقِرْطَاسِ

(١) خزانة توضع فيها الثياب أو صندوق .

(٢) د : ما دام تربيعة النجوم منجم ، ت ما دم تربيعة ... ونظن الضواب ما أثبتناه .

(٣) د : كان نزول عدول الدولة . (٤) د ، ت : صفا والضواب ما أثبتناه .

(٥) ت : بحلة . (٦) د : عبد . (٧) ت : بي . (٨) د : لم أدر .

وَنَخْلَةٍ تَشْكُرُ جَدَّوَاكَ مِنْ أَصْلِ وَمِنْ فَرْعٍ وَمِنْ رَاسٍ
 شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِ مِصْرٍ تَرَى وَهِيَ حَوَالَى دَرْبِ دَوَّاسٍ
 وَرُقْمَةُ الشَّطْرِ نَجَحَتْ نَمَّ انْتَهَى وَلَمْ أَكُنْ لِلْفَضْلِ بِالنَّاسِ
 حَالِيَةً عَامِرَةً شُبِّهَتْ بِيَادِقٍ فِيهَا بِأَفْرَاسٍ
 قُلْتُ لَنَا مَنْ ذَا الْأَدِيبُ الَّذِي زَادَ بِهِ حُسْبِي وَوَسْوَاسِي؟
 إِنْ كَانَ مِثْلِي مَغْرِبِيًّا فَمَا فِي صُحْبَةِ الْأَجْنَاسِ مِنْ بَاسٍ
 وَإِنْ مِثْلِي عِنْدَهُ ^(١) الْيَوْمَ كَالصَّخْرَةِ عِنْدَ الْجَبَلِ الرَّاسِ
 وَبَيْنَ دَارَيْنَا كَمَا بَيْنَنَا وَأَيْنَ مُرَّاكِشٍ مِنْ فَاسٍ
 وَإِنْ يُكَذِّبُ نِسْبَتِي جِئْتُهُ يُجَبِّتِي الصُّوفِ وَدَقَّاسِي
 وَإِنْ يَجِدُ فِي لُغَتِي رِيْبَةً أَكْتُمُ بِنَا نَازَعْتُ إِفْلَاسِي ^(٢)
 قَافِيَةُ الْفَاءِ ^(٣) :

قال للقاظي عماد ^(٤) الدين ، يخرجه على كنفافة :

مَا أَكَلْنَا فِي ذَا الصِّيَامِ كُنْفَاةً آهٍ وَأُبْعَدَهَا عَلَيْنَا مَسَافَةً
 قَالَ قَوْمٌ إِنَّ الْعِمَادَ كَرِيمٌ قُلْتُ هَذَا عِنْدِي حَدِيثُ خُرَافَةٍ
 أَنَا ضَيْفٌ لَهُ وَقَدْ مِتُّ جَوْعًا لَيْتَ شِعْرِي لَمْ لَا تُعَدُّ الضِّيَافَةَ

(١) د : عبده .

(٢) ت : نازعت فلامني . وكتب أمامها في الهامش :

وإن تجسد في لغتي ريبة . أكرم بنا نازعت فلامني

ولا معنى للشطر الثاني .

(٤) د : عماد الدين بن أبي .

(٣) ساقطة من ت .

وهوَ إِنْ يُطْعِمَ الطَّعَامَ فَمَا يُطْعِمُهُ إِلَّا بِسُْمْعَةٍ أَوْ خَفَافَةٍ
وهوَ فِي الْحَرِّ (١) وَالْخَرِيفِ (٢) وَفِي السَّبْتِ يَجْمَعُ الْحَطَامَ كَالْجِرَافَةِ
فَاعْلَمُوهُ عَنِّي وَلَا تَعْتَبُونِي إِنْ عِنْدِي فِي الصَّوْمِ بَعْضُ الْحِرَافَةِ (٣)
فَهُوَ إِنْ لَمْ يُخْرِجْ قَلِيلًا (٤) إِلَى الْحَا نُطِ فِي لَيْلَتِي طَلَعْتُ الْقِرَافَةَ

ولما أحضر الجناز السابق شيوخ صنعاء (٥) وخلق نصف لحية كل منهم ، وعزم على أن
يخلصهم ، دخلوا عليه فكتب (٦) له (٧) هذه الآيات :

أَخْبِرُونِي غَضَبَةَ (٨) وَصَلَفًا (٩) أَنْكُمْ رُحْمٌ إِلَيْهِ (١٠) مَرَصِفًا
ثُمَّ قَالُوا عَنْ ذُقُونِ حُلِقَتِ قُلْتُ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تُتَخَلَّفَا (١١)
إِنَّ حَلَقَ الذَّقْنِ خَيْرٌ لَلْفَتَى يَا بَنِي الْأَعْمَامِ (١٢) مِنْ أَنْ تُتَنَفَّأَ
وَالَّذِي حَلَقَ أَنْصَافَ اللَّحَى كَانَ فِي الْأَحْكَامِ عَدْلًا مُنْصِفًا
حَلَقَ النِّصْفَ بِذَنْبٍ حَاضِرٍ وَعَفَا بِالنِّصْفِ عَمَّا (١٣) سَلَفَا

قافية اللام :

قال هذه القصيدة ، وسماها « المخرَج والمردود ، على النصارى واليهود » :

جاءَ الْمَسِيحُ مِنَ الْإِلَهِ رَسُولًا فَأَبَى أَقْلُ الْعَالَمِينَ عُقُولًا
قَوْمٌ رَأَوْا بَشَرًا كَرِيمًا فَادَّعَوْا مِنْ جَهْلِهِمْ لِلَّهِ فِيهِ حُلُولًا

(١) د : البحر . (٢) د : لخريف .

(٣) هذا البيت ساقط من د . (٤) ت : الطعام .

(٥) د : ولما حضر الجناز السابق شيوخ صنعاء . (٦) د : كتب .

(٧) ساقطة من د . (٨) د : غضة . (٩) د : صنفا . (١٠) د : إليهم .

(١١) د : تتجلفا . (١٢) د : المم . (١٣) د ، ت : عن . والصواب ما أثبتناه .

وعِصَابَةٌ مَا صَدَّقْتُهُ وَأَكْثَرْتُ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ فِيهِ الْقِيْلَ
لَمْ يَأْتِ فِيهِ مُفَرِّطٌ وَمُفَرِّطٌ بِالْحَقِّ تَجَرِيحًا وَلَا تَغْدِيلًا
فَكَأَنَّمَا جَاءَ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ لِيُكْذِّبُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
فَاعْجَبَ لِمَتِّهِ الَّتِي قَدْ صَيَّرَتْ تَنْزِيهَهَا^(١) لِإِلَهِهَا التَّكْمِيلَ
[وإذا أرادَ اللهُ فِتْنَةً مَعْشَرٍ وَأَضَلَّهُمْ رَأَوْا الْقَبِيحَ جَبِيلًا]^(٢)
هُمْ بَجَلَوْهُ بِبَاطِلٍ فَأَبْرَزَهُ أَعْدَاؤُهُ بِالْبَاطِلِ التَّبْجِيلَ
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَ الْعَقَائِدِ بَيْنَهُمْ زُمَرًا أَلَمْ تَرَ عَقْدَهَا تَحْلُولًا
هُوَ آدَمٌ فِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ حَالِ النَّفْعَةِ التَّكْمِيلَ

* * *

[تعليق الناظم] :

قال الناظم : لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث
النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها القول بخلاف ما يدعون من ألوهية المسيح ، ومن صلبه ،
وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ماسهل
نظمه من ذلك ، وأردت أن أورد تحت كل آيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي
لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها^(٣) ولا بترتيبها . فمن ذلك :

ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه وبين الناس بلفظهم الذى رضوا إظهاره
باللغة العربية ، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل . قوله فى إنجيل لوقا : أنه لم يُقتل أحد من الأنبياء
فى وطنه ، فكيف يقتلوننى ؟ ! وقوله حين خرج من السامرة : الحق بجلجال ، إنه لم يكرم

(١) د : تنزيها .

(٢) زيادة فى م .

(٣) د : تنزيها .

أحد من الأنبياء في وطنه . فهذا دليل أنه ما جعل نفسه إلا نبيا . وكقوله في إنجيل مرقس ^(١) :
 إن رجلا أقبل عليه وقال : أيها المعلم الصالح ، أيّ خير أعمل ، لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له
 المسيح : لم قلت لي صالحا ؟ إنما الصالح الله وحده . وفي إنجيل يوحنا : أن اليهود لما أرادوا
 القبض عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء ، وقال : « قد دنا ^(٢) الوقت ياإلهي ! فشرّفتني لديك ،
 واجعل لي سبيلا إلى أن أملك كل ما تملكك الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا
 بك إلهيا واحدا . وبالمسيح الذي بعثت ، فقد عظمتك على أهل الأرض ، واحتملت ما أمرتني به ،
 فشرّفتني لديك » . وكفى بذلك تذلا لله وعبودية ، وسؤالا واعترافا ، واثارا بأمر الله
 سبحانه وتعالى . وكقوله لتلاميذه : لا تنسوا أباكم في الأرض ، فإن أباكم الذي في السماء وحده .
 وفي إنجيل لوقا حين أحيا الميت بباب مدينة ، قام حين أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه ،
 فقال الناس : إن هذا نبي عظيم ^(٣) . وإن الله يفيدك منه . فلو كان المسيح ادّعى أنه إله ،
 لما قيل عنه خلاف ما ادعاه في معرض الشكر والتصديق . وكقوله في إنجيل يوحنا لست
 أقدر أن أفعل من ذاتي شيئا ، لكنني أجيبكم بما أسمع ، لأنني لست أنفذ إرادتي ، بل إرادة
 الذي بعثني ؛ وكقوله في إنجيل يوحنا ، أيضا لليهود : قد عرفتموني وموضعى ، ولم آت من
 ذاتي ، ولكنني بعثني بالحق وأنتم تجهلونني ؛ فإن قلت إني أجهله ، كنت كاذبا مثلكم .
 وأنا أعلم أنني نبيه ، وأنه بعثني . وكقوله لليهود : إن كنتم بنى إسرائيل ، فافتقروا أثره ،
 ولا تريدوا قتلى ، على أنني رجل أدبت لكم الحق الذي سمعته من الله تعالى ، غير أنكم

(١) إنجيل مرقس : الإصحاح العاشر :

« أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحا . ليس أحد
 صالحا إلا واحد هو الله » ووردت هذه العبارة أيضا في إنجيل لوقا ، إصحاح ١٨ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ « أيها الأب قد أنت الساعة . مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا إذ أعطيت
 سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيت . وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي
 وحده ويسوع المسيح الذي أرسلته . العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته . والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك
 بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم .

(٣) إنجيل لوقا ، الإصحاح السابع .

تَقْفُونَ آثار آبائكم . وقال : لو أن أباكم الله ، لحفظتموني ، لأنى رسول منه خرجت مقبلا ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى إليكم ، لكنكم لا تقبلون وصيتى . وفى الإنجيل أنه كان يوما يمشى فى أسطوان سليمان ، فأحاطت به اليهود ، وقالوا له : إلى متى تُخفى أمرَكَ ؟ فإن كنت المسيح الذى يُنتظر ، كما علمنا بذلك ولم يقولوا : إن كنت الله ولا الرب . وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه ، فبعثوا إليه الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم ، فقالوا لهم : لم تأخذوه ؟ فقالوا : ما سمعنا آدميا أنصف منه . فقالت اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون . أترون أنه آمن به أحد من القواد ، ومن رؤساء أهل الكتاب ؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب . فقال لهم يردنس القس : أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يُسمع منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتاب ترى أنه لا ينجى من جلبال نبيّ قط ؟ فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول ، لما قالت الأعوان : ما سمعنا آدميا أنصف منه . ولا قالت اليهود : إنه لا ينجى من جلبال نبيّ قط ، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتى ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يقرب إلى الله تعالى قُرْبانا ، لأنه لم يعرف الله ولا أنا . وفى رسائل بولس : يسوعُ المؤمنُ عند من خلّقه . وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح : إنك ستعتلين جبلا ، وتلدن ابنا ، ويدعى اسمه يسوع : هذا يكون عظيما ، ومعظما لربه الإله كرسى داود أبيه . وقال بولس الرسول : عندهم إله سيدنا يسوع المسيح ، يعطيكم روح الحكم والبيان . وقال أناشدك الله سيدنا يسوع المسيح ، والملائكة المصطفين : وقوله إن هذا الرسول عظيم ، اختار إيماننا يسوع الذى صنعهُ مثل موسى . وكقوله كما زعموا : إلهى إلهى ، لماذا تركتنى . وقوله يستطاع أن تقرّ عيني هذه الساعة . وكقوله : الآن كل شيء بقدرتك ، أخرج عني هذا الكأس الذى ليس كإرادتى يكون ، بل كما تريد أنت . وكقوله : جرعت نفسى الآن ، فماذا أقول يارباه ، فسلمنى من هذا الوقت . وقوله وقد سئل عن الساعة : إنما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا تعلمها الملائكة ولا الأمم ، إلا الله وحده . وقوله لتلاميذه : آمنوا بالله ، وآمنوا بى . وكقوله للذى سأله ماذا أصنع لأعمل أعمال الله تعالى ؟ هذا هو عمل الله : أن يؤمنوا بمن أرسله . وفى زبور داود (ع)

خطاباً له من الله : إنه سيولد لك ولد أُدْعَى له أبا ، ويدعى لى ابنا : فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كى يعلم الناس أنه بشر .

المفهوم من ذلك أن الله أطلع داود على من سيدعى بالمسيح ، فقال : اللهم ابعث جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر ، وأن دعوى الربوبية له ، ما كان إلا بعد رفعه وموت حوارتيه ينحو من ثلاث مئة سنة ، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبي (ص) وكذلك قول المسيح فى الإنجيل : اللهم ابعث البارقليط^(١) ، ليعلم الناس أن الإنسان بشر .

وفى الزبور : سَنِي لأعطيكَ الشعوب ترعاهم . وقول بولس : فآله واحد هو ، والواسطة بين الله وبين الإنسان يسوع المسيح . وقوله : وليعف بعضهم عن بعض ، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح عليه الصلاة والسلام .

أَسْمِعْتُمْ أَنَّ الْإِلَهَ لِحَاجَةٍ	يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَا كَوَلَا
وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ	وَيَرُومُ مِنْ حَرِّ الْمَجْهِرِ مَقِيلَا
وَيَمْسُهُ الْأَلَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِيعْ	صَرْفًا لَهُ عَنْهُ وَلَا تَحْوِيَا
يَالَيْتَ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بِزَعْمِهِمْ	مَنْ كَانَ بِالْتَّذِيرِ عَنْهُ كَفِيلَا
هَلْ كَانَ هَذَا الْكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ	مِنْ بَعْدِهِ أَمْ آتَرَ التَّعْطِيلَا
إِجْزُوا الْيَهُودَ بِصَلْبِهِ خَيْرًا وَلَا	تُخْزُوا يَهُودَا الْآخِذَ الْبِرْطِيلَا ^(٢)
زَعَمُوا الْإِلَهَ فَذَى الْعَبِيدِ بِنَفْسِهِ	وَأَرَاهُ كَانَ الْقَاتِلَ الْمَقْتُولَا
أَيَكُونُ قَوْمٌ فِي الْجَحِيمِ وَيَصْطَفِي	مِنْهُمْ كَلِيمًا رَبَّنَا وَخَلِيلَا
وَإِذَا فَرَضْتُمْ أَنَّ عَيْسَى رَبُّكُمْ	أَفَلَمْ يَكُنْ لِفِدَائِكُمْ مَبْذُولَا

وَأُجِلُّ رُوحًا قَامَتْ الْمَوْتَى بِهِ عَنْ أَنْ يُرَى بِيَدِ الْيَهُودِ قَتِيلًا
فَدَعُوا حَدِيثَ الصَّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ مِنْ كُتُبِكُمْ مَا وَافَقَ التَّنْزِيلَ
شَهِدَ الزَّبُورُ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ أَفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَذْخُولًا
أَيَكُونُ مَنْ حَفِظَ الْإِلَهَ مُضِيْعًا أَوْ مَنْ أَشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولًا؟^(١)
أَيَجُوزُ قَوْلُ مُنْزَمِهِ لِلَّهِ سُبْحَانَ قَاتِلِ نَفْسِهِ فَأَقُولُ؟^(٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

في زبور داود (ع) : إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء قدسه ، وكذلك قوله إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك ، فإذا لم يكن ذلك الحفظ تلك النجاة من الصاب والقتل ، فماذا يكون؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به ، ولا رواية صحيحة ، أن المسيح صلب ، فإن أحدا ما حضره من أصحابه عند ما أخذ شبهه ، ولا كانت اليهود يعرفونه ، وإنما دُهِم عليه رجل يقال له يهوذا ، ويسمونه يودنس الأسخريوطى ، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد .

* * *

أَوْ جَلَّ مَنْ جَعَلَ الْيَهُودَ بِزَعْمِكُمْ شَوْكَ الْقَتَادِ لِأَسِيرِهِ إِكْلِيلًا
وَمَضَى بِحِمْلِ صَلْبِهِ مُسْتَسْلِمًا لِلْمَوْتِ مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ دَلِيلًا

(١) هذا البيت ورد في الأصل هكذا .

فيكون من حفظ الإله مضيعا ومن استبد بنصره مخذولا

(٢) زيادة في م .

وهذه رواية م .

كَمْ ذَا ابْكُتْكُمْ وَلَمْ تَسْتَنْكِفُوا أَنْ تَسْمَعُوا التَّبْكِيَتَ وَالتَّخْجِيلَا
ضَلَّ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَأَقْسَمُوا لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلَا
جَعَلُوا الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا وَلَوْ اهْتَدَوْا لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا
عَبَدُوا إِلَهًا مِنْ إِلَهٍ كَانِنًا ذَا صُورَةٍ صَلَوَا بِهَا وَهَيُولَى

* * *

[تعليق الناظم] :

وأعطوه على تعريفهم به ثلاثين درهما، ثم بدا له وردَّ الدراهم وندم ، وأن اليهود جاءوا إلى المكان الذى فيه المسيح فخرج إليهم رجل ، فقالوا له : أنت يسوع ، فقال نعم . فأخذه ومضوا ، وكانوا يستفهمونه ويقولون : أنت هو المسيح ؟ فيقول : أنتم تقولون ، فضوا به يوم الجمعة ، وقالت النصارى : إنه صلب فى يوم ... فى الساعة التاسعة ، وقالت اليهود : إنه أقام عندهم محبوسا أربعين يوما وهم يستخبرونه ويسألونه إن كان هو هو ، ويظهر لهم آية فلم يجبههم إلى مأسأله ، لافى حال أخذه ولا فى حال صلبه ، وقالت النصارى إن يودس الذى دل عليه اليهود خنق نفسه ندما ، وتأولوا له أنه قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار ، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه من جملة بنى آدم وبنيه ، فإنهم كانوا يزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم فى الجحيم : نبيهم ورسولهم ومؤمنهم وكافرهم ، وإنه أخرج الجميع وخلصهم . وصلبه ، فما من اليهود من عرف المسيح ، ولا من أصحابه من حضره حيا ولا ميتا على زعمهم : وصدقوا فيه قول واحد مرتد ، ثم إنه عدم ، فقالوا خنق نفسه ، وتأولوا . وما يدريك أن الله ألقى شبه المسيح على ذلك الذى دل عليه بذنبه وبكفره ، والله أعلم .

* * *

ضَلَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَلَا تَكُنْ بِهِمْ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى مَذْلُولًا
وَالْمَدْعُو التَّلْذِثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا مَا خَالَفَ الْمَقُولَ وَالْمَقُولَا
وَالْعَابِدُونَ الْعِجْلَ قَدْ فَتَنُوا بِهِ وَدُّوا اتِّخَاذَ الْمُرْسَلِينَ عُجُولًا
فَإِذَا أَنْتَ بُشِّرَى إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا يَهْوَى النَّفُوسِ وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا
وَكَفَى الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ قَدْ مَثَلُوا مَعْبُودَهُمْ بِعِبَادِهِ تَمْثِيلًا (١)
وَبَآنَ إِسْرَائِيلَ صَارِعَ رَبِّهِ وَرَمَى بِهِ شُكْرًا لِإِسْرَائِيلَا (٢)
وَبَآنَهُمْ رَحَلُوا بِهِ فِي قُبَّةٍ إِذْ أَرْمَعُوا نَحْوَ الشَّامِ رَحِيلًا (٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

أى شبه كان ، والله أصدق القائلين يقوله - وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك^(١) منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن - وما خرج أمره عن ذلك . وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلا قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال ، وأخبارهم في ذلك وفي عقائدهم مثل ذلك . هذه الأخبار كلها هديانية .

(١) وفي التوراة ما يدل على التبديل : أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح .

(٢) وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب .

(٣) وفيها أن الله عز وجل لما أمرهم بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا ، ينزل فيها في سيرة معهم . ثم إن موسى قال : يارب إن هذه الأمة القاسية رقابها لاتمضى إلى الشام حتى تمشي معها كما وعدتها ، فقال الله تعالى : نعم اعملوا لى قبة ، وعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد ، ونزل فيها من عرشه ، وسار معهم في داخل القبة ، ينزل

بنزولهم ، ويرحل برحيلهم . هذا نص ما ترجموه من التوراة . وتتمة الحديث مامعناه أنهم حملوا أموالا إلى موسى عليه السلام ، وتولى إنفاقها على القبة ، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل ، فاتهموا فيه موسى حتى سمعوا صوتا من الهوا يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العمد .

* * *

وَبِأَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ إِلَهِهِمْ وَسَبَّيْلُهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْمُنْقُولَا (١)
وَبِأَنَّهُمْ ضَرَبُوا لِيَسْمَعَ رَبُّهُمْ فِي الْحَرْبِ بُوقَاتٍ لَهُ وَطَبُؤَلَا (٢)
وَبِأَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ بَدَأَ لَهُ فِي خَلْقِ آدَمَ يَا لَهُ تَجْهِيلَا (٣)
وَبَدَأَ لَهُ فِي قَوْمِ نوحَ وَإِنِّنَى أَسْفَا يَعَضُّ بَنَانَهُ مَذْهُولَا (٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة ، كما سمعه موسى ، فأى فضيلة لموسى عليهم بذلك ؟

(٢) وما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق في عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ يضربون به بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله تعالى ، فيؤيدهم على عدوهم . كأن الله تعالى وتقدس وتنزه ؛ إنسان ، سبحانه وتعالى عن قولهم .

(٣ و٤) ومما ترجموه فيها أن الله تعالى ندم على خلق آدم ، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة ، فيكون إلهامه مثله ، وكذلك أخرجه من الجنة . وفيها : ورأى أن كثرة فساد الآدميين في الأرض فقدم على خلقهم ، فقال : سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والحشاش

وطهر السماء ، لأنى نادى على خلقهم جدا ، وفيها ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا فى البارى سبحانه وتعالى ، وأشد استحالة .

* * *

وَبَيَّنَ إِبْرَاهِيمَ حَاوِلَ أَكْثَلِهِ خُبْرًا وَرَامَ لِرَجُلِهِ تَنْسِيلًا (١)
وَبَيَّنَ أَمْوَالَ الطَّوَائِفِ حُلَّتْ لَهُمْ رَبًّا وَخِيَانَةً وَغُلُولًا (٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن إبراهيم كان يوما قاعدا عند باب فسطاط الله تعالى ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة ، فخر إليهم ساجدا ، وقال يا هذا إن كنت راضيا عنى فلا يحلف عندك حتى أسوق ماتفسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة ، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم ، وبعد هذا تذهبون . زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد ، علما بأنه الله سبحانه وتعالى ، وجوزوا عليه وعلى إبراهيم عليه السلام أن يطعم الله خبزا ، ليقوى بها قلبه ، ويفسل رجليه تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا . وجعلت النصارى ذلك دليلا على أن الثلاثة واحد ، وهم الذين ذكروهم فى القرآن بقوله تعالى وتقدس (هل أأتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) .

(٢) اليهود تزعم أن موسى (ع) عليه السلام أمرهم أن يأخذوا أموال خزانهم من أهل مصر على سبيل الفدية ، ثم قال لهم : يقول لكم اهربوا بها ففعلوا ، وقالوا : هى أجرة سحرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامة ، إنما أجرتهم على فرعون الذى استخدمهم . وفى التوراة : فلا تزن لأجل أن يباركك الرب إلهك . وفيها : لاتسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء بأخيه ، فتأولوا إخوان اليهود خاصة دون سائر بنى آدم . وقد أخبر

الله تعالى عنهم بذلك فقال : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون ^(١) على الله الكذب وهم لا يعلمون » . ومن أقوالهم : احفظ سيك ، واصنع ماشئت .

* * *

وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم فكأنهم حسبوا الخروج دُخُولاً (١)
وحديثهم في الأنبياء فلا تسَلْ عنه وخلَّ غطاءه مسدولاً (٢)
لم يفتهموا عن قذف داود ولا لوط فكيف يقذفهم رؤيلاً
وعزوا إلى يعقوب من أولاده ذكراً من الفعل القبيح مهولاً
وإلى المسيح وأمه وكفى بها صديقةً حلت به وبتولاً
ولن تعلق بالصليب بزعمهم لعنا يعود عليهم مكفولاً (٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن بنى إسرائيل يمشون في الأرض المقدسة إلى الانقراض ، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى في كتبه .

(٢) ترجوا في التوراة التي بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ذكره ولا التنويه به ، وذلك مما يدل على كذبهم ، فإن الله تعالى حيٌّ كريم ، عصم أنبياءه ، لا يذكر عنهم الفواحش في كتبه التي تقرأ على مر الأزمان ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) وما يدل على كذبهم أنهم كتبوا في التوراة : ملعون ابن ملعون من تعلق بالصليب ؛ تهمة لا عذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح ، وأنه ليس المسيح الذي شهدت به ، وكذلك

النصارى نسبوا إلى كتاب عاموس النبي: إذا سمر في ثلاثة أعواد، سر في الأرض . فقال صهيون عبد لبدران الناموسى ، ونصب عليها علم الخلائق ، حينئذ يتلف بنى إسرائيل بالخزى والجوع . وكلام النصارى في ذلك ضد كلام اليهود ، وكلاهما باطل في حديث الصلب الذى ضلوا فيه بالشبه .

* * *

وَجَمَعُوا عَلَى هَارُونَ بِالْعِجْلِ الَّذِي نَسَبُوا لَهُ تَصْوِيرَهُ تَضْلِيلًا (١)
وَبَأَنَّ مُوسَى صَوَّرَ الصُّورَ الَّتِي مَاحَلَ مِنْهَا نَهْيُهُ مَعْقُولًا (٢)
وَرَضُوا لَهُ غَضَبَ إِلَهِ فَلَا عَدَا غَضَبُ إِلَهِ عَدُوَّهُ الضَّلِيلًا (٣)
وَبَأَنَّ سِحْرًا مَا اسْتَطَاعَ لآيَةٍ مِنْهُ وَلَا اسْطَاعَتْ لَهُ تَبْطِيلًا
وَبَأَنَّ مَا أَبْدَى لَهُمْ مِنْ آيَةٍ أَبَدُوا إِلَيْهِ مِثْلَهَا تَخْيِيلًا
إِلَّا الْبَعُوضَ وَلَا يَزَالُ مُعَانِدًا لِإِلَهِهِ بِمِعْوَضَةٍ مَحْذُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفي التوراة : أن هارون صاغ لهم العجل الذى عبدوه ، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى ، ففعلوا واتخذوا له عيدا ، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتساقون . فانظر هذا القول الذى لا يجوز نسبته إلى نبي اختاره الله تعالى لهداية خلقه . ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم في ذلك ، قال : ما عندهم خلاف أن ذلك في التوراة منصوص ، وإنما الحلي الذى أحضروه إلى هارون كان فيه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق (ع) ، عمل في طالع الثور وعليه صورة الثور ، فلما سأل هارون الزينة وقلبها تصور منها العجل . فانظر هذه الأقاويل ، ما أضل قائلها !

(٢) وفي التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام ، واللعة لمن عمل ذلك والغضب عليه ، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين من ذهب مفرغ ، أجنحتها مبسوطة ، ووجه كل منهما إلى الآخر ، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى ، ومن بينهما أنه أيضا عمل صورة حية من نحاس .

(٣) معناه أن اللعة والغضب في التوراة على من صور الصور ، وقد نسبوا إلى موسى عملها ، وفي أن الله غضب على موسى وهارون ، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ، ثم تكرر ذلك في السفر الخامس ، فقال موسى : وغضب الله على أنا ، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التي وهبها ربكم لكم .

وفيهما أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التي جاء بها موسى ، وأنهم ماقدروا أن يبطلوا شيئا من آياته ولا أبطل شيئا من سحرهم الذي جاءوا به ، والله تعالى وتقدس قال : (ما جئتم به ^(١) السحر ، إن الله سيبطله) .

* * *

وَرَضُوا لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ فَوَاحِشًا
نَقَلُوا فَوَاحِشَ عَنْ كَلِمِ اللَّهِ لَمْ
وَأَظْنُهُمْ قَدْ خَالَفُوهُ فَعَجَّلَتْ
وَشَكَّتْ رِجَالَهُمْ مَصَادِرَ ذَيْلِهَا
خَتَمَتْ وَصِيَّتُهُ لَهُنَّ فَصُولًا (١)
يَكُ مِثْلُهَا عَنْ مِثْلِهِ مَنَقُولًا
لَهُمُ الْعُقُوبَةُ بَاخَلْنَا تَعَجُّيلًا
وَنَسَاوُهُمْ غَيْرَ الْبُعُولِ بُعُولًا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ومن التوراة عندهم أن موسى (ع) قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها ، فقال عند آخرها : وإن كفرتم وحدت عن سبيله وعبدت الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهي

مصر ، ويضرب الجرب من جسدك الذى يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذى لادواء له ، وتنزوح زوجا ويضاجهما غيرك . ولا خلاف أن بنى إسرائيل عبدوا الآلهة ، فإما أن يكون هذا القول باطلا ، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن ، فإن الجرب والحكاك الذى لادواء له وهو القطم ، لأنه عين فى مصدر الذيل من الجسد ، وليس البواسير التى يولونها لأن البواسير مرض كالبرص والجذام ، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجها غيره ، فإن المقصود بذلك المعيرة فى الموضعين ، ولا معيرة فى برص .

وتعالى الله عما يقولون ، وتنزه فى التوراة التى جعلها هدى ونورا للإنسان كليمُ الله عز وجل عن ذكر هذه الفواحش .

* * *

لُعِنَ الَّذِينَ رَأَوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ	وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَصْلَ سَبِيلَا
أَبْنَاهُ حَيَّاتٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ	يَجِدُونَ دِرْيَاقَ السُّمُومِ قَتُولَا
مُذْفَرَقُوا الْعِجَلِ الَّذِي فُتِنُوا بِهِ	وَدُّوا اتِّخَاذَ الْأَنْبِيَاءِ عُجُولَا
فَإِذَا أَتَى بَشَرُهُ إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا	بِهَوَى النَّفُوسِ وَقَتُلُوا تَقْتِيلَا
أَخْلَوْا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِهِ	عَدَوْا وَكَانَ الْعَامِرَ الْأَهْوَلَا
جَعَلُوا الْحَرَامَ بِهِ حَلَالًا وَالْهُدَى	غَيًّا وَمَوْصُولَ الثَّقَى مَقْصُولَا
وَدَعَاهُمْ مَا ضَيَّعُوا مِنْ فَضْلِهِ	أَنْ يَمْلِئُوهُ مِنَ الْكَلَامِ فُضُولَا
كَتَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْمَعَادَ وَمَارَعَوْا	لِلْحَقِّ تَعْجِيلًا وَلَا تَأْجِيلَا

* * *

أعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضلّال النصارى واليهود ، بعد الحذف والاستدراك ، والتحريف والتبديل ، فالله تعالى يقول : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) . وكفى بذلك . واليهود مقرّون أن سبعين كاهنا منهم اتفقوا على أن بدلوا من التوراة ثلاثة عشر حرفا اعترفت اليهود بثلاثة حروف ، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه ، وفيما تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية . وما يدل أيضا على ذلك ما أذكره ، وهو ما لا ينكره أحد من اليهود ، وذلك أن التوراة التي بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار ، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل في الدنيا فيعجزون كما زعموا على الطاعة بنصر على الأعداء وطول العمر وطيب العيشة وسعة الرزق وطول المكث في الأرض المقدسة ، ويجزون على الكفر والمعاصي بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثمرة وظهور الأعداء عليهم ، والشقاء والتعب والقروح والحيات والجرب واليرقان وريح السموم ؛ وتكون السماء عليهم مثل النحاس ، والأرض مثل الحديد ، فينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ويسقى عليهم التراب من السماء ويكونون يلتمسون الشيء نصف النهار كما يلتمسه الأعمى لا يبصرونه ولا يستقيم لهم أمر ، ويهربون ويسبون ، وتصيبهم عين سوء في ركبهم وفي سوقهم ، ولا يكون لهم شفاء . وليس في كتابهم اليوم ذم الدنيا ولا الزهد فيها ولا وظيفة صلاة معلومة ، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والشرب والقصف والغناء واللهو ، كل هذا نص فيما يزعمون أنها التوراة ، وأن موسى عليه السلام قال لله عز وجل : أطلب إليك يارب أن ترسل في هذه الرسالة غيرة ، فاشتد غضب الله تعالى على موسى (ع) وقال الله تعالى : ولئن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فاعنني من سفرك الذي كتبت : أي اعنني من النبوة ، وفيها أن بنى إسرائيل يمتحنهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب ، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب

الآباء إلى ثلاثة خلوف ، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذى بصيرة أن ذلك القول لا يأتى عن الله تعالى مثله . وفى التوراة أن الله تعالى قال لموسى : أنا هو الذى أدخل يدك فى حجرى وأخرجها مبروسة كالثلج ، وإذا أخرجها مبروسة فأى آية فيها ، إذ يياض البرص موجود فى الناس ، والله أخبرنا فى محكم كتابه العزيز أنه قال : (وأدخل^(١) يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) .

وفى التوراة عن اللوحين ، أنهما منقوشان بأصبع ، والله تعالى يقول : (وكتبنا له^(٢) فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء) وفى التوراة أن إسحاق هو الذبيح ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل ذلك أن النحر والذبيح بنى موطن إسماعيل ، فإن قرون الكباش كانت معلقة فى الكعبة من عهد إبراهيم (ع) إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فحرقته ، وفى التوراة أن الحية أغوت حواء فى أكل الشجرة ، فقال لها الله تعالى : سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها ، وترصدين أنت أبدا عقبها وترصد أبدا رأسك لتقطعه ، إلى خبر كثير هو مثل خرافة . والله تعالى يقول : (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُورىَ عنهما من سوءاتهما) وفى التوراة أيضا عن نوح (ع) أنه رقد وأولاده أمامه فأنكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه سام وألقى فقاء إلى جهة عورة أبيه ، يمشى إلى وراء ، حتى غطاها واستيقظ نوح (ع) ودعا على حام : سيسود لونك ويكون أولادك عبيدا لأولاد أخيك ، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان . وفى التوراة أن سليمان بن داود (ع) ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان ، وسب نساءه وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام ، ما يمنع من تسميته وتلقاؤه به الحياء من الله سبحانه وتعالى ، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة ، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

* * *

عَجَبًا لَهُمْ وَالسَّبْتُ يَنْعُ عِنْدَهُمْ لَمْ يَلْقَ مِنْهُ الْمُسْتَرُونَ مَقِيلًا^(١)
هَلَّا عَصَوْا فِي السَّبْتِ يُوشَعَ إِذْ غَدَا يَدْعُو جُنُودًا لِلْوَعَى وَخِيُولًا
أَوْ خَالَفُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي عَجَنِ بِهِ لَمْ يَبْدُ عَنْهُ نُكُولًا^(٢)
أَوْ أَحَقُّوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَسَوَّغُوا التَّحْرِيمَ فِي الْحَالَيْنِ وَالتَّحْلِيلَ^(٣)
[أَوْ أَنْبَتُوا النَّسَخَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ قَدْ نَصَّ عَنْ شَعْيَا وَعَنْ يُوشِيَا
أَوْ لَمْ يَرَوْا حُكْمَ الْعَتِيقَةِ نَاسِخًا أَحْكَامَ كُتُبِ الْمُرْسَلِينَ الْأُولَى]

[تعليق الناظم] :

وفي التوراة تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض ، وفيه من التغليظ والتشديد ما لا يخفى ، واليهود تقول : إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبي ادعى ديناً يتضمن نسخاً لبعض ما شرعه في جميع الأيام المتصلة ، وأمرهم بتضعيف الحاربة يوم السبت ، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد الحاربة ، فقال في نص التوراة : ويحيطون بالمدينة لقتال ، ويتسورون عليها مرة واحدة ، ويصنعون ذلك في الستة أيام ، ويحمل سبعة أيام سبعة أبواب ، والشمع بين يدي الصندوق ، وفي اليوم السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواب . وفي التوراة يأمر هارون أن يذبح في يوم السبت كبشين أصيلين ابني سنة كاملة ومكيل سميد يعجن بالزيت ، فاعجب لهذا التناقض : كون حكم التوراة أن لا ينقض السبت ، وأى نبي جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لا يطاع ، وقد أطاعوا شعياً وهارون فيما نهوا

(١) المقليل من إقالة البيع وفسخه .

(٢) في م هكذا :

أَوْ أَجْهَلُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي عَجَنِ وَمَا كَانَ النَّبِيُّ جَهُولًا

(٣) في م هكذا :

أَوْ أَحَقُّوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَأَوْجَبُوا لَهُ حَرِيمَ فِي الْحَالَيْنِ وَالتَّحْلِيلَ

وحللوها حرمت التوراة مع منعهم النسخ ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت في يوم السبت ، وكفروا به ، لأنهم أنكروا مافى الكتابين ولا وافقوا ما فيها وكل من الثلاثة نبى .

* * *

أَفَيَأْتِيُ الْكَفَّارُ أَنْ يَسْتَذِرَ كُفْرًا قَوْلًا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنَحُولًا
لَا دَرَّ دَرُّهُمْ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ يَذَرُ الثَّرَى مِنْ أَدْمَعِي ^(١) مَبْلُولًا
فَكَأَنَّنِي أَلْقَيْتُ مُقْلَةً فَاقْدِرْ تَكَلَّى وَمُوجَعَةٍ تُصِيبُ عَوِيلًا ^(٢)
[ظَنُّوا بِرَبِّهِمُ الظَّنُّونَ وَرُسُلُهُ] وَرَمَوْا إِنَانًا بِالْأَذَى وَفُحُولًا
إِنْ يَبْخَسُوهُ بِكَيْلِ زُورٍ حَقَّهُ فَلَا وَسِعَتَهُمُ الْجَزَاءُ مَكِيلًا ^(٣)
وَمِنَ الْغَيْبَةِ أَنْ يُجَازَى إِفْكَهَمُ صِدْقِي وَلَسْنَا فِي الْكَلَامِ شُكُولًا ^(٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

وفى التوراة : أن ملك الله قال لهاجر : إني أكثر ولدك ، ولا يحصى عددهم لكثرتهم ، وقال لها : إنك حامل ، وستلين غلاما ، وتدعين اسمه إسماعيل ، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك ، ويكون هو وحش الناس ، يده على كل يد ، ويد كل به ، ويحلى على سهمى وأخوته كلهم . وفى نسخة هذا الكلام : ويكون عظيما فى الأمم ، وفى نسخة : وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، فهذه بشار بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم يحل على سهم

(١) د : أدمع ، وهذه رواية م . (٢) هذه رواية م ، وأما د فهكذا :

فَكَأَنَّنِي بِالْغَيْبِ مُقْلَةً مَا جَد تَلَرُو لِمُوجَعَةٍ تَمْسُ عَقِيلًا

(٣) م : إن يبخسوا بالكيل زورا حقه . (٤) م يجازى .

إخوته ، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع ، ولا كانت يده على أيديهم ، ولا يده على كل يد ، ولا يد كل به ، لأن في التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفين مطرودين ، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق شيئا ، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده ، ولم تزل الفتوة والملك في ولد إسحاق ، حتى بعث الله محمدا (ص) فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له ، وعلت يده وأيدى بنى إسماعيل على كل يد ، وصارت يد كل بهم ، فكان ذكر إسماعيل مقصود به ولده .

* * *

[لَوْ يَصْدُقُونَ لَمَا أَتَتْ رُسُلُ لَهُمْ
 أَنْ تَرَى الطَّبِيبَ غَدًا يَزُورُ عَلِيلًا^(١)
 أَنْ تَرَوْا فَضْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّمَا
 أَرْخَوْا عَلَى صَوِّ النَّهَارِ سُدُولا
 اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
 وَكَتَابَهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلَا
 طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ لِلْوَرَى
 وَأَبَى لَهَا وَصْفُ الْكَمَالِ أَفُولَا
 وَالْحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيعَتِهِ الَّتِي
 جَعَلَ^(٢) فَرَوْعًا لِلْوَرَى^(٣) وَأُصُولَا
 لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السَّوَالِفَ عِنْدَهُ
 طَلَعَ النَّهَارُ فَأُطْفِئُوا الْقِنْدِيلَا
 دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا أَلَا فَاسْتَخِيرُوا
 مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ وَطُلُولَا
 تُخْبِرُكُمْ التَّوْرَةُ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ
 قَدْ مَّا بِأَحْمَدَ أُمَ^(٤) بِإِسْمَاعِيلَا
 وَدَعْتَهُ وَحَشَّ النَّاسَ^(٥) كُلُّ نَذِيَّةٍ
 وَعَلَى الْجَمِيعِ لَهُ الْأَيْدِي الطُّوَلَى

(١) ما بين القوسين زيادة في م .

(٢) د : حقت ، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) د : فلهدي وهذه رواية م .

(٤) د : نفر . (٥) م : الغار .

تَجِدُوا الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ فَطَلَمَا صَدَّقَ الْحَبِيبُ هَوَى الْمَحَبِّ نَحُولَا
 مِنْ مِثْلُ مُوسَى قَدْ أَقِيمَ لِأَهْلِهِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِوَاهُ رَسُولَا
 أَوْ أَنَّ إِخْوَتَهُمْ بَنُو الْعِصْرِ الَّذِي نَقَلَتْ بَكَارَتُهُ لِإِسْرَائِيلَا
 تَالَهُ مَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ فَتَى مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا شُمُويلَا
 إِذْ لَنْ يَقُومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ مِنْهُمْ وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ مِثْلَا
 طُوبَى لِمُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ وَلِسَامِيعَ مِنْ فَضْلِهِ مَا قِيلَا
 وَجِبَالُ فَارَانَ الرَّوَاسِي مِنْهَا نَالَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ التَّفْضِيلَا

* * *

[تعليق الناظم] :

وكما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب ، والمقصود به ولد يعقوب ، فن ذلك قوله في السفر الخامس : يا إسرائيل ، لأن تخشى الله ربك ، وتسلك في سبيله ، وتعمل له . فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم ، وذلك قوله في السفر الخامس : فسمن إسرائيل وأبر وجمع الأموال ونسى الله الذي خلقه ، وأسخط السيد الذي خلصه وأغضبه بالإنسان إلى ذبح الشياطين . وذلك قوله لقوم موسى : أسمع إسرائيل ثم احفظ واعمل ويحسن إليك ربك ويكرم وينعم . وفي التوراة يقول لإبراهيم وفي إسماعيل : قد سمعتك وباركته وكرمته جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما وأعطيه شعبا جليلا . وفي نسخة أخرى : وإسماعيل قد سمعت دعاك فيه ، وباركت عليه ، وعظّمته جدا جدا . وفي نسخة طيبا طيبا ، وقل حمدا حمدا ، وسيلد اثني عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة ، فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة ، لكن الأمة العظيمة لولده محمد (ﷺ) .

وفي التوراة : فدعا ملك الله هاجر وقال لها: مالك ياهاجر! لانتحشى، فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملِي الغلام وشدي يديك به، فإنني جاعله لأمة عظيمة، وفي التوراة هذه بركة موسى التي بارك بنى إسرائيل قبل وفاته قال : جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه. وفي نسخة : تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران، فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد (ﷺ). فإن الطور مكان خص الله فيه موسى بمناجاته، وساعير جبل الشام، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام بقرب الناصرة، وهى البلدة التي ولد فيها، وفاران مكة لا يخالف في ذلك أحد من أهل الكتاب. وفيها أقبل السيد من سيناء، ومن البر تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين، ومعه كتاب بارى وهو جيم الأجناس وجميع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من عمله. وفي السفر الخامس من التوراة، قال الله لموسى بن عمران : إني أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمته منه. وفي نسخة : والله ربك يقيم نبيا من إخوتك فاسمع له كالذى سألت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربى لئلا أموت، فقال الله لى نعم ما قالوا، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شيء أمرته، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه. فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون، فقد قال الله في آخر التوراة: لا يخلف من بنى إسرائيل نبي مثل موسى. وفي نسخة: لا يقوم في بنى إسرائيل أحد مثل موسى. وفي نسخة أخرى: مثل موسى لا يقوم في بنى إسرائيل أبدا. وانظر إلى من هم إخوة بنى إسرائيل، فلا محالة أنهم العرب والروم. فأما بنو إسرائيل فلم يكن منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به النوراة. فلم يبق إلا العرب فهو محمد (ﷺ) وقد قال الله سبحانه وتعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب، إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته. فكفى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل، كما كفى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل في قوله :

سأقيم لبني إسرائيل من إخوانهم مثلك ، ولم يكن يوشع كفوا لموسى ، بل كان خادما له في حياته، مؤكدا لدعوته بعد وفاته، ولكن كفو موسى محمد (ﷺ) فإنه مماثل في نصب الدعوة، والتحدى بالمعجزات، وشرع الأحكام، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة . وقوله أجعل كلامي في فمه إشارة إلى محمد (ﷺ) معناه أوحى إليه من غير ألواح ولاصف، لأنه أى لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه يمينه .

* * *

وَأَسْتَخْبِرُوا الْإِنْجِيلَ عَنْهُ وَحَازِرُوا مِنْ لَفْظِهِ التَّخْرِيفَ وَالتَّبْدِيلَ

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل في الإنجيل ، وفساد عقائد النصارى ، أن الحواريين لما توفوا ، وتفرق شمل النصارى ، واختلفت أقوالهم ، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قتل ومثل به ، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة ، وقيل مئتين وثلاثا وثلاثين سنة ، وفي ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم ، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم . فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، ويؤيد بجيشهم في نصره ، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريفهم خبرا عن رجل كان منهم ، هم أن ينسخ حكمة التوراة ، ويتفرد بالتأويل فيها ، فعمدوا إليه وهو في نفر من تبعه ، وظفروا بواحد منهم ، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب ، فصلبوه وما عندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه ، إلا أن قدّمهم إياه من حينئذ . فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى ، وقد اختلقت دعائها بعد المسيح بأربعين سنة ، فاستخرج قسطنطين ما تبقى من

رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شام ، وما رآه موافقا لاختياره ، كالقول بالصلوية ، ليتبعه قومه بطلب دم ، والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر ، فجميع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم أنه كان يرى في منامه أتيا أتاه ، فيقول له بهذا الرسم تغلب ، وتعرض عليه هيئة صليب ، فأعظم ذلك العامة ، وانفعلت لما سمعت منه . ثم بعث إلى امرأة كانت في ذلك الزمان فيها روح كهانة ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، وقوى تصديق العامة لذلك ، وفي ذلك كله لا يرون لذلك الرسم تأويلا ، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئا من أمره ، وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم ، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه ، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، ولجوا عليه فيه ، فقال : إنه قد أوحى في نومي أنه كأن الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض ، وصلبته اليهود ، فهلم ذلك كثيرا مع ما حصل عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، وانقادوا إلى قسطنطين انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هي عليه ، وقد ظهر لجماعة من أهل العلم في ذلك الزمان غير أولى الشرائع ، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية ، لم يكن وجوده في العالم ، ولكن قسطنطين ابتدع لهم ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود وعلمائهم على أن بذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود ، فصلبته ، وأن يضع الأحبار ذلك مسطورا عند اليهود . ففعلت وألفت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، الإحداث في شريعتهم ، مع السماعات بمنامات تدعيها النساء والمصبيان ، ومن لا يوثق به يدون ذلك وإبدال ما كان بأيديهم ، ورأوا ما في الإنجيل من إجراء صفات البشرية على المسيح ، فقالوا بالحلول . واختلفوا في تلك العقائد ، وسوغوها بألفاظ فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا شهد بها كتاب قبل ذلك . وفي الإنجيل من تناقض

الأقوال، مما يدل على التبديل كثيرا ؛ فمن ذلك قول المسيح : أنا الباب ، فمن دخل على يسلم ويحذ فرجا أبدا ، فمن عرّض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصا وسراقا ، فقال آمين آمين ، أقول لكم إني أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا الصوصا وسراقا ، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئا ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا أجرا . وفي الإنجيل منه : إني كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى حق ، لأننى أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب . وكيف تكون شهادته حقا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ، وكيف يجمع بين هذين فى كتاب ينسب إلى الله تعالى . وفى الإنجيل أنه حين استشعر بوقوف اليهود عليه بظنكم ، قال قد جزعت نفسى الآن ، فماذا أقول يا أبتا ؟ فلسفنى من هذا الوقت ، وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحا عظيما إلهى إلهى : لماذا تركتني ؟ وفى موضع آخر من الإنجيل : أنه قال قبل ذلك : من أحب أن يقفو أثرى فليذهب ، فخرض على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع مما حرّض عليه ؟ أم كيف يكون إلهما ويجزع نفسه ؟ أم كيف يكون ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت ، فلم يستجب له .

وفى الإنجيل عن يوحنا الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه الصلاة والسلام من يوسف ابن يعقوب بن ينا بن أليعازر بن اليود بن أخيم ، وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا . ثم فى إنجيل لوقا^(١) الحواريّ أنه ابن يوسف بن هالى بن لاوى بن ملجان بن ينا بن حنان ، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبا ، فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله ؟ وفيه أنه كان يوما نهام عن التجارة فى بيت المقدس ، وأن اليهود قالت له يومئذ : أى علامة تظهر لنا ؟ قال : تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالت اليهود بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى ثلاثة أيام ؟ وفى موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم ، وحمل إلى بلاد عامل قيصر ، واسترعت عليه البنية أن شاهدى زور جاءا وقالا : هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام ، اجزلى كيف استخرتم أن تسموها شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم

(١) ورد نسب عيسى (ع) فى إنجيل لوقا متصلا بآدم (إصحاح ٣) كما ورد مختلفا فى إنجيل متى الإصحاح الأول .

أنه قال ذلك ! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عني عيسى عليه السلام فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه .

ومما هو نص في كتابكم ، وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من خوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فيه بيت المقدس ، إنما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام . ومن عجيب الأشياء أنكم تأولتم على اليهود في ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له ، وذلك حين قال لهم عيسى اهدموا هذا البيت ، وأبنيه لكم في ثلاثة أيام ، فقالوا : بيت بنى في خمس وأربعين سنة تبنيه في ثلاثة أيام ! فقلتم في معنى ذلك إنها التربة التي صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التي في ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم ، وأكتم التصديق بهذا الهذيان الذي لا يؤدي إلى معنى ، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبي جاد ، على خمسة وأربعين من العدد ، وأعجب الأشياء من هذا ، ولكن أسلافهم جرى بينهم وبين المسيح هذا المجلس . وفيه أن يحى قال فيه إنه يكثر ولا ينقص ، وكيف تجوز الزيادة والنقص على من كان إلها . وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه : اذهبا إلى الحصن الذي يقابلكما ، فإذا دخلتماه فتجدان فلوا مربوطا لم يركبه أحد ، فحلاه وأقبلا به إلى . وفيه لمن يذكر أنها كانت حمارة متعبة ، وكفى بذلك شكا . وفيه للوقا يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي عيسى عليه السلام وشق ذلك على التلاميذ ، وقالوا هلا تصدقت به ، وفيه متى : أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف ! وفيه أن أم ابني سيده جاءت إلى عيسى عليه السلام ومعها ابناها ، فقال : ما تريدن؟ فقالت : أريد أن تجلس ولدى : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست في ملكك ، فقال : تجهلين السؤال ، أيصبران على الكأس التي أشربها؟ فقالا : نصبر ، فقال : سيشربان بكأسى ، وليس إلى تجليسا عن يميني ولا عن شمالي إلا بن وهب ذلك إلى ، فهاهوذا عيسى عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء . ومن تناقض إنجيلكم أنه قال : لا تحسبوا أني قدمت لأصلح

بين أهل الأرض . لم آت بصلاحكم لكن لألقى المحاربة بينكم ، إنما قدمت لأفرك بين المرء وأبيه ، البنت وأما ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته . وفيه عنه أنه قال : لم آت لأقضى شريعة من قبلى إنما جئت لأتمم . ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة وأحكامها بقوله : أما علمتم أنه قيل للقديماء لا تقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل ، وأنا أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة ، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة ، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم . أما علمتم ما قد قيل للقديماء : من فارق امرأته فليكتب لها كتابا بطلاق ، وأنا أقول لكم من فارق امرأته ^(١) منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق ، وقوله : أما بلفكم ^(٢) أنه قد قيل للقديماء : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحدا بسيئة . ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر ، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده رداك ، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثلها ، ومن سأل شيئا فأعطه ، ومن استسلفك شيئا فأسلفه . وفيه لمتى عن المسيح أنه قال لبيطره : طوبى لك يا سمعون بن الحماة وأنا أقول لك إنك الحجر ، وعلى هذا الحجر أبتى بيعتى ، وكلما أحلته على الأرض يكون محلولاً من السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء . ثم فيه بعد أحرف يسيرة : يقول له بعينه : اذهب عنى يا شيطان ، ولا تعارض فإنك جاهل ، فكيف شيطان يعطيه صاحب السماء ؟ وفيه أيضا أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا فى إنجيل متى ، ثم فى إنجيل يوحنا أن يحيى بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره ، فسأله : أهو المسيح ؟ قال : لا ، فقالوا : أنت نبى ؟ قال : لا ، قالوا : أخبرنا من أنت ؟ صوت كلام مناد فى الغار ، إلى كلام كثير ينفى عن نفسه كونه نبيا ، ولا يجوز لنبى أن ينكر نبوته فى هذا الكلام . وقد ذكر عيسى عليه السلام أنه لا يصلح أن يحل شركاء نعله ، وسماء خروف الله ، وأتم تقولون هو الله ، ولذلك تتأولون من الإنجيل الذى بأيديكم أنه لا نبى بعده . وفيه أيضا من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء فى قوله لليهود : وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجددون فى حياتكم

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ « وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعل الزنى يجعلها تزنى . ومن

تزوج مطلقة فإنه يزنى » . (٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى ، وفي كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء ، منهم باريثا وشمعون ولوقاوس ومائلي ؛ وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس ، وتكلم أحدهم وكان يسمى أنجيانوس ، وقال إنه يكون في البلاد حاجة وقحط شديد ، وفيها أن جرجيس الذي كان من بعده وبعث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين ، وكان أذن لبعض الحواريين وأتم القائلون أن لاني بعد المسيح ، وأتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم ، ولم يكن من الذكر في الكتب ولا النبوات مثل الذي كفرتم به .

* * *

إِنْ يَدْعُهُ الْإِنْجِيلُ فَارْقَلِيطَهُ فَلَقَدْ دَعَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِيْلَا
وَدَعَاهُ رُوحَ الْحَقِّ لِلْوَحْيِ الَّذِي يُتْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
وَأَرَاهُ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا أَزْفَعْتُ^(١) عَنْكُمْ لِلْإِلَهِ مَقُولَا
إِنْ أَنْطَلَقَ عَنْكُمْ يَكُنْ خَيْرٌ لَكُمْ لِيَجِيَّكُمْ مَنْ تَرْتَصُّوهُ^(٢) بِدِيلَا
يَأْتِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ مِنْهُ مُبَارَكٌ مَا كَانَ مَوْعِدُ بَعْنِهِ مَمْطُولَا
يَتْلُو كِتَابَ الْبَيِّنَاتِ كِتَابَهُ وَبِرْدُ^(٣) أَمْثَالِي بِهِ التَّأْوِيلَا^(٤)
وَيُفَنِّدُ الْعُلَمَاءَ تَوْبِيخًا لَهُمْ وَكَفَاهُمْ مَخْطِئَتَهُ تَخْجِيلَا^(٥)
وَيُزِيحُ مُلُوكَ اللَّهِ مِنْكُمْ عَنُوءَ لِيُبَيِّحَهُ أَهْلَ التَّقَى وَيُنِيلَا^(٦)

(١) كذا في الأصل . (٢) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « ترصون » . (٣) د : يرود .

(٤) البيت في م هكذا :

يتلو كتابا بالبيان كتابه وترد أمثالي به التأويل

(٥) البيت في م هكذا :

من فند العلماء غير محمد مهم وجهل رأيهم تجهيلا

(٦) م : وأزاح ملك الله عنهم عنوة ليبيحه أهل التقى وينيلا

وَمَا شَهِدْتُ لَهُ سِيشَهُدُ لِي إِذَا صَارَ الْعَلِيمُ بِمَا أَتَيْتُ جَهُولًا
يُبْدِي الْحَوَادِثَ وَالْغُيُوبَ حَدِيثُهُ ^(١) وَيَسْوُسُكُمْ بِالْحَقِّ جِيلاً جِيلاً
هُوَ صَخْرَةٌ مَارُوحَتِ صَدَمَتْ فَلَا تَبْغُوا لَهَا إِلَّا النُّجُومَ وَغُولا
وَالْآخَرُونَ الْأَوَّلُونَ فَقَوْمُهُ أَخَذُوا عَلَى التَّمَلِّ الْقَلِيلِ جَزِيلاً
وَالْمُنْحَمِنًا لَا تَشْكُوا إِنَّ آتَى لَكُمْ فَلَيْسَ بِحِثِّهِ مَجْهُولًا ^(٢)
وَهُوَ الْمُؤَكَّلُ آخِرًا بِالْكَرَمِ لَا يَخْتَارُ مَالِكُهُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

* * *

[تعليق الناظم] :

فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل وبشارة المسيح عليه السلام قوله : اللهم ابعد
الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر، وفيه عن يوحنا: الفارقليط ^(٣) لا يبحثكم مالم أذهب،
فإذا جاء ولح العالم عن الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنه عما يسمع يكلمكم،
ويسوسكم بالحق، ويخبركم الحوادث والغيوب .

إلى أن قال عنه : وسيعظمي . وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا، وتمادى في وصفه بكلام بين .
وقال هو سيشهد لي كما شهدت له، وأنا أجيبكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل . وفيه عن يوحنا أن
المسيح قال للحواريين : من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أني صنعت لكم بحضرتي صنائع لم
يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب. ثم قل: فلو قد جاء المنحمن، فهو الذي يرسله إليكم من عند الرب
روح القدس، فهو شهيد علي، وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي . هذا أقول لكم كيلا تشكوا إذا
جاء. المنحمن بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية: الفارقليط، وهو بالعربية محمد (ﷺ) . وفيه أنه قال

(١) م ، د : يبد الحوادث والغيوب سبيله .

(٢) د : والمنحمن لا تشكوان أن فيه .

يه وليس أضرار النجوم ومولا

(٣) الفارقليط: كلمة يونانية معناها محمد .

اليهود، وأنا أقول لكم : لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك، يأتي على اسم الله . وفيه :
إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده يكتر ملك الله وتوجد عنوة . فهذا بشارة بمحمد (ﷺ)
في الأرض الذى قهر الأجناس ، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاما من الله .
وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض ، من دم هابيل الصالح ، إلى دم يحيى بن زكريا
الذى قتلوه عند المذبح آمين آمين . أقول إنه سيأتى جميع ما وصف على هذه الأمة بؤسا ، ثم تقتل
الأنبياء ، ورحم من بعث إليك . قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فرار يحيا تحت جناحيها .
وفيه عن متى : أنه الحبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح ، وقال لهم قولوا له أنت
الآتى أم تتوقع غيرك . فأجابهم المسيح ، وقال : الحق اليقين أقول لكم إن لم يقم النساء عن أفضل
من يحيى بن زكريا . وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى ، حتى جاء يحيى ،
وأما الآن فإن شئتم فافعلوا ، فإن إيليا المزمع أن يأتى . فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع . فهذه
بشارة محمد (ﷺ) . فإن زعمت أنه إنما بشر بالناس النبى ، فهذا من أعظم الجبل والكذب على الله
تبارك وتعالى ، لأن الناس تقدم إرساله إلى قومه وصار إلى الله تعالى قول المسيح عليه السلام إن إيليا
مزمع أن يأتى قائل هو الله تعالى . فجئ الله تعالى هو يحيى . رسوله بكتابه وأمره ، كما قال في التوراة
جاء الله من طور سيناء ، وفيه أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله ، ويعطى الأمة المطيعة العاملة .
ثم ضرب مثلا بصخرة ، من سقط على هذه الصخرة سينكر ، ومن سقطت عليه ينهشم . يريد
بذلك محمد (ﷺ) من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه . وفيه أنه ضرب مثلا للدنيا كمثل رجل غرس
كرما وسبغ حوله ، وجعل فيه معصرة . وشيد فيه قصرا ، ووكل به أعوانا ، وتغرب عنه . فلما
دنا أو انقطفاه بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم . وضرب المسيح مثلا للأنبياء ،
ثم لنفسه فى كلام كثير ثم محمد (ﷺ) وجعل الموكل آخر الكرم ، وأفصح عن أمة محمد (ﷺ)
وشرف وكرم .

* * *

وَهُوَ الَّذِي مِنْ بَعْدِ يَحْيَى جَاءَهُمْ إِذْ كَانَ يَحْيَى لِلْمَسِيحِ رَسِيلًا^(١)

وَسَلُّوا^(١) الزَّبُورَ فَإِنَّ فِيهِ الْآنَ مِنْ
فَهُوَ الَّذِي نَعَتَ الزَّبُورُ مُقْلِدًا^(٢) ذَا شَفَرَتَيْنِ مِنَ الشُّيُوفِ صَقِيلًا^(٣)
قُرْنَتْ بِهَيْبَتِهِ شَرِيعَةً دِينِهِ^(٤) فَأَرَاكَ أَخَذَ الْكَافِرِينَ وَبَيْلًا^(٥)
فَاضَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّهِ فَاسْتَشْفَى مِنْ تِلْكَ الشَّقَاءِ عَلِيلًا
وَلِغَالِبٍ مِنْ خَمْدِهِ وَهَائِهِ مَلَأَ الْأَعَادَى ذِلَّةً وَخُحُولًا
فِي أُمَّةٍ خُصَّتْ بِكُلِّ كَرَامَةٍ وَتَفَيَّاتٌ ظِلَّ الصَّلَاحِ ظَلِيلًا
وَعَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ كَلٌّ يُسِرُّ وَيُعْلِنُ التَّهْلِيلَ^(٦)
رُهْبَانُ لَيْلٍ أَسْدُ حَرْبٍ لَمْ تَلْجُ إِلَّا الْقَنَا يَوْمَ الْكَرِيمَةِ غِيلًا^(٧)
كَمْ غَادَرُوا الْمَلِكَ الْجَلِيلَ مُقِيدًا وَالْقَرَمَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ مَغْلُولًا^(٨)
فَاللَّهُ مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ يَبْغِي عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ عُدُولًا
أَعْجَبْتَ مِنْ مَلِكٍ رَأَيْتَ مُقِيدًا وَشَرِيفٍ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مَغْلُولًا
خَضَعَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ طَائِعَةً لَهُ وَغَدَا بِهِ قُرْبَانُهُمْ^(٩) مَقْبُولًا
مَا زَالَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مُوَازِرًا وَأُولَى الصَّلَاحِ وَالْعِفَاءِ^(١٠) بَذُولًا
لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ وَضَرُورَةٍ إِلَّا وَنَالَ بِجُودِهِ الْمَأْمُولَا
ذَاكَ الَّذِي لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهُ الرِّمَانُ مُنِيلًا
تَبَقَى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ دَائِمَةً فَخُذْ وَصَفَ النَّبِيُّ مِنَ الزَّبُورِ مَقُولًا

* * *

(١) م : وصل . (٢) صَقِيلُ أَي مَسْقُولٌ بِمَعْنَى مَجْلُودٌ .

(٣) م : قُرْنَتْ شَرِيعَتَهُ بِأَسْرِ يَمِينِهِ . (٤) وَبَيْلٌ : شَدِيدٌ .

(٥) ثَنِيَّةٌ : مُنْحَدَرٌ . (٦) النِّيلُ : الْأَجَمَةُ . (٧) الْقَرَمُ : السِّيدُ . مَغْلُولًا : مَقِيدًا .

(٨) الْقُرَيْنَانِ : مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ . (٩) الْعِفَاءُ : جَمْعُ عَافَى وَهُوَ الْمَتَرَعِضُ لَطَابِ الْإِحْسَانِ .

[تعليق الناظم] :

ومن بشارة الزبور به (ﷺ): سبحوا الله تسييحاً جديداً ، سبحوا الذى هيكله الصالحون ،
وليفرح إسرائيل بخالقه صهيون ، من أجل أن الله اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر ، وسدد
الصالحين منهم بالكرامة ، ويسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم
سيوف ذات شفرتين ، لينتقم الله بهم من الأمم التى لاتعبده ، ويوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرفهم
بالأغلال . وفيه : تقلد أيها الجبار بالسيف ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك ، وضهاملك
مسنونة ، والأم تجرى تحتك .

وفيه : ويجوز من البحر إلى البحر ، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار ، وتخزله
أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحق أعداءه بالركب ، وتأتيه ملوك بالقرايين ، وتسجد له ،
وتدين له الأمم بالطاعة والافتقاد ، لأنه يخلص الناس من أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى
لاناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وأنه يعطى ذهباً من بلاد شتى ، ويصلى عليه فى كل
وقت ، ويدوم أمره إلى آخر الدهر . وفى الزبور : أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود ،
والإكليل ضرب مثلاً للرياسة ، والمحمود اسم محمد . يقول الله تعالى لداود عليه السلام
سيؤهلك ولد أدعى له أباً ، ويدعى لى ابناً ، فقال داود : اللهم ابث جاعل السنة ؛ كيما يعلم الناس
أنه بشر . فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك ، وخاف أن يدعى ولده إلهاً : اللهم ابث جاعل
السنة ، ليعلم الناس أنه بشر ، وكذلك قال المسيح فى الإنجيل : اللهم ابث الفارقليط ، ليعلم
أن ابن الإنسان بشر .

* * *

وَكِتَابُ شَعْيَا مُخَيَّرٌ عَنْ رَبِّهِ فَاسْمَعُهُ يَفْرِحُ قَلْبَكَ التَّبُولَا
عَبْدِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي وَمَنْ وَخِي عَلَيْهِ مَزَلْ تَزِيلَا

لَمْ أُعْطِ مَا أُعْطِيَتْهُ أَحَدًا مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَحَسْبُهُ تَخْوِيلًا
يَأْتِي فَيُظْهِرُ فِي الْوَرَى عَدْلِي وَلَمْ يَكُ بِالْهَوَى فِي حُكْمِهِ لِيَمِيلًا
إِنْ غَضَّ مِنْ بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فَا غَضَّ التَّقَى وَالْفَضْلُ مِنْهُ كَلِيلًا
فَتَحَّ الْعُيُونُ الْعُورَ لَكِنَّ الْعِدَا عَنْ فَضْلِهِ صَرَفُوا الْعُيُونَ الْخُولا
أَحْيَا الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، أَسْمَعَ كُلَّ ذِي صَمَمٍ وَكَمْ دَاءَ أَزَالَ دَخِيلًا
يُوصِي إِلَى الْأُمَمِ الْوَصَايَا مِثْلَمَا يُوصِي الْأَبُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ سَلِيلًا
لَا تُضْحِكُ الدُّنْيَا لَهُ سِنًا وَمَا لَمْ يُؤْتَ مِنْهَا عَدَّهُ تَنْوِيلًا^(١)
مَنْ غَيْرُ أَحْمَدَ جَاءَ بِحَمْدِ رَبِّهِ حَمْدًا جَدِيدًا بِالْمَزِيدِ كَفِيلًا
وَكِتَابُهُ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ نُورُهُ وَالْحَقُّ مُنْقَادٌ إِلَيْهِ ذُلُولًا^(٢)
خَصَمَ الْعِبَادَ بِحُجَّةِ اللَّهِ الَّتِي أَمْسَى^(٣) بِهَا عُذْرُ الْوَرَى مَتَبُولًا^(٤)
فَرَحَتْ بِهِ الْبَرِّيَّةُ الْقُصُوى وَمَنْ فِيهَا وَفَاضَلَتْ الْوُعُورُ سُهُولًا
فَزَهَتْ وَنَالَتْ حُسْنَ لُبْنَانٍ^(٥) الَّذِي لَوْلَا كَرَامَةُ أَحْمَدٍ مَا نِيلَا
مُلْتَمَسَاتٍ مَسَاكِينُ آلٍ قِيدَارٍ بِهِ عِزًّا وَطَابَتْ مَنْزِلًا وَتَزِيلًا^(٦)

* * *

[تعليق الناظم] :

ذكر ما ورد في كتاب شُعْبَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ (ﷺ) قوله : عبدی الذی
سرت به نفسی، أنزل وحی، فیظهر فی الأمم عدلی، ویوصیهم الوصایا، لا یضحک ولا یسمع صوته

(١) التَّنْوِيلُ : المَطَاءُ . (٢) م : ذَلِيلًا . وَالذُّلُولُ : السَّهْلُ الْإِنْقِيَادُ . (٣) م : م : أَمْسَى .
(٤) مَتَبُولًا : مَقْطُوعًا . (٥) د : قَبِيحَانِ وَالتَّصْحِيحُ هُنَّ م . (٦) م : وَتَزُولًا .

في الأسواق، يفتح العيون العور، والآذان الصم، ويحيى القلوب الغلف، وأعطيه ما لم أعط أحدا، يسبح بحمد الله حمدا جديدا، ويأتى من أقصى الأرض، يفرح البرية، وسكانها يهللون لله على كل مشرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهونور الله الذى لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفيه. هذه ترجمة السريانيين، وترجمة اليونانيين: على كتفه علامة النبوة، وقوله يسفح هو محمد (ﷺ) بلسان السريانى، والسفح عندهم: الحمد.

* * *

جَعَلُوا الْكَرَامَةَ لِلَّهِ فَأَكْرَمُوا	فَاللَّهُ يَجْزِي بِالْجَمِيلِ جَمِيلًا
وَلِبَيْتِهِ الْحَرَمِ الْحَرَامِ طَرِيقُهُ	يَتَلَو رَعِيلَ الْمُخْلِصِينَ رَعِيلًا
لَا تَخْطُرُ الْأَرْجَاسُ فِيهِ وَلَا يَرَى	مُخْطَاطُهُمْ فِي أَرْضِهِ تَنْقِيلًا
كَتِفَاهُ بَيْنَهُمَا عَلَامَةُ مُلْكِهِ	لِلَّهِ مُلْكٌ لَا يَزَالُ أَثِمًا
مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ	مِنْهُ يَحْسُنْ عِنَايَةً مَشْمُولًا
هُوَ رَاكِبُ الْجَمَلِ الَّذِي سَقَطَتْ بِهِ	أَصْنَامُ بَابِلَ قَدْ أَتَاكَ دَلِيلًا ^(١)

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شفعيا عليه السلام: أتت أيام الاعتقاد، أتت أيام الكمال، ثم قال: لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذى تسمونه ضالا هو صاحب النبوة، تقرأون ذلك على كثرة

ذنوبكم وعظم فجوركم . ومن كتاب شَعْيَا : قيل لى قم فانظر ما ترى فأخبر به ، فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها . ومن كتاب شَعْيَا : لأرفعنّ علما بجميع أهل الأرض يظفروهم فى أقاصى البلاد ، فإذا هم سراع يأتون ، يريد به النبى صلى الله عليه وسلم ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وحجهم البيت الحرام من أقاصى الأرض .

ومن كتاب شَعْيَا عليه السلام يصف أمة النبى (ﷺ) : يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان ، ليهزموا بين سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة : إشارة لانهمزام العرب ببدر ، ثم آمنوا بالنبى (ﷺ) فداسوا به الأمم كدياس البيادر .

* * *

وَالْعَرَسُ فِي الْبَدْوِ الْمَشَارِ لِفَضْلِهِ ^(١) إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهُ فَسَلْ حَزَقِيلَا (١)
 غُرِسَتْ بِأَرْضِ الْبَدْوِ مِنْهُ دَوْحَةٌ لَمْ تَخْشَ مِنْ عَطَشِ الْفَلَاةِ ذُبُولَا
 فَأَتَمَّتْكَ فَاضِلَةَ الْفُصُوفِ وَأَخْرَجَتْ نَارًا لِمَا عَرَسَ الْيَهُودُ أَكُولَا
 ذَهَبَتْ بِكَرْمَةٍ ^(٢) قَوْمٌ سَوَاءٌ ذُلَّتْ بِيَدِ الْغُرُورِ قُطُوفُهَا تَذَلِيلَا
 وَسَلُوا الْمَلَايِكَةَ الَّتِي قَدْ أَيْدَتْ ^(٣) قَيْدَارَ تُبْدِي الْعِلَّةَ الْمَعْلُولَا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) بشارة حزقيل النبى عليه السلام بمحمد (ﷺ) : فن ذلك قصة ذكر فيها ظهور اليهود

وكفرانهم النعمة ، فشبههم بالكربة ، ثم قال : إني بلوت تلك الكربة : إن قلت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ، فخرقت السماء ، فعند ذلك غرس غرسته في البدو ، أو في الأرض المهملّة العطشى ، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار ، فأكلت تلك الكربة ، حتى لم يوجد فيها قضيب .

ومن كلام حزقيل إخبارا عن الله تعالى : إني مؤيد قيثار بالملائكة ، وقيدار هو ابن إسماعيل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

وَسَلَّمَ حَبَقُوقَ الْمُصْرَحَ بِاسْمِهِ وَبَوَصَفِهِ وَكَفَى بِهِ مَسْئُولًا^(١)
إِذَا أَوْصَلَ الْقَوْلَ الصَّرِيحَ بِذِكْرِهِ لِلسَّامِعِينَ فَأَحْسَنَ التَّوَصُّيْلَا
وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحَدٍ أَصْبَحَتْ وَبِنُورِهِ عَرَضًا تُضِيءُ وَطُولَا
رَوَيْتُ سِهَامَ مُحَمَّدٍ بِقِسِيَةٍ وَغَدَايَا مِنْ نَاضَلَتْ مَنُضُولَا

* * *

[تعليق الناظم] :

من كتاب^(٢) حبقوق النبي (ع) يبشر رسول الله (ص) : جاء الله من تبيان ، وظهر قدس على جبال فاران ، وامتلات الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملك الأرض بيمينه ، وأضاءت الأرض بنوره ، وحمّت خيله في البحر ، وملك رقاب الأمم . ومن صفح حبقوق : يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء . ومن كلامه : إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجبل (أو قال راكب الجبل) تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد . وفرحوا وسيروا في الأرض إلى صهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة

(١) د : وسلاوا وعده عن م . (٢) رجعتا إلى سفر حبقوق فلم نجد هذا الكلام .

التي أعطاهم الله في الأيام الأخيرة ؛ أمة جديدة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض ، وهذا تصريح لا يحتاج إلى تفسير .

* * *

وَأَسْمَعْ يَرُؤُيَا بُخْتَنَصَرَ وَالتَّمِيسَ مِنْ دَانِيَالَ لَهَا إِذْنَ تَأْوِيلًا
وَسَلَوْهُ كَمْ تَمْتُدُّ دَعْوَةَ بَاطِلٍ لِنُزِيحِ عِلَّةٍ مُبْطِلٍ وَتُزِيلًا

* * *

[تعليق الناظم] :

كان بختنصر قد رأى رؤيا^(١) ، فأحضر دانيال النبي (ع) وسأله أن يخبره عن منامة رآها وتأويلها ، فقال له : رأيت صنما بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك ، إذ دقه الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم ، فطحنه ، حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ، ثم إن الحجر ربا وعظم ، حتى ملأ الأرض كلها ، فقال له بختنصر : صدقت ، فأخبرني بتأويلها ، فقال له دانيال : أما الصنم فأتم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ فالرأس من الذهب : أنت أيها الملك ، (والفضة : ابنك من بعدك ، والنحاس : الروم ، والحديد : الفرس ، والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما) اسرأتان باليمن والشام ، والحجر : هو دين نبي وملك أبدي ، يكون في آخر الزمان ، يغلب الأمم كلها ، ثم يعظم ، حتى يملأ الأرض كلها ، كما ملأها ذلك الحجر^(٢) .

وفي صحف دانيال (ع) وقد بعث الكذابين ، فقال : لا تتم دعوتهم ، ولا يتم قربانهم ، وأقسم الرب بمساعدته أن لا يظهر الباطل ، ولا يقوم كاذب . ليسرع كاذب ، دعوة الرب ثلاثون سنة ، وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

* * *

وَأَرَمَ^(١) الْعِدَا بَبْشَائِرٍ عَنْ أَرَمِيَا إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنَانِهِ مَتَّبُولًا
 إِذْ قَالَ قَدْ قَدَّسْتُهُ وَعَصَمْتُهُ وَجَعَلْتُ لِلْأَجْناسِ مِنْهُ رَسُولًا
 وَجَعَلْتُ تَقْدِيرِي^(٢) قُبَيْلَ وَجُودِهِ وَعَدَا عَلَى كِبَعْنِهِ مَفْعُولًا^(٣)
 وَحَدِيثُ مَكَّةَ قَدْ رَوَاهُ مُطَوَّلًا شَعِيًا فَخْذُهُ وَجَانِبِ التَّطَوُّيلِ
 إِذْ رَاحَ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّرًا بِالنَّسْلِ مِنْهَا عَاقِرًا مَعْضُولًا
 وَتَشَرَّفَتْ بِاسْمِهِ جَدِيدُهَا فَادْعُهَا حَرَمَ الْإِلَهِ بَلَفَتْ مِنْهُ السُّوْلَا
 فَتَنَبَّهَتْ بَعْدَ الْحَوْلِ وَكَلَّتْ أَبْوَابُهَا وَسُقُوفُهَا تَكْلِيلًا

[تعليق الناظم] :

من كتاب^(٤) إرميا قوله : قبل أن أخلقك فقد عصمتك ، من قبل أن أصورك في البطن قدستك وجعلتك نبيا للأجناس . هذه بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يبعث للأجناس غيره .

وفي الإنجيل من كلام المسيح لم أبعث إلى الأجناس ولكن إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل . وقال للحواريين : لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن احضروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل .

(١) د : وأت الددا ببشار عن أرميا إذ كف نبل كنانه متبولا وهذه رواية م . ومتبولا : مقطوعا . (٢) د : تقديسه والتصحيح عن م . (٣) م : مشولا . (٤) الذي في سفر إرميا الإصحاح الأول هو : « قبلما صورتك - والخطاب من الله لارما - في البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبيا للشعوب » .

وَنَأَتْ عَنِ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يَدْتَنِي خِلَاضِهِ شَيْبُ الزَّمَانِ نَصُولًا^(١)
 حَرَّمُ عَلَى حَمَلِ السَّلَاحِ مُحَرَّمُ فَكَأَنَّمَا يَسْقِي السُّيُوفُ قُلُولا
 وَتَخَالُ مِنْ تَخْرِيمِ حُرْمَتِهِ الْعِدَا عَزْلًا وَإِنْ لَبِسُوا السَّلَاحَ وَمِيلًا^(٢)
 لَمْ يَتَّخِذْ بَيْتٌ سِوَاهُ قِبْلَةً فَازْدَدَ بِذَلِكَ لِمَا أَقُولُ قَبُولًا
 وَبَنُو نَبَايَتٍ لَمْ تَزَلْ خُدَامُهَا لَا تَبْتَغِي عَنْهَا لَهُمْ تَحْوِيلًا
 جُمِعَتْ لَهُ أَغْنَامُ قَيْدَارَ الَّتِي قَدْ كَانَ مِنْهَا ذِمُّ إِسْمَاعِيلَ
 فَنَمَتْ وَأَمِنْ خَوْفُهَا وَعَدُوُّهَا قَدْ بَاتَ مِنْهَا خَائِفًا مَهْزُولًا



[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعبيًا يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله : فقد أقسمت نفسي كقسمي أيام نوح :
 لأغرqn الأرض بالطوفان . كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولأبين فضلك ، وأن الجبال
 تزول ، والقلاع تنحط ، ورحمتي عليك لا تزول ، يامسكينة يامضطهدة ، مبانيك بالحجارة ، وتربتك
 بالجوهر ، وملكتك بالمؤلؤ ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك . وتبعدين من الظلم فلا تخافين .
 وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك . وكل لسان يقوم معك بالخصومة . ويسميك الله اسما
 جديدا . فقولوا واشرفي ، فإنه قد دنا نورك ، ووقار الله عليك . انظري بعينك فإنهم مجتمعون
 حولك ، يأتون بنيك وبناتك عدوا ، حينئذ تشرقين وترهرين ، ويخاف عدوك ، ويشبع قلبك .
 وكل غنم قيدار تجتمع إليك . وسادات نبايت يخدمونك ، وتفتح أبوابك دائما بالليل والنهار ،
 ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب . فهذا خطاب لمكة ، وقيدار بن إسماعيل .
 والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب حرم الله . وكل سلاح
 يصنعه صانع لا يعمل فيك ، إشارة إلى أمن الحرم . وقوله غنم قيدار تصريح بالهدى المجلوب إليها

(١) نصولا : من نصل أى خرج من الخطاب . (٢) ميلا : الأميل الذى لا سلاح معه .

في الحج والعمرة . وسادات نبايت يخدمونك : يعنى سدنة الكعبة ، وهم من ولد نبايت بن قيدار ابن إسماعيل ، واتخذها قبلة : غاية التصريح .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر: قومي فأضيئي، فإنه قد دنا ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض، وعليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تحيى الشعوب والملوك، ضوءك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فانظري إلى الجميع يتحزون ويأتون إليك عن بعد هنالك، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه يأتيك أقوياء الشعوب، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب، والكومان يحملونه بتسييح الرب، وجميع غنم قيدار تجتمع إليك . هذا قول الرب القوى .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر افرحى واجهرى وانطقى بالتسييح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى، إشارة إلى مكة فإنها عاقر، لأنها بواد غير ذى زرع، ولم يخرج منها نبى قبل ذلك غير إسماعيل، ولم يكبر ولد بها .

* * *

وَكَلَامُ شَمْعُونَ النَّبِيِّ تَخَالَهُ	لِكَلَامِ مُوسَى قَدْ أَتَى تَذْيِيلاً
وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ عَلَى عِلَائِهَا	نَطَقَتْ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَعْلِيلاً
لَمْ يَجْهَلُوهُ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُ	أَبَقَتْ حُقُودًا عِنْدَهُمْ وَذُحُولًا ^(١)
فَاسْمَعْ كَلَامَهُمْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَى	مَآخِرَفُوا مِنْ كُتُبِهِمْ تَعْوِيلاً
لَوْلَا اسْتِحْجَاتُهُمْ لَمَّا أَلْفَيْتَنِي	لَكَ بِالدَّلِيلِ عَلَى الْغَرِيمِ مُحْيِيلاً
أَوْ قَدْ جَهِلْتَ مِنَ الْحَدِيثِ رِوَايَةً	أَمْ قَدْ نَسِيتَ مِنَ الْكِتَابِ نَزْوَلاً
فَانْزُكْ جِدَالَ أَخِي الضَّلَالِ وَلَا تَكُنْ	بِمِرَاءٍ مَنْ لَا يَهْتَدِي مَسْغُولاً
مَالِي أَجَادِلُ فِيهِ كُلِّ أَخِي عَمَى	كَيْمَا أَقِيمَ عَلَى النَّهَارِ دَلِيلاً

واضرف إلى مدح النبي محمد
فإذا حصلت على الهدى بكتابيه
ذكرته بر ترقى إلى رتب العلا
يذكر المعارض ذا الفصاحة ألكنا
لا تنصين له حبال معانيد
فترى بكفة آفة محبولا^(١)
إن كنت تنكر معجزات محمد
يوما فكن عما جهلت سؤلا

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعيا (ع) : بحق أقول لكم ، لأعطين البادية كرامة لبنان وبيت المقدس ،
وتشقيها مياه وقصور وإيوان في الأرض الفلاة . وأجعل هناك طريقا حراما ، لا يمر به أنجاس الأمم ،
ويكون هناك طريق الخلف .

ومن صحف شعيا (ع) : ليفرح أهل البادية العطشى ، ولتبتهج البوادي والفلوات ، لأنها
ستعطى بأحمد محاسن لبنان ، وكثل حسن الدساكر والرياض .

ومن كلام شمعون : جاء الله بالبيان من جبال فاران ، وامتلات السموات والأرض من
تسبيحه وتسبيح أمته ، يعني حكى موسى في قوله جبال فاران .

* * *

شهدت له الرسل الكرام وأشفقوا
قارنت نور النيرين بنوره
من فاضل يستشهد المفضولا
قرايت نور النيرين ضئلا

وَنَسَبْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ لِفَضْلِهِ
وَأَرَانِي الزَّمَنُ الْجَوَادَ بِجُودِهِ
مَا زَالَ يَرْقَى فِي مَوَاهِبِ رَبِّهِ
حَتَّى انْتَنَى أَغْنَى الْوَرَى وَأَعَزَّهُمْ
بَثَّ الْفَضَائِلَ فِي الْوُجُودِ فَنَ يَرُدُّ
فَالشَّمْسُ لَا تُغْنِي الْكَوَاكِبُ جُلَّةً
سَلَّ عَالَمَ الْمَلَكُوتِ عَنْهُ فَخَيْرُ مَا
فَنِ الْمُخْبِرُ عَنْ عَلَا مِنْ دُونِهَا
فَلَوْ اسْتَمَدَّ الْعَالَمُونَ عُلُومَهُ
فَتَلَقَّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ أَنْوَارِهِ
فَلَرَّبَّمَا أَلْقَى عَلَيْكَ كِتَابَهُ
ذَلِكَ الَّذِي رَفَعَ الْهُدَى بِيَمِينِهِ
أَوْ مَا تَرَى الدِّينَ الْخَنِيفَ بِسَيْفِهِ
وَالشَّرَّكَ رِجْسٌ فِي الْأَنَامِ وَخَيْرُ مَا
دَاجَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتُهُ الشَّقْدَيْنِ حَتَّى ظُنَّ إِسْرَافِيلاً
لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُخْفِيهِمْ
تَحْدُو عَزَائِمُهُ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
يُهْدَى إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ اتَّقَى
وَيَظْلُ يُهْدَى لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ

فَلَسَبْتُ مِنْهُ إِلَى الْكَثِيرِ قَلِيلاً
لَمَّا وَزَنْتُ بِهِ الزَّمَانَ بِخِيَلَا
وَيَنَالُ فَضْلاً مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلاً
يَنْقَادُ مُخْتِجاً إِلَيْهِ ذَلِيلاً
فَضْلاً يَزِدُّهُ بِفَضْلِهِ تَفْضِيلاً
فِي الْفَضْلِ مَغْنَاهَا وَلَا تَقْصِيلاً
سَأَلَ الْخَبِيرُ عَنِ الْجَلِيلِ جَلِيلاً
ثَمَّتِ الْبُرَاقُ وَأَخْرَجَتْ جِبْرِيلَا
مَدَسَّهُمُ الْقَطَرَاتُ مِنْهُ سَيُولَا
إِنْ كَانَ رَأَيْكَ فِي الْفَلَاحِ أَصِيلاً
قَوْلَا مِنْ السَّرِّ الْمُصُونِ ثَقِيلاً
عَلَمًا وَجَرَدَ صَارِمًا مَصْقُولَا
جَمَلَ الطُّهُورِ لَهُ دَمًا مَطْلُولَا^(١)
أَلْفَيْتُهُ بِدَمِ الْعِدَا مَفْسُولَا
أَبْدَأَ كَمَا يَدْعُو الطَّيِّبُ عَلِيلاً
تَخَذَتْ عَزَائِمُهُ الْفَضَاءَ سَبِيلاً
وَعَدَا بِنُورِ كِتَابِهِ مَكْحُولَا
مِنْ عَصَى بَعْدَ الْقَتِيلِ قَتِيلاً

حتى يقول الناس أنتَبَ مالِكًا
 فاسْمَعْ شَمَائِلُهُ الَّتِي ذِكْرِي لَهَا
 مَنْ خَلَقَهُ الْقُرْآنُ جَلَّ نَافُوهُ
 وَإِذَا أَنْتَ آيَاتُهُ بِمَدِيحِهِ
 إِنَّ أَمْرًا مُتَبَتِّلًا بِدَنَائِهِ
 إِنِّي لَا أُورِدُ ذِكْرَهُ لِنِعْمَتِي
 وَالنَّبِيلُ يُذَكِّرُنِي كَرِيمَ بَنَانِهِ
 مَنْ لِي بِأَنِي مِنْ بَنَانِ مُحَمَّدٍ
 مِنْ رَاحَةٍ هِيَ فِي السَّمَاحَةِ كَوْنُهُ
 سَارَتْ بِطَاعَتِهَا السَّحَابُ كَأَنَّمَا
 أَنَّى دَعَا وَأَشَارَ مُبْتَهَلًا بِهَا
 وَأَظَنُّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ إِفْلَاحُهُ
 وَكَمْ اشْتَكَيْتَ بَلَدَ أَذَاهُ فَالْبَيْتُ
 يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَلَمْ يَكُنْ
 إِذْ قَامَ عَمَكَ فِي الْوَرَى مُسْتَسْقِيًّا
 وَرَفَعْتَ عَامَ الْفِيلِ عَنْهُمْ فِتْنَةً
 بِسِحَابِ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ الَّتِي
 فَفَدَوْكَ مَوْلُودًا وَتَيْتَ نَفْسَهُمْ
 حَتَّى إِذَا مَا قُمْتَ فِيهِمْ مُنْذِرًا
 بِحُسَامِهِ وَأَرَاخَ عِزْرَانِيَا
 قَدْ كَادَ تَحْسِبُهُ الْقَوْلُ شَمُولًا^(١)
 عَنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَمْلُولا
 رَتَلْتُ مِنْهَا ذِكْرَهُ تَرْتِيلا
 مُتَبَتِّلٌ لِلَّهِ تَبْتِيلا^(٢)
 فَإِخَالُ أَنِي قَدْ وَرَدْتُ النَّيْلَا
 فَأُطِيلُ مِنْ شَوْقِي لَهُ التَّقْيِيلَا
 بِالْأَمْرِ نِلْتُ الْمَنْهَلَ الْمَعْمُولَا
 لَكِنَّ وَارِدَهَا يَزِيدُ غَلِيلَا^(٣)
 أَمَرْتُ بِمَا تَخْتَارُ مِيكَائِيلَا
 لِمِيَاهِ مُزْنٍ مَا يَزَالُ هَطُولَا
 لَا أَتَى بِسَيْلٍ مَا يُصِيبُ مَسِيلَا
 بِدُعَائِهِ مِنْ صَحْوَةٍ إِكْلِيلَا
 طِفْلًا لِضُرِّ الْعَالَمِينَ مُزِيلَا
 كَادَتْ تَجْرُ عَلَى الْبِطَاحِ ذُيُولَا
 أَلْفَيْتَ فِيهَا التَّابِعِينَ الْفِيلَا
 جَادَتْهُمْ مَطَرُ الرَّدَى سَجِيلَا
 شِدْبًا وَشُبَانًا مَعًا وَكُهُولَا
 أَبَدُوا إِلَيْكَ عَدَاوَةَ وَذُحُولَا

(١) شَمَائِلُهُ : خَلْقُهُ . شَمُولًا : خَمْرًا . (٢) مُتَبَتِّلٌ لِلَّهِ : مُتَبَتِّلٌ بِدَنَائِهِ : انْقَطَعَ لِدَعَايِهِ ، وَأَخْلَصَ فِيهِ .

(٣) التَّقْيِيلُ : الْعَطَشُ .

فَلَقِيَهُمْ فَرَدًّا بِعِزِّ مَا آتَنِي يَوْمًا وَحُسْنِ تَصَرُّعٍ مَا عِيَلَا
وَوَكَلْتُ أَمْرَكَ لِلْإِلَهِ وَيَاهَا نِقَّةً بِنَصْرِ مَنْ اتَّخَذَتْ وَكِيلَا
وَأُطَلْتُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّكَ سُخْطَهُمْ فَجَرَعْتَ مِنْهُمْ عِلْقَمًا مَغْضُولَا
وَوَطَّقْتَ يَلْقَاكَ الصَّدِيقُ مُعَادِيَا وَالسُّلْمُ حَرَبًا وَالنَّصِيرُ خَذُولَا
وَدَعَوْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْهُدَى وَهَزَزْتَ فِيهِمْ صَارِمًا مَسْئُولَا
وَأَقَمْتَ ذَاكَ الْعَضْبَ فِيهِمْ قَاضِيَا وَنَصَبْتَ تِلْكَ الْبَيِّنَاتِ عُدُولَا^(١)
فَطَفَّقَتْ لَا تَنْفُكُ تَتْلُو آيَةً فِيهِمْ وَتَحْسِمُ بِالْحُسَامِ تَلِيلَا^(٢)
حَتَّى قَضَى بِالنَّصْرِ دِينَكَ دِينُهُ وَغَدَا لِدِينِ الْكَافِرِينَ مُزِيلَا
وَعَنْتَ لِسَطَوَتِكَ الْمُلُوكُ وَلَمْ تَزَلْ بَرًّا رَحِيمًا بِالضَّعِيفِ وَضُولَا
لَمْ تَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فِي أَمْرٍ وَلَمْ تَمْلِكْ طِبَاعَكَ عَادَةً فَتَحُولَا
اللَّهُ أُعْطِيَ الْمُصْطَفَى خُلُقًا عَلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَخَوَافِهِ تَجْبُولَا
عَمَرَ الْبَرِيَّةِ عَدْلُهُ فَصَدِيقُهُ وَعَدُوُّهُ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلَا^(٣)
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حِفْظَ وَلِيِّهِ خَرَجَ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ مَعَزُولَا
عُرِضَتْ عَلَيْهِ جِبَالُ مَكَّةَ عَسْجَدًا فَأَبَى لِفَاقَتِهِ وَكَانَ مُعِيلَا
رَكِبَ الْحِمَارَ تَوَاضَعًا مِنْ بَعْدِ مَا رَكِبَ الْبَرَاقَ السَّابِقَ الْهُذُولَا^(٤)
أَمَعْنِي أَنِّي أَطِيلُ مَدِيحَهُ مَنْ عَدَّ مَوْجَ الْبَحْرِ عَدًّا طَوِيلَا
إِنِّي تَرَكْتُ مِنَ الْكَلَامِ نُحَالَهُ وَأَخَذْتُ مِنْهُ لُبَابَهُ الْمُنْخُولَا
مَاذَا عَلَى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدَانِحِ فِيهِ بِجَبَلٍ مَوَدَّةٍ مَوْصُولَا
قَيْدَتُهُ بِالنَّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ سَبَقَ الْجِيَادَ إِلَى الْمَدَى مَشْكُولَا^(٥)

(١) المضب : السيف القاطع . (٢) تليلا : عفا .

(٣) فتيل : الفتل : حبل دقيق من ليف ، والسحاة التي في شق النواة .

(٤) الهذولا : العلويل الصلب والريع .

(٥) مشكولا : يقال شكل الدابة : أى قيدها . وشكل الكتابة ضبطها بعلامات الإعراب .

وَأَضَاءَ الْأَيَّامِ مِنْ أَنْوَارِهِ
إِنِّي أَمَرْتُ قَلْبِي يُحِبُّ مُحَمَّدًا
أَحِبَّهُ وَأَمَلْتُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ
بِالْيَتْنَى مِنْ مَعَشَرٍ شَهِدُوا الْوَعَى
فَأَقُومَ عَنْهُ بِمَقُولٍ وَبِصَارِمٍ
طَوْرًا بِقَافِيَةِ يُرِيكَ نَبَاتُهَا
وَبِضْرَبَةٍ يَدْعُ لِلدَّجَجِ وَتَرُهَا
وَبِطَعْنَةٍ جَلَّتِ السَّنَانُ فَثَلَّتْ
فِي مَوْقِفٍ غَشَى الْأَحَاطُ فَلَا بَرَى
فَرَشَفْتُ نَغْرَ الْمَوْتِ فِيهِ أَشْنَبًا
وَأَخْلِيلُ تَسْبَحُ فِي الدَّمَاءِ وَتَنْقَى
فَاطِرَبُ إِذَا غَشَى الْحَدِيدُ فَخَيْرُ مَا
تَالَهُ يُثْنَى الْقَلْبُ عَنْهُ مَا ثَنَى
أَبْضُنُّ عَنْهُ بِمَالِهِ وَبِنَفْسِهِ
فَلَا فُطْعَنَ حِبَالُ تَسْوِيفِي الَّتِي
وَلَا مُنْعَنَ الْعَيْنِ فِيهِ مَنَامَهَا
وَلَا زَمِينَ لَهُ الْفَجَاجُ بِضُمِّ
مِنْ كُلِّ دَامِيَةِ الْأَيَّامِ زِدْتُهَا
سَارَتْ تَقِيسُ ذِرَاعُهَا سَقْفَ الْقَلَا

فَاسْتَصَحَبَتْ غُرًّا بِهَا وَحُجُولَا
وَيَلُومُ فِيهِ لَانَّمَا وَعَدُولَا
لَيْسَ الْمَحِبُّ لِمَنْ يُحِبُّ مَلُولَا
مَعَهُ زَمَانًا وَالْكِفَاحُ طَوِيلَا
أَبَدًا قَتُولَا فِي رِضَاهُ فَعُولَا
كَفَّ الرَّدَى عَنْ عَرْضِهِ مَشُولَا
شَفَعًا كَمَا شَاءَ الرَّدَى مَجْدُولَا^(١)
عَيْنًا لِعَيْنِكَ فِي الْكَمِيِّ كَحِيلَا^(٢)
لَحَظُ بِهِ إِلَّا قَنَاءَ مِيلَا^(٣)
وَلَهَمْتُ خَدَّ الْمَشْرِفِ أُسَيْلَا^(٤)
أَيْدِي الْكُمَاءِ مِنَ النَّجِيعِ وَحُولَا^(٥)
سَمِعَ لِلشُّوقِ إِلَى النَّزَالِ صَلِيلَا
خَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَامِرًا وَسَلُولَا
صَبَّ يَرَى لَهَا الْقَوَاتِ حُصُولَا
مَنَعَتْ سِوَايَ إِلَى حِمَاهُ وَصُولَا
وَلَا جَعَلَنَّ لَهَا الشُّهَادَ خَلِيلَا
كَالْنَبْلِ سَبَقًا وَالْقِسَى نُحُولَا^(٦)
عَنْقًا إِذَا كَلَفَتْهَا التَّمْهِيلَا^(٧)
فَكَأَنَّمَا قَاسَتْ بِمِيلِ مِيلَا

- (١) مجدولا : مصروعاً على الأرض . (٢) الكمي : الشجاع . والكحيل الذي وقع في شدة
(٣) ميلا : مائلة للضرب . (٤) أشنب : الشنب ماء ورقة وعدوية في الأسنان . أسيل : طويلاً حسناً .
(٥) النجيع : الدم الأسود . (٦) بضمر : بجياد غامرة .
(٧) الأيطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . يريد أدامها طول السير .

حَتَّى تَرِيكَ الْحَرْفَ مِنْ صَلْدِ الصَّغَا
 وَكَأَمَّا ضَرَبْتَ بِصَخْرٍ مِثْلَهُ
 قَطَعْتَ حَبَالَ الْبُعْدِ لَمَّا أَعْمَلْتَ
 حَتَّى أَضْمَّ بِطَيْبَةِ الشَّمْلِ الَّذِي
 وَأَرْجَحَ مِنْ تَعَبِ الْخَطَايَا ذِمَّةً
 وَيُسَّرَّ بِالْعَفْرَانِ قَلْبٌ لَمْ يَزَلْ
 وَأَعُودَ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَنْوَلًا
 وَإِذَا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَإِنِّي
 يَارَبِّ هَبْنَا لِلنَّبِيِّ وَهَبْ لَنَا
 وَاسْتُرْ عَلَيْنَا مَا عَلِمْتَ فَلَمْ يُطِقْ
 وَاعْطِفْ عَلَى الْخَلْقِ الضَّعِيفِ إِذَا رَأَى
 يَوْمٌ تَضِلُّ بِهِ الْعُقُولُ فَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ خَوْفًا عِنْدَهُ وَذَهُولًا
 وَيُسِيرُ فِيهِ الْجَبْرُمُونَ نَدَامَةً
 وَيَظَلُّ مُرْتَادُ الْخِلَاصِ مُقَلِّبًا
 لِتَنَالِ مِنَ ظَمَأِ الْقِيَامَةِ نَفْسُهُ
 وَاجْعَلْ لَنَا اللَّهُمَّ جَاهُ مُحَمَّدٍ
 وَاصْرِفْ بِهِ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
 واجْعَلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا مِنْهَلَةً
 مَا هَزَّتِ الْقَضْبُ النَّسِيمُ وَرَجَعَتْ
 أَخْفَافُهَا بِدِمَائِهَا مَشْكُولًا^(١)
 مِنْ مَيْسِمٍ فَكَفَانَا تَقْتِيلًا
 شَوْقًا لَطِيبَةً سَاعِدًا مَفْتُولًا
 أَنْضَى إِلَيْهَا الْعَرِمَسَ الشَّمْلِيلَا^(٢)
 ثَقَلَتْ عَلَيْهَا لِلذُّنُوبِ حُمُولًا
 حِينًا يَطُولُ إِسَاءَتِي مَشْكُولًا^(٣)
 وَكَفَى بِفَضْلٍ مِنْهُ لِي تَنَوِيلًا
 رَاجٍ لَهَا بِمُحَمَّدٍ تَسْهِيلًا
 مَا سَوَّلَتْهُ نَفْسُنَا تَنَوِيلًا^(٤)
 مِنَّا أَمْرًا خَطِيبَةً تَخْجِيلًا
 هَوْلَ الْمَعَادِ فَأُظْهِرَ التَّهْوِيلًا
 حِينًا وَحِينًا يُظْهِرُونَ تَهْوِيلًا
 فِي الشَّافِعِينَ لِحَافَتِهِ وَتُجْبِيلًا^(٥)
 رِيًّا وَمِنْ حَرِّ السَّمِيرِ مَقِيلًا
 فَرَطًا تَبَلَّغْنَا بِهِ الْمَأْمُولَا^(٦)
 كَرَمًا وَكُفَّ ضِرَامَهَا الْمَشْمُولَا
 لَمْ تُلَفِّ دُونَ ضَرْبِهِ تَهْلِيلًا
 وَرَقَاهُ فِي قَتَنِ الْأَرَاكِ هَدِيلًا^(٧)

(١) الصلد : الصلب الأملس . الصفا : الحجارة .

(٢) أنضى : أمزل . العرمس : الناقة الصلبة . الشمليللا : السريعة .

(٣) مشكولا : مقيدا . (٤) سولت : زينت . (٥) مرتاد : طالب .

(٦) فرطا : الفرط ما تقدم من أجر وعمل . (٧) رجعت : رددت ورقاه : نوح من الحمام . الفتن :

الفصن . الأراك : شجر من ثفل الأعصان . هديلا : غناء .

وقال ^(١) رضى الله عنه ، وتسمى « ذخر المعاد ، فى وزن بانت سعاد » :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول
فى كل يوم ترجى أن تتوب غدا وعقد عزمك بالتسوية مخلول
أما يرى لك فيما سر من عمل يوما نشاط وعمما ساء تكسيل
فجرّد العزم إن الموت صارمه مجرد بيد الآمال مسلول
واقطع حبال الأمانى التى انصلت فأما حبها بالزور موصول
أنفقت عمرك فى مال تحصله وما على غير إنهم منك تحصيل
ورحت تعمّر دارا لا بقاء لها وأنت عنها وإن عمرت مفعول
جاء النذير فشمّر للمسير بلا مهل فليس مع الإنذار تمهيل
وصن مشيك عن فعل شأن به فكل ذى صبوة بالشيب معدول
لا تنكركنه وفى القودين قد طلعت منه الثريا وفوق الرأس إكليل
فإن أرواحنا مثل النجوم لها من المنية تسير وترحيل
وإن طالعها منّا وغار بها جيل يمر ويأتى بمده جيل
حتى إذا بعث الله العباد إلى يوم به الحكم بين الخلق مفصول
تبين الرّيح والخسران فى أمم تخالفت بيننا منها الأفاويل

(١) ت : وقال رضى الله عنه هذه القصيدة ، وتسمى وذخر المعاد ، فى معارضة بانت سعاد ، وهى فى مدح

النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى من بحر البسيط :

• إلى متى أنت باللذات مشغول •

إلى آخر القصيدة وهى مشهورة .

فَأَخْسَرُ النَّاسَ مَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ فِي طَبْعِهَا لِنُشُورِ الْخَلْقِ تَعْطِيلُ
وَأُمَّةٌ تَعْبُدُ الْأَوْثَانَ قَدْ نُصِبَتْ لَهَا التَّصَاوِيرُ يَوْمًا وَالتَّائِيلُ
وَأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعَجَلِ عَابِدَةٌ فَنَالَهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعْجِيلُ
وَأُمَّةٌ زَعَمَتْ أَنَّ الْمَسِيحَ لَهَا رَبُّ غَدَا وَهُوَ مَصْلُوبٌ وَمَقْتُولُ
فَنَلَّشَتْ وَاحِدًا فَرَدًّا نُوحِدُهُ وَلِلْبَصَائِرِ كَالْأَبْصَارِ تَخْيِيلُ
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قَالَ جَاحِدُهُ وَجَاحِدُ الْخَلْقِ عِنْدَ النَّصْرِ مَخْذُولُ
وَالْقَوَزُ فِي أُمَّةٍ ضَوْوُ الْوُضُوءِ لَهَا قَدْ زَانَمَا غُرُرٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ^(١)
تَظَلُّ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ بِهِ كَسَائِرِ الْكُتُبِ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ
فَالْكِتَابُ وَالرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ الْإِلَهِ أَتَتْ وَمِنْهُمْ فَاضِلٌ حَقًّا وَمَفْضُولُ
وَالْمُصْطَفَى خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ لَهُ عَلَى الرُّسُلِ تَرْجِيحٌ وَتَفْضِيلُ
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِسُنَّةٍ مَالَهَا فِي الْخَلْقِ تَحْوِيلُ
تَجَلُّ الْأَكْرَامِ وَاتَّقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ الطُّولُ^(٢) وَالطُّولُ
مَنْ كَمَلَ اللَّهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ فَلَمْ يَفْتَهُ عَلَى الْحَالَيْنِ تَكْمِيلُ
وَخَصَّهُ بِوَقَائِرٍ قَرَّ مِنْهُ لَهُ فِي أَنْفُسِ الْخَلْقِ تَعْظِيمٌ وَتَعْجِيلُ
بَادِيَ السَّكِينَةِ فِي مَخْطِئِهِ لُهُ رِضَا فَتَمَّ يَزَلْ وَهُوَ مَرْهُوبٌ وَمَأْمُولُ
يُقَابِلُ الْبِشْرَ مِنْهُ بِالْإِدَى خُلُقُ زَاكِ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَجْبُولُ
مِنْ آدَمَ وَلَحِينَ الْوَضْعِ جَوَاهِرُهُ الـ مَكْنُونُ فِي أَنْفُسِ الْأَصْدَافِ مَحْمُولُ
فَلِلْهُيَّةِ إِيْمَامٌ وَمُبْتَدَأٌ بِهِ وَلِلْفَخْرِ تَعْجِيلٌ وَتَأْجِيلُ

(١) الغرة : بياض في الوجه . يراد بالتعجيل : بياض في القوائم . (٢) الطول : المن والفضل .

أَتَتْ إِلَى النَّاسِ مِنْ آيَاتِهِ جُمْلٌ أَعْيَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْهُنَّ التَّفَاصِيلُ
 أَنْبَا سَطِيحٌ وَشِقٌّ وَابْنُ ذِي يَزْنٍ عَنْهُ وَقَسٌّ وَأَحْبَارٌ مَقَاوِيلُ^(١)
 وَعَنْهُ أَنْبَاءُ مُوسَى وَالْمَسِيحِ وَقَدْ أَصْغَتْ حَوَارِيَّهُ الْعُرُ الْبَهَائِلُ^(٢)
 بَأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْمُبَاحُ لَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ تَقْسِيمٌ وَتَنْفِيلُ^(٣)
 وَلَيْسَ أَعْدَلُ مِنْهُ الشَّاهِدُونَ لَهُ وَلَا بِأَعْلَمَ مِنْهُ إِنْ هُمْ سَيَلُوا
 وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ فَلَا حَرَجٌ إِنْ الْمَلَكُ عَنِ الدِّيْنَارِ مَسْئُولُ
 كَمْ آيَةٍ ظَهَرَتْ فِي حِينِ مَوْلِدِهِ بِهِ الْبَشَائِرُ مِنْهَا وَالْهَوَاوِيلُ^(٤)
 عُلُومٌ غَيْبٍ فَلَا الْأَرْصَادُ حَاكِمَةٌ وَلَا التَّقَاوِيمُ فِيهَا وَالتَّحَاوِيلُ^(٥)
 إِذِ الْهَوَاتِفُ وَالْأَنْوَارُ شَاهِدُهَا لَدَى الْمَسَامِعِ وَالْأَبْصَارِ مَقْبُولُ
 وَنَارُ فَارِسٍ أَضْحَتْ وَهِيَ خَامِدَةٌ وَهَرُّهُمْ جَائِدٌ وَالضَّرْحُ مَثْلُولُ^(٦)
 وَمُذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعَثُهُ دَهَى الشَّيَاطِينِ وَالْأَصْنَامِ تَجْدِيلُ^(٧)
 وَانْظُرْ سَمَاءَ غَدَتِ تَمْلُوءُهُ حَرَسًا كَأَنَّهَا الْبَيْتُ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ^(٨)

(١) سطحيح وشق : كاهنان . وسيف بن ذى يزن : أحد ملوك اليمن . وقس بن ساعدة : الخطيب المشهور .

والمقاول : جمع مقوال : وهو الفصحى القول .

(٢) الحواري : الناصر . وانقر : السادات . والبهائل : جمع بهلول : وهو السيد .

(٣) التنفيل : الإعطاء من الغنيمة .

(٤) التهاويل من الهول . والتهاويل أيضا : زينة النقوش والألوان المختلفة . ففي هذه الكلمة تورية .

(٥) الأرصاد : ما يستعمل لرصد الكواكب . والتقويم والتحاويل : من اصطلاحات المنجمين ، للاطلاع على

المنيبات ومعرفة الأوقات . (٦) الهواتف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه .

(٧) الصرح : القصر ، والمراد هنا إيوان كسرى . ومثلول : مهذوم ، من ثل بمعنى هدم .

(٨) جدله تجديلا : ألقاه على الجدالة مصروعا ، وهى الأرض .

فَرَدَّتِ الْجِنَّ عَنْ سَمْعِ ملائكةُ
 إِذْ رَدَّتِ الْبَشَرَ الطَّيْرُ الْأَبَائِلُ^(١)
 كُلُّ غَدَا وَلَهُ مِنْ جِنْسِهِ رَصَدٌ
 لِلْجِنَّ شُهْبٌ وَاللَّإِنْسَانِ سَجِيلٌ^(٢)
 لَوْ لَا نَبِيُّ الْهُدَى مَا كَانَ فِي فَلَائِكِ
 عَلَى الشَّيَاطِينِ لِلْأُمْلَاحِ تَوْكِيلٌ
 لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كُلُّ مُسْتَرْقٍ
 عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ مِنْهَا وَهُوَ مَعْزُولٌ^(٣)
 إِنْ رُمْتَ أَكْثَرَ آيَاتِ وَأَكْمَلَهَا
 كَفَاكَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلُ
 وَانْظُرْ فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
 وَلَا كَقَوْلٍ أَنَّى مِنْ عِنْدِهِ قِيلُ
 لَوْ يُسْتَطَاعُ لَهُ مِنْهُ لَجِءَ بِهِ
 اللَّهُ كَمْ أَفْحَمَتْ أَفْهَامَنَا حِكْمُ
 الْمُسْتَطَاعُ مِنْ الْأَعْمَالِ مَفْعُولُ
 يَهْدِي إِلَى كُلِّ رُشْدٍ حِينَ يَبْعَثُهُ
 مِنْهُ وَكَمْ أَعْجَزَ الْأَلْبَابَ تَأْوِيلُ
 تَزَادُ مِنْهُ عَلَى تَزَادِهِ مِقْدَةٌ^(٤) وَتَرْتِيلُ
 وَرَبَّمَا حَجَّهُ قَلْبُ بِهِ رَيْبُ
 إِلَى السَّامِعِ تَرْتِيبُ^(٥)
 مَا بَعْدَ آيَاتِهِ حَقٌّ لِمَتَّبِعِ
 وَرَبَّمَا حَجَّهُ قَلْبُ بِهِ رَيْبُ
 مَا بَعْدَ آيَاتِهِ حَقٌّ لِمَتَّبِعِ
 وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَحْمَةٌ بُعِثَتْ
 هُوَ الشَّفِيعُ إِذَا كَانَ الْمَادُ غَدَا
 فَمَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ مُعْتَمَدُ
 إِنْ أَمْرًا شَمِلَتْهُ مِنْ شَفَاعَتِهِ
 عِنَايَةُ لَا مَرُوءَ بِالْفَوْزِ مَشْمُولُ

(١) الأبايل : الجماعات ، قيل : لا واحد له من لفظه . (٢) الرصد : المرقب . والسجيل : حجارة .

(٣) تولت : استولت . وتولى : فر . (٤) الترتيل في القراءة : الترتيل والتبيين .

(٥) مع // شراب

(٥) مقة : الحبة .

وَمَا لَمْ يَمِزْ الْمَقْدَارَ تَنْوِيلُ	نَالَ الْمَقَامَ الَّذِي مَا نَالَهُ أَحَدٌ
وَمَا بِكُلِّ اجْتِهَادٍ يُدْرِكُ السُّوْلُ	وَأَدْرَكَ السُّوْلَ لَمَّا قَامَ مُجْتَهِدًا
مَا جَاَزَ حِينَ تَرْوُلِ الْوَحْيِ تَرْمِيلُ ^(١)	لَوْ أَنَّ كُلَّ عَلَاءٍ بِالسَّغَى مُكْتَسَبٌ
فَاعْلَمْ فَمَا مَوْضِعُ الْمُحِبُّوبِ بِمَجْهُولُ	أَعْلَى الْمَرَاتِبِ عِنْدَ اللَّهِ رُبَّنْتُهُ
وَحُقَّ مِنْهُ لَهُ مَتَوًى وَتَحْلِيلُ ^(٢)	مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى لَهُ نُزْلُ
لَيْلًا بُرَاقٌ يَبَارِي الْبَرَقَ هُذُلُولُ ^(٣)	مَرَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعَاد بِهِ
وَحَبْدًا حَالٌ وَضَلَّ عَنْهُ مَغْفُولُ	يَا حَبْدًا حَالٌ قُرْبٍ لَا أَكْفَيْفُهُ
أَتَتْ إِلَيْهِ وَسِعَتْهُ الْأَيْلُ مَسْدُولُ ^(٤)	وَكَمْ مَوَاهِبَ لَمْ تَذَرِ الْعِبَادُ بِهَا
بِهِ الْمَوَازِينُ مِنْهَا وَالْمَسْكَايِلُ	هَذَا هُوَ الْفَضْلُ لَا الدُّنْيَا وَمَارَجَحَتْ
فِي فُضَاهَا وَافَقَ الْمَقُولَ مَعْقُولُ	وَكَمْ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَيِّنَةٌ
مِنْ الْغَمَامَةِ أَنِّي سَارَ تَظْلِيلُ	نُورٌ فَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ يَرَى وَلَهُ
إِذَا مَتَى وَلَهُ فِي الصَّخْرِ تَوْحِيلُ ^(٥)	وَلَا يَرَى فِي الثَّرَى أَثَرٌ لِإِنْخِصِرُ
إِذْ نَالَهُ مِنْهُ بَعْدَ الْقُرْبِ تَرْمِيلُ ^(٦)	دَنَا إِلَيْهِ حَنِينُ الْجِدْعِ مِنْ شَفَفٍ
وَلَيْتَ حَظِّي مِنْ كَفَّيْهِ تَقْمِيلُ	فَلَيْتَ مِنْ وَجْهِهِ حَظِّي مُقَابَلَةٌ
لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَلِلْأَنْوَاءِ تَخْجِيلُ ^(٧)	بَيْضُ مَيَامِينُ يُسْتَسْقَى النِّعَامُ بِهَا
لِلْقُلِّ كَثْرٌ وَلِلتَّصَعُّبِ تَنْهِيلُ ^(٨)	مَا إِنْ يَزَالُ بِهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
وَاطْرَبَ إِذَا ذُكِرَتْ تِلْكَ لِأَفَاعِيلُ	فَاعْجَبْ لِأَفْعَالِهَا إِنْ كُنْتَ مُدْرِكَهَا

(١) ترميل : يقال زمه في نومه ، أى لقه . (٢) تحليل من الحلول .

(٣) الهذلول : الدريع الخفيف . (٤) المسدول : المرعى . (٥) الأخمص : باطن القدم .

(٦) ترميل : مفارقة . (٧) ميامين : جمع ميمون ، أى مبارك . (٨) النازلة : المصيبة والشدة .

كم عاودَ البرءَ من إغلالِهِ جَسَدًا يَلْعَسُهُ وَاسْتَبَانَ الْعَقْلَ مَحْبُولُ
 وَرَدَّ الْفَيْنِ فِي رِيٍّ وَفِي شَبِيعٍ إِذْ ضَاقَ بَانْتِنِ مَشْرُوبٌ وَمَأْكُولُ
 وَرَدَّ مَاءً وَنُورًا بَعْدَ مَازَهَبَا رِيْقٌ لَهُ بِكِلَا الْعَيْنَيْنِ مَتْفُولُ
 وَمَنْبَعُ الْمَاءِ عَذْبًا مِنْ أَصَابِعِهِ وَذَلِكَ صُنْعٌ بِهِ فِينَا جَرَى النَّيْلُ
 وَكَمْ دَعَا وَمُحْيَا الْأَرْضِ مُكْتَتِبُ ثُمَّ انْتَنَى وَلَهُ بِشْرٌ وَتَهْلِيلُ
 فَاصْبَحَ لِلْمَحَلِّ فِيهَا لَا مَحَلَّ لَهُ وَغَالِ ذِكْرَ الْغَلَا مِنْ خِصْبِهَا غُولُ^(١)
 فَيَا ظَرَابِ ضُرُوبٌ لِلْقَمَامِ كَمَا عَنِ الْبِنَاءِ عَزَالِيهَا مَعَارِيلُ^(٢)
 وَأَصْ مِنْ رَوْضِهَا جِيدُ الْوُجُودِ بِهِ مِنْ لَوْلُؤِ النُّورِ تَرْصِيعٌ وَتَسْكِيلُ^(٣)
 وَعَسْكَرٍ لَجِبٍ قَدْ لَجَّ فِي طَلَبِ لِفِرْزِهِ غَرَّةٌ بَأْسٌ وَتَرْعِيلُ^(٤)
 دَعَا نَزَالَ قَوَلِي وَالْبَوَارُ بِهِ مِنَ الصَّبَا وَالْحَصَى وَالرُّعْبِ مَزُولُ^(٥)
 وَغَيْرُ تَا حِينَ أَضْحَى الْغَارُ وَهُوَ بِهِ كَمَثَلِ قَلْبِي مَعْمُورٌ وَمَأْهُولُ
 كَأَنَّمَا الْمُصْطَفَى فِيهِ وَصَاحِبُهُ الصَّدِيقُ لَيْثَانِ قَدْ آوَاهَا غِيلُ
 وَجَلَّلَ الْغَارَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى وَهْنٍ فَيَا حَبْدَا نَسْجُ وَتَجْلِيلُ
 عَيْنَايَهُ ضَلَّ كَيْدُ الْمُشْرِكِينَ بِهَا وَمَا مَكَائِدُهُمْ إِلَّا الْأَصَالِيلُ

(١) القول : كل ما اغتال الإنسان .

(٣) الظراب جمع ظرب : وهي الراية الصغيرة . والعزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من القرية .

ومعاريل جمع مزول : أي أنها لا تمطر على البناء ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم حوالينا ولا علينا » .

(٢) آص : رجع . والجيد : العنق . (٤) لجج : تهادى . الرعلة : الكثير من العيال . والمراد

هنا : كثرة الجيش . (٥) مزول : نازل .

إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ هُمَا (١) كَانَ أَبْصَارُهُمْ مِنْ زَيْغِهَا حُولُ (١)
 إِنَّ يَنْقَطِعَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّةٌ سَفِهَتْ (٢) نَفْسُهَا فَلَهَا بِالْكَفْرِ تَعْلِيلُ (٢)
 فَإِنَّمَا الرُّسُلُ وَالْأُمَلَاكُ شَافِعُهَا (٣) لَوْضَلَةٍ مِنْهُ تَسْأَلُ وَتَطْفِيلُ (٣)
 مَا عَذَرُ مَنْ مَنَعَ التَّصَدِيقَ مَنْطِقُهُ (٤) وَقَدْ نَبَا مِنْهُ مَحْسُوسٌ وَمَعْقُولُ (٤)
 وَالذُّبُّ وَالْعَبْرُ وَالْمَوْلُودُ صَدَقَهُ (٥) وَالظُّبَى أَفْصَحَ نُطْقًا وَهُوَ مَحْبُولُ (٥)
 وَالْبَدْرُ بَادِرٌ مُنْشَقًّا بِدَعْوَتِهِ (٦) لَهُ كَمَا شُقَّ قَلْبٌ وَهُوَ مَتَبُولُ (٦)
 وَالنَّخْلُ أَمْرٌ فِي عَامٍ وَسُرٌّ بِهِ (٧) سَلْمَانُ إِذْ بَسَقَتْ مِنْهُ الْعَنَّاكِيلُ (٧)
 إِنَّ أَنْكَرَتَهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَلَى (٨) مَا بَيَّنَّتْ مِنْهُ تَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ (٨)
 فَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ فِي جُحُودِهِمْ (٩) لِلْكَفْرِ كُفْرٌ وَلِلتَّجْهِيلِ تَجْهِيلُ (٩)
 قُلْ لِلنَّصَارَى الْأَلَى سَاءَتْ مَقَالَتُهُمْ (١٠) فَهَا هِيَ غَيْرَ تَحْضِرِ الْجَهْلِ تَعْلِيلُ (١٠)
 مِنَ الْيَهُودِ اسْتَفَذْتُمْ ذَا الْجُحُودِ كَمَا (١١) مِنَ الْغُرَابِ اسْتَفَادَ الدَّقْنُ قَابِلُ (١١)
 فَإِنَّ عِنْدَكُمْ تَوْرَاهُمْ صَدَقَتْ (١٢) وَلَمْ تُصَدِّقْ لَكُمْ مِنْهُمْ أَنْجِيلُ (١٢)
 ظَلَمْتُمُونَا فَأَضْحَوْا ظَالِمِينَ لَكُمْ (١٣) وَذَلِكَ مِثْلُ قِصَاصٍ فِيهِ تَعْدِيلُ (١٣)
 مِنْكُمْ لَنَا وَلَكُمْ مِنْ بَعْضِكُمْ شُغْلُ (١٤) وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَسَاغِيلُ (١٤)
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَلَكِنْ صَدَّكُمْ حَسَدُ (١٥) أَنَا بِمَا جَاءَنَا قَوْمٌ مَقَابِيلُ (١٥)

- (١) زاغت الأبصار : تحولت عن موضعها . (٢) سفهت نفوسها : خسرت نفوسها . تعليل :
 من العلة وهي المرض . (٣) يقول إن الملائكة والرسل يتوسلون إلى النبي محمد طالين منه الشفاعة .
 (٤) المحبُول : المصطاد في الحباله ، وهي الشُّرك . (٥) قبله الحب : أي تيممه وذهب بعقله .
 (٦) بسقت النخل : بمعنى طالت . والعناكيل : جمع عنكبوت : وهو العنق الذي يحمل البلح .
 (٧) المقابيل : جمع مقبل من أقبل بمعنى عقل بعد حماقة .

أما عَرَفْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ مَعْرِفَةً الْإِبْنَاءِ لَكُنْكُمْ قَوْمٌ مَنَاقِيلُ^(١)
 هذا الذى كنتم تستفتحون به لولا اهتدأى منكم للرُّشْدِ ضَلِيلُ^(٢)
 فَلَا تُرْجُوا جَزِيلَ الْأَجْرِ مِنْ عَمَلٍ إِنَّ الرِّجَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ مَخْذُولُ
 تَوَدُّنُونَ بَرَقَ مِنْ جَهَالَتِكُمْ بِهِ انْتِفَاحٌ وَجِسْمٌ فِيهِ تَرْهِيلُ^(٣)
 مُوتُوا بَغِيظٌ كَمَا قَدْ مَاتَ قَبْلَكُمْ قَابِيلُ إِذْ قَرَّبَ الْقُرْبَانَ هَابِيلُ
 يَا خِبَا مَنْ رُوِيَ لِلنَّاسِ مَكْرُمَةٌ عَنْهُ وَفُضِّلَ تَحْرِيمٌ وَتَحْلِيلُ
 كَمْ قَدْ أَتَتْ عَنْكَ أَخْبَارُهُ مُحَبَّرَةٌ فِي حُسْنِهَا أَشْبَهَ التَّفْرِيعَ تَأْصِيلُ
 تَسْرَى إِلَى النَّفْسِ مِنْهَا كَمَا وَرَدَتْ أَنْفَاسُ وَرَدِ سَرَتْ وَالْوَرْدُ مُطْلُولُ
 مِنْ كُلِّ لَفْظٍ بَلِيغٌ رَاقٍ جَوْهَرُهُ كَأَنَّهُ السَّيْفُ مَاضٍ وَهُوَ مَصْفُولُ
 لَمْ تَبْقِ ذِكْرًا لِذِي نَطْقٍ فَصَاحَتُهُ وَهَلْ تُضِيءُ مَعَ الشَّمْسِ الْقَنَادِيلُ
 جَاهَدَتْ فِي اللَّهِ أَبْطَالَ الضَّلَالِ إِلَى أَنْ ظَلَّ لِلشَّرِكِ بِالْتَّوْحِيدِ تَبْطِيلُ
 شَكَا حُسَامِكَ مَا تَشْكُو جُوعُهُمْ فِيهِ فَفِيهِ مِنْهَا وَفِيهَا مِنْهُ تَقْلِيلُ
 لِلَّهِ يَوْمٌ حُنَيْنٍ حِينَ كَانَ بِهِ كَسَاعَةُ الْبَعْثِ تَهْوِيلُ وَتَطْوِيلُ
 وَيَوْمٌ أَقْبَلَتْ الْأَحْزَابُ وَانْهَزَمَتْ وَكَمْ خِبَا لَهَبُ الشَّرِكِ مَشْعُولُ
 جَاءُوا بِأَسْلَحَةٍ لَمْ تَحْمِ حَامِلَهَا إِنَّ الْكُفَّةَ إِذَا لَمْ يُنْصَرُوا مِيلُ^(٤)
 مِنْ بَعْدِ مَا زُلْزِلَتْ بِالشَّرِكِ أَبْنِيَّةُ وَانْبَتَّ حَبْلٌ بِأَيْدِي الرِّيبِ مَقْتُولُ

(١) مناكيل : من النكال ، وهو الهلاك .

(٢) الاستفتاح : الاستنصار . وكان اليهود يقولون للأَنْصَارِ سِيَّعَتْ ذِي فَتْنَتِهِ ، وَنَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَيْكُمْ ،

ولولا : للتخفيف كهلأ .

(٣) الترهيل : الانتفاخ . (٤) الميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت على الخيل .

وَوَظَنَ كُلُّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ بَأَنَّ مَوْعِدَهُ بِالنَّصْرِ مَمْطُولُ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَمْلًا كَأَ مُسَوِّمَةٍ لِبُؤْسِهَا مِنْ سَكِينَاتِ سَرَايِلُ^(١)
شَاكَ السَّلَاحُ فَاتَّشَكُّوا الْكِلَالَ وَمِنْ صُنِعِ الْإِلَهِ لَهَا نَسِجٌ وَتَأْتِيلُ^(٢)
مِنْ كُلِّ مَوْضُونَةٍ حَصْدَاءُ سَابِقَةٍ تَرُدُّ حَدَّ الْمَنَايَا وَهُوَ مَقُولُ
وَكُلٌّ أَتَرَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ بِهِ وَاللَّضْلَالَةِ تَعْدِيلُ وَتَمِيلُ
لَمْ تَبْقِ لِلشَّرِّكَ مِنْ قَلْبٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَّا غَدَاً وَهُوَ مَتَبُولُ وَمَتَبُولُ^(٣)
وَيَوْمٌ بَدَرٍ إِذِ الْإِسْلَامُ قَدْ طَلَعَتْ بِهِ بُدُورًا لَهَا بِالنَّصْرِ تَكِيلُ
سَيِّئَتْ بِمَا سَرَّنا الْكُفَّارُ مِنْهُ وَقَدْ أَفْنَى سَرَاتِهِمْ أَسْرُ وَتَقْتِيلُ
كَأَنَّمَا هُوَ عَرُوسٌ فِيهِ قَدْ جَلِيتْ عَلَى الظُّبَا وَالْقَنَا رُوسٌ مَقَاصِيلُ
وَالْخَلِيلُ تَرَقُّصُ زَهْوًا بِالْكَمَاةِ وَمَا غَيْرَ السِّیُوفِ بِأَيْدِيهِمْ مَنَادِيلُ
وَلَا مَهُورَ سِوَى الْأَرْوَاحِ تَقْبَلُهَا الْبَيْضُ الْبَهَائِيَرُ وَالسُّمُرُ الْعَطَائِيلُ^(٤)
فَلَوْ تَرَى كُلَّ عُضْوٍ مِنْ كَمَاثِهِمْ مُفَصَّلًا وَهُوَ مَكْفُوفٌ وَمَشْلُولُ^(٥)
كَأَخْرُفٍ أَشْكَتْ خَطًّا فَأَكْثَرُهَا بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَنْقُوطٌ وَمَشْكُولُ
وَكُلُّ بَيْتٍ حَكَى بَيْتَ الْعَرُوضِ لَهُ بِالْبَيْضِ وَالسُّمُرِ تَقْطِيعٌ وَتَفْصِيلُ

(١) مسومة : معلمة . واللبوس : اللباس . والسراييل : الدروع .

(٢) الكلال : المعجز . والتأثيل : التأميل .

(٣) المتبول : الهالك . والمتبول : المقطوع .

(٤) البهاتير : القصار جمع بهتر . والعطائيل : جمع عطبول .

(٥) مفصل : مقطوع . مكفوف : ممنوع . ومشلول : معطل . وفي كل من هذه الكلمات تورية .

وَدَاخَلْتُ بِالرَّدَى أَجْزَاءَهُمْ عِلَلٌ غَدَا الْمُرْقَلُ مِنْهَا وَهُوَ مَجْزُولٌ^(١)
وَكُلُّ ذِي تَرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ غَدَا يُقَادُ ذَلِيلًا وَهُوَ مَقُولٌ^(٢)
وَكُلُّ جُرْحٍ بِجِسْمٍ يَسْتَهْلُ دَمًا كَأَنَّهُ مَنَسِمٌ بِالرَّاحِ مَقُولُ
وَعَاطِلٌ مِنْ سِلَاحٍ قَدْ غَدَا وَلَهُ أَسَاوِرٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَلَاحِيلُ
وَالْأَوْضُ مِنْ جُنْثِ الْقَتْلِ مُجَلَّلَةٌ وَالتُّرْبُ مِنْ أَدْمَعِ الْأَحْيَاءِ مَبْلُولُ
غَصَّتْ قُلُوبٌ كَأَغْصَى الْقَلْبِ^(٣) بِهِمْ فَلَأَسَى فِيهِمْ وَالنَّارِ تَأْكِيلُ
فَأَصْبَحَ الْبَيْتُ إِذْ أَهْلُ الْبَوَارِ بِهِ مِثْلُ الْوَطِيسِ بِهِ جُزُرٌ رَعَائِلُ^(٤)
وَأَصْبَحَتْ أَيْمَاتٌ مُحْصَنَاتُهُمْ وَأُمَمُهُمْ وَهِيَ الْمُنَاكِيلُ
لَا تُنْسِكُ الدَّمْعَ مِنْ حُزْنِ عِيُونِهِمْ إِلَّا كَمَا يُنْسِكُ الْمَاءُ الْغَرَائِلُ
وَصَارَ فَقْرُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ غِنَى وَفِي الْمَصَائِبِ تَقْوِيَةٌ وَتَحْصِيلُ
وَرَدَّ أَوَجَّهُهُمْ سُودًا وَأَغْيَسَهُمْ بَيْضًا مِنْ اللَّهِ تَنْكِيدٌ وَتَنْكِيلُ^(٥)
سَالَتْ وَسَاءَتْ عِيُونُ مِنْهُمْ مَثَلًا كَأَنَّمَا كُلُّهَا بِالشُّوْكِ مَسْمُولُ^(٦)
أَبْغَضَ بِهَا مُقَلًّا قَدْ أَشْبَهَتْ لَبَنًا طَفَا الذُّبَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ تَمَقُولُ^(٧)
وَيَوْمَ عَمَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ أَسَى يَفْقَدُ عَمَّكَ وَالْمَقْشُودُ مَجْدُولُ^(٨)
وَنَالَ إِحْدَى الثَّنَايَا الْكَسْرُ فِي أَحَدٍ وَجَاءَ يَجْبُرُ مِنْهَا الْكَسْرَ جَبْرِيلُ

(١) الترفيل : أن يزداد في البحر الكامل سبب على متفاعلن فيصير متفاعلات . والمجزول ساقط الرابع من

متفاعلن مع إسكان ثانيه في زحاف الكامل . (٢) الترة : النار .

(٣) القلب : البئر . (٤) الرعايل : جمع رعبولة ، وهي الخرقعة الممزقة .

(٥) د : تنكيل وتشكيل . (٦) مسمول من سمل عينه بمعنى فقأها ، د : سارت بدلا من ساءت .

(٧) الممقول : المندوس . (٨) المجلول : المسرور .

وَفِي مَوَاطِنَ شَتَّى كَمْ أَتَاكَ بِهَا
 وَمَا كُنْتَ يَدُكَ الْيَمْنَى مَلَأَتْكَ
 يُسَارِعُونَ إِذَا نَادَيْتَهُمْ لَوَعَى
 مِنْ كُلِّ نِضْوٍ نُحُولٍ مَا زَالَ بِهِ
 بَنَانُهُ بِدَمِ الْأَبْطَالِ مُخْتَضِبٌ
 آلَ النَّبِيِّ يَمْنَى أَوْ مَا أَشْبَهَكُمْ
 وَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى مَدْحٍ يَكُونُ بِهِ
 يَأْقُومُ بَايَعْتَكُمْ أَنْ لَا شَبِيهَ لَكُمْ
 جَاءَتْ عَلَى تِلْوِ آيَاتِ النَّبِيِّ لَهُمْ
 مَعَاشِيرٌ مَارَصُوا إِنِّي لَمُبْتَهِجٌ
 وَإِنَّ مَنْ بَاعَ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّتَهُمْ
 وَحَسَبُ مَنْ نَكَلَتْ عَنْهُمْ خَوَاطِرُهُ
 إِنَّ الْمَوَدَّةَ فِي قُرْبَى النَّبِيِّ غَنَى
 وَكَمْ لِأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكَرَامِ يَدُ
 قَوْمٍ لَهُمْ فِي الْوَعَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ
 كَأَنَّهُمْ فِي مُحَارِيبٍ مَلَأَتْكَ

نَصْرُ مِنَ اللَّهِ مَضْمُونٌ وَمَكْفُولُ
 غُرٌّ كِرَامٌ وَأَبْطَالُ بِهِالِيلُ
 إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا نُودُوا هَذَا لِيلُ^(١)
 إِلَى الْمَكَارِمِ جِدُّ وَهُوَ مَهْزُولُ^(٢)
 وَطَرَفُهُ بَسْنَا الْإِيمَانَ مَكْحُولُ
 لَقَدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهِهُ وَتَمْثِيلُ
 لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ تَأْهِيلُ
 مِنَ الْوَرَى فَاسْتَقْبِلُوا الْبَيْعَ أَوْ قَبِلُوا^(٣)
 دَلَائِلُ هِيَ لِلتَّارِيخِ تَذْيِيلُ
 بِهِمْ وَمَا سَخَطُوا إِنِّي لَمُشْكُولُ
 يَبْغُضُهُ اللَّهُ فِي الْأُخْرَى لَمَرْدُولُ
 أَنْ مَاتَ أَوْ عَاشَ تَنْكِيلُ وَتَشْكِيلُ
 لَا يَسْتَمِيلُ فَوَّادَى عَنْهُ تَمْوِيلُ^(٤)
 عِنْدَ الْإِلَهِ لَهَا فِي الْفَضْلِ تَخْوِيلُ^(٥)
 حُسْنُ ابْتِلَاءٍ وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْتِيلُ^(٦)
 وَفِي حُرُوبٍ أَعَادِيهِمْ رَأْيِيلُ^(٧)

(١) هذاليل : مسرعون .

(٢) النضو : النحيل .

(٣) بايعتكم : عاهدتكم . وقتله البيع أقيله : فسخته . واستقال : طلب إليه أن يقيله .

(٤) التمويل : كثرة المال . (٥) تخويل : تمليك . (٦) التبتيل : الانقطاع إلى الله عن الدنيا .

(٧) الرأيل : جمع رثال ، وهو الأسد .

حَكَى الْعِبَادَةَ قَلْبِي حِينَ كَانَ بِهَا
وَلِي فُؤَادٌ وَنُطْقٌ بِالْوِدَادِ لَهُمْ
فَإِنْ ظَنَنْتُ بِهِمْ خَتَلًا لِبَعْضِهِمْ
أُثِمَّةُ الدِّينِ كُلٌّ فِي مُحَاوَلَةٍ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ قَدَرُهُ
حَسْبِي إِذَا مَا مَنَحْتَ الْمُصْطَفَى مِدْحِي
مَدْحٌ بِهِ ثَقُلَتْ مِيزَانُ قَائِلِهِ
وَكَيْفَ تَأْتِي جَنَى أَوْ صَافِيهِ هِمُّهُ
وَلَيْسَ يُدْرِكُ أَدْنَى وَصْفِهِ بَشَرٌ
كُلُّ الْفَصَاحَةِ عَيٌّْ فِي مَنَاقِبِهِ
لَوْ أَجَمَعَ الْخَلْقُ أَنْ يُحْصُوا حَاسِنَهُ
عُدْرًا إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كَلِمِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْطِقِي فِي طَبِيعِهِ عَسَلًا
هَذَا حُلَّةٌ بِخِلَالٍ مِنْكَ قَدْ رُقِمَتْ
جَاءَتْ بِحُجْبِي وَتَضَدِّيقِي إِلَيْكَ وَمَا

لِلَّالِ تَغْطِيَةٌ وَالصَّحْبِ تَخْلِيلُ^(١)
وَبِالْمُدَاحِ مَشْغُوفٌ وَمَسْغُولُ
إِنِّي إِذْ بَعُرُورِ النَّفْسِ مَحْتُولُ^(٢)
إِلَى صَوَابِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ مَوْكُولُ
وَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
فِي الْحَشْرِ تَرْكِهٌ مِنْهُ وَتَعْدِيلُ^(٣)
وَحَفٌّ عَنْهُ مِنَ الْأَوْزَارِ تَفْقِيلُ
يَرُوقَهَا مِنْ قُطُوفِ الْعِزِّ تَذْلِيلُ
أَيَقْطَعُ الْأَرْضَ سَاعٍ وَهُوَ مَكْبُولُ^(٤)
إِذَا تَفَكَّرْتَ وَالتَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ
أَعْيَمُهُمْ مُجَلَّةٌ مِنْهَا وَتَفْصِيلُ
إِنَّ الْكَرِيمَ لَدَيْهِ الْعُذْرُ مَقْبُولُ
فَإِنَّهُ بِمَدِّحِي فِيكَ مَعْسُولُ
مَا فِي حَاسِنِهَا لِلْعَيْنِيبِ تَخْلِيلُ^(٥)
حُبِّي مَشُوبٌ وَلَا التَّضَدِّيقُ مَدْخُولُ^(٦)

(١) تخليل : من تخلل الشيء بمعنى دخل في خلاله .

(٢) محتول : مخدوع . (٣) عدله : شهد بعدالته .

(٤) مكبول : مقيد .

(٥) خلال : خصال ، رقم الكتاب : كتبه ، والثوب : خطه . وتخلل الشيء دخل في خلاله .

(٦) كل ما دخله عيب فهو مدخول .

أَلْبَسْتَهَا مِنْكَ حُسْنًا فَازْدَهَتْ شَرَفًا بِهَا الْخَوَاطِرُ مِنَّا وَالْمَنَاوِيلُ ^(١)
 لَمْ أَنْتَحِلْهَا وَلَمْ أَنْغَصِبْ مَعَانِيَهَا وَغَيْرُ مَذْحِكَ مَقْصُوبٌ وَمَنْحُولُ ^(٢)
 وَمَا عَلَيَّ قَوْلٍ كَعَبٍ أَنْ تُوَاظِنَهُ فَرُبَّمَا وَازَنَ الدَّرَّ الْمَثَاقِيلُ ^(٣)
 وَهَلْ تُعَادِلُهُ حُسْنًا وَمَنْطِقُهَا عَنْ مَنْطِقِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ مَعْدُولُ
 وَحَيْثُ كُنَّا مَعًا نَرْمِي إِلَى غَرَضٍ فَحَبَّذَا نَاضِلٌ مِنَّا وَمَنْضُولُ
 إِنْ أَقْبَتْ آثَارَهُ إِنْى الْعِدَادَةَ بِهَا عَلَى طَرِيقِ نَجَاحٍ مِنْكَ مَدْلُولُ
 لَمَّا غَفَرْتَ لَهُ ذَنْبًا وَصُنْتَ دَمًا لَوْلَا ذِمَامُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَطْلُولُ ^(٤)
 رَجَوْتُ غُفْرَانَ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَلَفِي لَهُ مِنَ النَّفْسِ إِمْلَاءٌ وَتَسْوِيلُ ^(٥)
 وَلَيْسَ غَيْرَكَ لِي مَوْلَى أَوْ مَلَّةُ بَعْدَ الْإِلَهِ وَحَسْبِي مِنْكَ تَأْمِيلُ
 وَلِي فَوَادٌ مُحِبٍّ لَيْسَ يَقْنَعُهُ غَيْرُ اللَّقَاءِ وَلَا يَشْفِيهِ تَعْلِيلُ
 يَمِيلُ بِي لَكَ شَوْقًا أَوْ يُخَيِّلُ لِي كَأَنَّمَا بَيْنَنَا مِنْ شُقَقٍ مِيلُ
 يَهْمٌ بِالسَّعْيِ وَالْأَقْدَارُ تُمَسِّكُهُ وَكَيْفَ يَعْدُو جَوَادٌ وَهُوَ مَشْكُولُ ^(٦)
 مَتَى تَجُوبُ رَسُولَ اللَّهِ نَحْوَكَ بِي تِلْكَ الْجِبَالِ نَجِيَّاتٌ مَرَاسِيلُ ^(٧)
 فَأَنْتَنِي وَيَدِي بِالْقَوَازِ ظَافِرَةٌ وَثُوبُ ذَنْبِي مِنَ الْآثَامِ مَفْسُولُ
 فِي مَعْشَرٍ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِيْنَهُمْ وَفَوَّضُوا إِنْ هُمْ نَالُوا وَإِنْ نِيلُوا

(١) ازدهت : افتخرت . والمناويل : جمع منوال ، وهو معروف . وهى هنا بمعنى الأفكار .

(٢) انتحلها : ادعاه لنفسه ، وهو غير ه . (٣) مثقال الشيء : وزنه مثله .

(٤) اللام : العهد . المطلول : مهدر . (٥) سولت له نفسه كذا : أى زينت .

(٦) مشكول : مقيد . (٧) نجيات : جمع نجبية وهى الناقاة . مراسيل : سهلة الانقياد .

شُعْثٌ لَهُمْ مِنْ نَرَى الْبَيْتِ الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ تَطْيِيبٌ وَتَكْمِيلٌ^(١)
 مُحَلَّقِي أَرْوُسٍ زِيدَتْ وَجُوهُهُمْ حُسْنًا بِهِ فَكَأَنَّ الْخَلْقَ تَرَجِيلٌ^(٢)
 قَدْ رَحَبَ الْبَيْتُ شَوْقًا وَالْمَقَامُ بِهِمُ وَالْحَجَرُ وَالْحَجَرُ الْمَلُومُ وَالْمِيلُ^(٣)
 نَذَرْتُ إِنْ جَمَعْتُ سَمَلِي بِبَابِكَ أَوْ شَفَتْ فُؤَادِي بِهِ قَوْدَاهُ شِمْلِيلٌ^(٤)
 أَهْلٌ مِنْ طَيْبَةٍ بِالْدمْعِ طِيبَ نَرَى لِقَلَّتِي وَغَلِيلِي مِنْهُ تَبْلِيلٌ^(٥)
 دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَكْفُلُهَا مِنْ الْمَيِّمِينَ إِبْلَاغٌ وَتَوْصِيلٌ
 مَا لَاحَ صُوءُ صَبَاحٍ فَاسْتَسَرَّ بِهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ قَنْدِيلٌ فَقَنْدِيلٌ
 وَقَالَ^(٦) يَمْدَحُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَدَحُ النَّبِيِّ أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ فَا مَدَحُهُ مُرْتَجِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَجِلِ
 وَلَا تُشَبِّبُ بِأَوْطَانٍ وَلَا دِمَنِ وَلَا تُعَرِّجُ عَلَى رَنْعٍ وَلَا طَلَلِ
 وَصِفْ بِجَمَالِ حَبِيبِ اللَّهِ مُنْفَرِدًا بِوَصْفِهِ فَهُوَ خَيْرُ الْوَصْفِ وَالْعَزَلِ
 رِيحَانَتَاهُ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا زَهْتَا فَا لِقَلَّتِي وَذِكْرِي الْبَانِ وَالْأَثَلِ^(٧)
 رِيحَانَتَاهُ مِنَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ خَيْرِ النِّسَاءِ وَمِنْ صِنْوِ الْإِمَامِ عَلَى^(٨)

(١) الأثعث : الذي يدهن شعره ولم ينظفه . تطييب : اتخاذ الطيب . (٢) الترجيل : تزيين الشعر .

(٣) الميل : المنار الموضوع بين الصف والمروة .

(٤) القوداه : الناقة العظيمة . والشمليل : المريعة .

(٥) الغلة : شدة العطش . والغليل : حرارة الحب والحزن . د : تغليل .

(٦) ت : وقال ، رضى الله تعالى عنه ، في مدح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من البسيط .

(٧) ت : زهر الرياض زهت . (٨) هذا البيت ساقط من د .

إِذَا امْتَدَحْتُ^(١) نَسِيئاً مِنْ سُلَاطَتِهِ
فَهُوَ النَّسِيبُ لِمَدْحِي سَيِّدِ الرُّسُلِ
مُحَمَّدَ أَفْضَلَ الرُّسُلِ الَّذِي شَهِدَتْ
بِفَضْلِهِ أَنْبِيَاءُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
لَمْ يَعْدُهُ الْحَسَنُ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي
وَلَمْ يَزَلْ حُبُّهُ شُغْلاً لِكُلِّ خَلِي
وَقَفَّ^(٢) عَلَى سُنَنِ الْمُرَضِيِّ مِنْ سُنَنِ
فَإِنَّ^(٣) فِيهَا شِفَاءَ الْخَبَلِ وَالْخَبَلِ
وَنَزَهَ الْفِكْرُ فِي رَوْضَاتِ فِكْرَتِهَا
وَاجْنِ الْبَلَاغَةَ مِنْ أَغْصَانِهَا الدُّلِّلِ

وقال [رضى الله تعالى عنه]^(٤) من الكامل :

الْيَوْمَ قَدْ حَكَمَ الْهَوَى بِالْمَعْدَلَةِ
وَتَبَدَّلَتْ مِثْلِي الصَّبَابَةُ سَلَوَةً
مَالِي وَلِلْعُسَاقِ أَتْبَعُ مِنْهُمْ
صَيِّتَتْ بِهَا عِبْرَاتِي الْمُتَبَدِّلَةَ
مِنْ كُلِّ مَنْ^(٥) يَشْكُو جَنَابَةَ نَفْسِهِ
أَتَمَّا تَضِلُّ عَنِ الرَّشَادِ مُضِلَّةً^(٥)
إِنِّي أَمَرُوا أَعْطَى السُّلُوكُ قِيَادَهُ
وَيَرُومُ مِنْ أَحْبَابِهِ مَا لَيْسَ لَهُ
وَدَعَا جَمِيلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ^(٦) مَدِيحَهُ
وَأَرَاخَ مِنْ تَعَبِ الْمَلَامَةِ عُذْلَهُ
مَوْلَى عَرَفْتُ بِجَاهِهِ^(٨) وَبِمَالِهِ
عَزَّ الْغِنَى وَجَهَلْتُ ذُلَّ الْمَسْأَلَةِ
وَأَتَمَّ حَظِّي بَعْدَ نُقْصَانِ فَكْرِكُمْ
مِنْ عَائِدِي مَنْ نَدَاهُ وَمِنْ صَلَهُ
وَجَبَتْ عَلَى لَهُ حَقُوقٌ لَمْ أَقُمْ
مِنْهَا بِمَاضِيَةٍ وَلَا مُسْتَقْبَلَةٍ

(١) ت : مدحت . (٢) د : وقفته . (٣) د : له ففيا .

(٤) ما بين القوسين زيادة في ت . (٥) ومظله . (٦) د ، ت : ما .

(٧) جميل : معروف . وابن الزبير : هو زين الدين يعقوب بن عبد الرقيق بن الزبير الذي ولي الوزارة من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ حيث عزله السلطان الظاهر . وكان آية في السكرم ، أديبا شاعرا ، توفي سنة ٦٦٨ هـ .

(٨) ت : بماله . وقد علق عليها صاحبها في الهامش بقوله « ولعلها بجاهه » .

لَا أَسْتَطِيعُ جُودَهَا، وَشُحُودَهَا عِنْدِي بِمَا أَوْلَتْ يَدَاهُ مُعَدَّةً
 مَا طَالَ صَمْتُ مَدَامِحِي عَنْ بَجْدِهِ إِلَّا لِأَنَّ صِلَاتِهِ مُسْتَرَسِلَةً
 فَتَى هَمَمْتُ بِشُكْرِ سَالِفِ نِعْمَةٍ أَلْفَيْتُ سَالِفَتِي ^(١) بِأُخْرَى مُنْقَلَةٍ ^(٢)
 مَنْ مِثْلُ ذَيْنَ الدِّينِ يَعْقُوبُ الَّذِي أَصْحَتْ بِهِ رُتَبُ الْفَخَارِ مُؤَثَّلَةً
 عَمَّ الْخَلَائِقُ جُودَهُ فَكَأَنَّمَا يَدُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى مُتَكَلَّلَةً
 حَكَمْتُ أَنَامِلُهَا لَهُ بِالرَّفْعِ مِنْ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَى بِخَمْسَةِ أَمْنَلَةٍ
 وَأَحَلَّهُ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ ذَكَوُّهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ عُطَارِدًا فِي السَّنْبَلَةِ
 سَلَ عَنْهُ وَاسْنَالٌ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ تَسْمَعُ أَحَادِيثَ الْكَرَامِ مُسْلَسَلَةً
 إِنْ صَالَ كَانَ اللَّيْثُ مِنْهُ شَعْرَةً أَوْ جَادَ كَانَ الْبَحْرُ مِنْهُ أَمْنَلَةً
 كَمْ أَظْهَرْتَ أَفْلَامُهُ مِنْ مُعْجِزٍ لِلطَّرْسِ لَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُرْسَلَةً
 مَلَأَتْ بِإِمْلَاءِ الْخَوَاطِرِ كُتُبَهُ حِكْمًا عَلَى وَفْقِ الصَّوَابِ مُنَزَّلَةً
 وَبَدَتْ فَوَاصِلُهُ خِلَالَ سَطُورِهَا ^(٣) هَدَى لِقَارِيهَا الْعُقُودَ ^(٤) مُفَصَّلَةً
 مَا صَانَهَا نَقْصُ الْكَمَالِ وَلَمْ تَفُتْ فِي الْحُسْنِ بِسَمَلَةِ الْكِتَابِ الْحَمْدَلَةَ
 قَدْ أَغْنَتْ الْفُقَرَاءَ وَافْتَقَرَتْ لَهُمْ هِمُّ الْمُلُوكِ فَمَا تَزَالُ مُؤَمَّلَةً
 مِنْ مَعْشَرٍ شَرَعُوا الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى وَتَبَوَّءُوا مِنْ كُلِّ بَجْدٍ أَوَّلَةً
 آلُ الزُّبَيْرِ الْمُرْتَجَى إِسْعَادُهُمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ وَمُعْضَلَةً
 الْمَكْتُبُونَ طَعَامُهُمْ وَطِعَانُهُمْ يَوْمَ النَّزَالِ وَفِي السَّنِينَ الْمُجْحَلَةَ

(٢) د : د : بآخر .

(١) د ، ت : سالفى . والصواب ما أنبتناه .

(٣) ت : سطوره . (٤) د عقود .

قَوْمٌ لِكُلِّهِمْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى أَبَدًا يَدُ مَرْهُوبَةٍ وَمُنَوَّلَةٍ
 إِنَّ يَسْأَلُوا كَرَمًا وَعِلْمًا أَعْجَزُوا يَبْدِيعُ أَجْوَبَةٍ لَتَلَكَّ الْأَسْئَلَةُ
 أَنْفُوا ذُنُوبًا وَدَّ كُلُّ مُقْبَلٍ لَوْ أَنَّهَا حَسَنَاتُهُ الْمُتَقَبَّلَةُ
 لَوْلَا مَنَاقِبُكُمْ لَكَانَتْ هَذِهِ الدُّ نِيَامِنَ الذِّكْرِ الْجَلِيلِ مُعْطَلَةً

وله ؛ رحمه الله ؛ فيما كتب به لجناب السابق :

إِنَّ خُلُقَ الشُّهُودِ وَالْعُمَالِ مِثْلُ خُلُقِ الْعُشَاقِ وَالْعُدَّالِ
 كُلُّ عَدْلٍ مُضَاقٍ^(١) فِي وَصُولٍ كَعَدُولٍ مُضَاقٍ^(٢) فِي وَصَالٍ
 كَسْتُ أَذْرِي مَعْنَى التَّبَاغُضِ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ غَيْرَ حُبِّ الْمَالِ^(٣)
 فَإِذَا زَالَتِ الْمَطَامِعُ مِنْهُمْ أَذَّنَ الْخُلْفُ بَيْنَهُمْ بِالزُّوَالِ
 سَالَمْتَنِي الْمُسْتَحْدَمُونَ وَكَانُوا قَدْ أَعَدُّوا سِلَاحَهُمْ لِقِتَالِي
 وَرَأَيْ^(٤) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ بَا نَ لَكَ الْآنَ شِدَّةُ الْأَهْوَالِ
 وَرَأَى ابْنُ الْأَشَلِّ قَدْ كَانَ يَبْقَى كَاتِبًا مِثْلَ جَدِّهِ بِالشَّمَالِ
 فَالْتَجَا لِلْعَفَافِ مَنْ كَانَ يَوْمًا لَا لَهُ يَخْطُرُ الْعَفَافُ بِيَالِ
 وَلَهُمْ أَعْيُنٌ تَعُضُّ عَنِ الْعَيْنِ وَأَيْدٍ تُمَدُّ عِنْدَ الْغِلَالِ

(٢٠١) د، و: تضايق .

(٣) هذا البيت ورد في د هكذا :

لست أدر معنى التباغض ما بين الفريقين غير حب المال

(٤) ت : رثا . وقد كتب أمامها « ولعله رأى » والصواب ما ورد في د .

بَابِي حَزْمُكَ الَّذِي طَرَّقَ الْأَنْذَالَ^(١) مِنْهُمْ طَرَائِقَ الْأَبْدَالِ
 لَا تُوْطِنُ قُلُوبَهُمْ^(٢) يَهْجَاءُ إِنِّهَا مِنْ سَطَاكَ فِي بَلْبَالِ
 مَا اسْتَوَى السِّيفُ وَاللَّسَانُ مَضَاءً أَتَسَاوَى حَقِيقَهُ بِمُحَالِ
 إِنَّ قَوْلِي هَزْلًا وَفِعْلَكَ جَدًّا مِثْلُ نَبْلِ الْحَصَى وَرَشَقِ النَّبَالِ
 وَلَلْهَنِي وَلِمْتُ بِالضَّرْبِ فِي الرَّمْلِ لِأَحْظَى بِأَسْمَدِ الْأَشْكَالِ
 كَفَحِدْتُ الطَّرِيقَ إِذَا أَشْهَدْتَ لِي حِينَ عَايَنْتُهُمَا بِحُسْنِ مَالِ
 وَغَدَا الْأَجْتِمَاعُ يَضْمَنُ لِي عَنْكَ بُلُوغَ الرَّجَاءِ وَالْآمَالِ
 أَنْبَتَ الْعِزُّ مِنْكَ فِي بَيْتِ نَفْسِي وَالْغِنَى مِنْ يَدَيْكَ فِي بَيْتِ مَالِي
 وَإِذَا كُنْتُ نُصْرَةً لِي فِيمَا أُرْتَجِيهِ فَذَاكَ عَيْنُ سُوءِ أَلِي

وقال يهجو النصارى واليهود ، لعنهما الله :

إِنَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَعَاشِرُهُ جُبِلُوا عَلَى التَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ
 لَوْ أَنَّ فِيهِمْ عَوْرَةً عَنْ بَاطِلٍ أَبْقَوْا عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

وقال لما استعار منه جمال الدين حمارته [وأبى^(٣)] أن يعيدها إليه ، بحكم أنه كانت له عند
 صاحب الحمارة مبلغ من الدراهم :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتَ^(٤) الْفَاطَهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ

(١) د : أنذال بغير لام . (٢) ت : قلبك .

(٣) ما بين القوسين زيادة في ت : ، في فوات الوفيات : كانت « حمارة استعارها منه ناظر الشرقية ، فأعجبته ، فأخذها وجهر له مائتي درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر « المملوكة حمارة البوصيري »
 الأبيات ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه . (٤) د : شهدت له .

حاشاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالرِّزْقِ فِيهِ لِي كَافِلٌ
 أَلَمْ تَكُنْ^(١) قَدْ أَخَذْتَ عَارِيَةً مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تُرَدَّ فِي الْعَاجِلِ
 وَكَانَ عَزْمِي عِنْدَ الْوَصُولِ بِكُمْ أَجْمَلَ مِنْ أَنْ أُسَاقَ لِلْحَاصِلِ
 مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ
 لَوْ جَرَسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ لَقُلْتُ غَيْظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ
 طَالَ بِي^(٢) شَوْقٌ إِلَى وَطَنِي وَالشَّوْقُ دَاءٌ لَا ذُقْتُهُ قَاتِلٌ^(٣)
 وَبَغَيْتِي أَنْ أَكُونَ سَائِيَةً مِنْ بَلَدِي فِي جَوَانِبِ السَّاحِلِ
 لَا تَطْمَعُوا أَنْ أَكُونَ عِنْدَكُمْ فَذَاكَ مَا لَا يَرُومُهُ الْعَاقِلُ
 وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ مِلْكِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلٌ

قافية الميم ، وقال يمدح النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهي من أشهر شعره . وهذه القصيدة تعرف بالبُرْدَة أو بالبُرْأَة . وقد وفد بها على النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو مريض ، فعوفى من وقته وساعته .

أَمِنْ تَذَكُّرٍ حَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ
 أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
 فَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَقِ قِيَهَمٍ
 أَيْحَسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَرٌ مَا بَيْنَ مُنْكَرٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ^(٤)

(١) د : أكن . (٢) د : طال بها ، ت : طال شوقا ، ونظن الصواب ما أثبتناه .

(٣) د : مائل . (٤) المنسجم : الدمع السائل . والمضطرم : القلب المشتعل بالحُب .

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تُرَقِّدْ مُعَا عَلَى طَلَلٍ
فَكَيْفَ تُنْكَرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيءَ عِبْرَةٍ وَصْنِي
نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِّنْ أَهْوَى فَأَرَقَنِي
يَا لَأُمِّي فِي الْهُوَى الْعُذْرِيَّ مَعْدِرَةً
عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
مَحْضَتْنِي النَّصْحَ لَكِنْ لَأَنْتَ أَسْمَعُهُ
إِنِّي أَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ
فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا انْعَقَطَتْ
وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي بِرَدِّ جَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
فَلَا تَرُمُ^(٦) بِالْمَعَاصِي كَسَرَتْهُوَئِهَا
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ سَبَّ عَلَى
فَاصِرٍ هَوَاهَا وَحَازِرٍ أَنْ تُؤَلِّيَهُ^(٧)

وَلَا أَرَقْتُ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
بِوَعْدِكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلُ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَمِ^(١)
وَالْحُبُّ يَغْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي مِنْ مَحْصِمِ^(٢)
إِنَّ الْمَحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمِّ^(٣)
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التَّهَمِ
مِنْ جَهْلِهَا بِذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(٤)
ضَيْفٍ أَلَمْ يَرَأِ أَيْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَمِ^(٥)
كَأَيُّدُ جَاحٍ أُخْلِيلُ بِاللَّجْمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوَى شَهْوَةَ النَّهَمِ
حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَ يُنْفَطِمِ
إِنَّ الْهُوَى مَاتَوَلَّى يُضْمُ أَوْ يَصِمُ^(٧)

(١) البهار : ورد أصفر . والعلم : ورد أحمر . (٢) عدتك : تجاوزتك . ومنحسم : منقطع .

(٣) محضتني النصح : أخلصته . (٤) الأماراة بالسوء : هي النفس .

(٥) الكتم : نبت يخضب به كالحناء . (٦) لا ترم : لا تقصد ولا تطلب .

(٧) أن توليه : تجعله واليا عليك . ويصمي : يقتل ؛ من أصمى . ويصم : يعيب ؛ من وصم .

- وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الرِّبَا فَلَائِمَةٌ (١)
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةُ الْغَزْرِ قَارِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذْرَأَنَّ الشَّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَإِخْشَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبِيعٍ قَرُبَ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِ (٢)
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدَامَتَلَأَتْ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمَّ حِيَمَةَ النَّدَمِ (٣)
وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكُ النَّصْحِ فَاتَّبِعْهُمَا
وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِلَّذِي عَقُمَ
أَمْرُكَ الْخَيْرُ لَكِنْ مَا انْتَمَرْتُ بِهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرْضِي وَلَمْ أَصُمْ
ظَلَمْتُ سَنَةً مِنْ أَحْيَا الظَّلَامِ إِلَى أَنْ اسْتَكْتَفَدَاهُ الضَّرَمِ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحَامَتَرَفِ الْأَدَمِ (٤)
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
وَأَكْدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصْمِ (٥)
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالتَّقْلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنَ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

(١) السوم : الرعى في العشب المباح . (٢) المخمصه : الجوع .

(٣) السغب : الامتناع عنه .

(٤) السغب : الجوع . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع . والمترف : المنعم .

(٥) العصم : جمع عصمة ، وهي الحفظ .

نَبِيْنًا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
دَعَا إِلَى اللَّهِ فَلِلْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خَلْقٍ
وَكَلَّمَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مُحَاسِنِهِ
دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ
وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئَتْ مِنْ شَرَفٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرَتُهُ آيَاتُهُ عِظَمًا
لَمْ يَمْتَحِنًا بِمَا تَعَيَا الْعُقُولُ بِهِ
أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ بَعْدِ
وَكَيْفَ يُذَرِّكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
أَبْرَ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»
لِكُلِّ هَوَلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحِمٍ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
غَرَّافٍ مِنَ الْبَحْرِ أَوْرَشَفًا^(١) مِنَ الدَّيَمِ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ^(٢)
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ^(٣)
فَجَوَّهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
وَاحِكُمْ بِمَا شِئْتَ مَذْحًا فِيهِ وَاحْتَكُمِ
وَأَنْسَبَ إِلَى قُدْرَتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ
أَحْيَا سَمَهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ
حَرِصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ^(٤)
فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمٍ^(٥)
صَغِيرَةً وَتَكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ^(٦)
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلَوْنَ عَنْهُ بِالْحُلْمِ

(١) الرشف : المص . والدیم : جمع ديمة ، وهي المطار .

(٢) الحكم جمع حكمة وهي وضع الأشياء في مواضعها . (٣) النعم جمع نسمة ، وهي الإنسان .

(٤) لم نهم : لم نفضل . (٥) المنفحم : الساكت عجزا في المناظرة . (٦) تكل : تعجب . أمم : قرب .

فَبَلَغَ الْعِلْمَ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ ^(١)
وَكُلُّ آيٍ أَنَّى الرُّسُلُ الْكَرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ بِالْحَسَنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٍ ^(٢)
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ
كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ
كَأَنَّهُ الْوُلُؤُ الْمَكُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنٍ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُتَّبِعٍ
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تَرْبَا ضَمَّ أَعْظَمُهُ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَمِعٍ ^(٣)
أَبَانَ مَوْلِدَهُ عَنْ طِيبِ عَنْصُرِهِ يَابِطِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَخُتَمَ
يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالتَّقَمُّ ^(٤)
وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِعٍ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ ^(٥)
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرُهَا وَرَدَّ وَارِدُهَا بِالْعَيْظِ حِينَ ظَمَى ^(٦)
كَأَنَّ النَّارَ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ ^(٧)
وَالْحِقْ يُظْهِرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ وَالْحَقُّ يُظْهِرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ

(١) مبلغ العلم : غايته . (٢) متمم : متصف .

(٣) طوبى من الطيب قلبوا الياء واوا لضمه ما قبلها . والمتشقق : من يشمه ، والمُلْتَمِعُ : من يقبله .

(٤) تفرس : تعرب بالظن الصائب . (٥) ساهى : ساكن . والسدم : الحزن .

(٦) ساوة مدينة في بلاد فارس بين همدان الرى . (٧) الضرم : الالتهاب .

عَمُوا وَصَمُوا فَأِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
 وَبَعْدَ مَا عَيْنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبِ
 حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُهْزَمٌ
 كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَيْرَهَةٍ
 نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْيِيحٍ بِمَطْنِهِمَا
 جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
 كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
 مِثْلَ الْعِمَامَةِ أَتَى سَارَ سَائِرَةٍ
 أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْثَقِ إِنْ لَهُ
 وَمَا حَوَى الْغَارِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 فَالْصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرِ مَا
 ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
 وَقَايَةِ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
 مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضِيَاءً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
 وَلَا التَّمَسُّتُ غَنِي الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
 لَا تُنْكَرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنْ لَهُ

تُسْمَعُ وَبَارِقَةُ الْإِنْدَارِ لَمْ تَشْمُ^(١)
 بَأَنَّ دِينَهُمُ الْمُفَوِّجَ لَمْ يَقُمْ
 مُنْقَضَةً وَفَوْقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَمٍّ^(٢)
 مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُهْزَمٍ
 أَوْ عَسْكَرٍ بِالْخَصِي مِنْ رَاحَتِهِ رُمِي
 نَبَذَ الْمَسْبُوحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ
 تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمٍ
 فُرُوعُهَا مِنْ بَدْيِعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ
 تَقِيهِ حَرَّ وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ^(٣) حَمَى
 مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ
 وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
 وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ^(٤)
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
 مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطَمِ^(٥)
 إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ
 إِلَّا اسْتَمَلْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَمَلٍ
 قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْهَمِ^(٦)

(١) تشم: تنظر . (٢) الوق: أى المائل . (٣) د: بالهجير .
 (٤) لم يرها: لم يبرحها . وأرم على وزن كفف: العلم والأثر .
 (٥) الأطم: الحصون .
 (٦) يقول: إن رؤيا النبي في المنام هي وحى من عند الله .

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ . فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمٍ ^(١)
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَمِّمٍ .
كَمْ أُبْرَأْتُ وَصِيًّا بِالْمَسْرِ رَاحَتُهُ وَأُحْيِيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ ^(٢)
وَأُحْيِيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ اللَّهُمَّ ^(٣)
بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خِلَتْ الْبِطَاحَ بِهَا سَيَّبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَبِلٌ مِنَ الْعَرَمِ ^(٤)
دَعْنِي وَوَصِّفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ نَارِ الْقَرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ
فَمَا تَطَاوَلُ آمَالِ الْمَدْبَحِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّمِّ ^(٥)
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ ^(٦)
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَامٍ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ
مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبُهٍ لَذِي شَقَاقٍ وَمَا تُبْقِينَ مِنْ حَكَمٍ
مَاحُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ أَعْدَى الْأَعَادَى إِلَيْهَا مُلْقَى السَّلَامِ
رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

(١) المحتلم الذي يرى الحلم في النوم، فحلم النبي كما يقول وحى لا ينكر .

(٢) الوصب : المريض . والأرب : المحتاج . والريقة أصلها الحبل . واللمم : الجنون .

(٣) السنة الشهباء : المجيدة .

(٤) أوخلت : أى إلى أن خلت . والبطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل الماء . والسيب : الجرى . والعرم : الوادى

(٥) تطاول إلى كذا : طلب الوصول إليه . (٦) محدثة : إنزاعها محدث .

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ
إِنْ تَتَلَّهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى أَطْفَأَتْ نَارَ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْمِ
كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوُجُوهُ بِهِ مِنَ الْعَصَا وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحَمِ
وَكَالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ
لَا تَعْجَبَنَّ لِحُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاقِقِ الْفَهْمِ
قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءُ الشَّمْسِ مِنْ رَمْدٍ وَيُنْكِرُ الْقَمُ طَمَمَ الْمَاءُ مِنْ سَقَمِ
يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْتِي الرُّسْمِ (١)
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَسِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْسَ إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ (٢) تَرْفَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُذْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلَ تَقْدِيمَ تَحْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْرِقُ السَّيِّعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأْنًا مُسْتَبَقٍ مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرَفَى لِمُسْتَنْمِ (٣)
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْفَرْدِ الْعِلْمِ (٤)
كَيْفَا تَقُوزَ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَبَرٍ عَنِ الْعِيُونِ وَسِرِّ أَيْ مُكْتَسِمِ

(١) العافون : طلاب الرزق . والأيتي : النياق . والرسم : التي ترسم : الأرض أى تعلمها .

(٢) د : فطلت . (٣) المستنم : طالب الرفعة إلى السنام ، وهو أعلى الشيء .

(٤) بالإضافة إلى مقامك . والرفع الارتفاع وفيه تورية برفع الإعراب عند النحاة .

فَحَزَنَتْ كُلَّ فَخَّارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ وَجَزَتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رَبِّ وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
بُشْرَى لَنَا مَعْتَسِرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ رُسْنَا غَيْرِ مُنْهَدِمٍ
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاهُ بِعَثَّةٍ كَنْبَاءُ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْغَنَمِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حَتَّى حَاكَمُوا بِالْقَنَاءِ لِحَمًا عَلَى وَضَمٍ ^(١)
وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغِيطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ سَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحَمِ
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيْلٍ إِلَى الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
كَأَنَّمَا الدِّينُ صُنِفَ حَلَّ سَاحَتِهِمْ بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمٍ ^(٢)
يَجْرُ بِعَجْرٍ خَيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ ^(٣)
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُخْتَسِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُضْطَمٍ ^(٤)
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرَّتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَسِمْ ^(٥)
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُضَادُّهُمْ مَا ذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُضْطَدَّمٍ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا فُصُولُ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ ^(٦)
الْمُصْدِرِ الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنْ الْعِدَا كُلِّ مُسَوِّدٍ مِنَ اللَّمَمِ ^(٧)

(١) الوضَم : كل خشبة يقطع عليها اللحم .

(٢) القرم : السيد . والقرم : بالتحريك شدة الشهوة إلى اللحم . (٣) السابحة : الخيل .

(٤) المنتدب : المحيَّب . (٥) التأييم : فقدان الزوج . (٦) الوحَم : الوباء .

(٧) اللمم : جمع لمة وهي الشعر إذا جاوز الأذن .

وَالكَاتِبِينَ بِسُورِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَفْلَاهُمُ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَمٍ
 شَاكِيَ السَّلَاحِ لَهُمْ سِمَى تُمَيِّزُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَاژُ بِالسِّمَى عَنِ السَّلَمِ (١)
 تَهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ فَتَحَسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكَامِ كُلِّ كَمَى
 كَانَهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لِأَمِنْ شِدَّةِ الْخُزْمِ (٢)
 طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَامِ مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَا فَاتَفَرَّقُوا بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ (٣)
 وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ إِنَّ تَلْقَاهُ الْأَسَدُ فِي آجَائِهَا تَحِمُّ
 وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمٍ (٤)
 أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجْمِ
 كَمْ جَدَلَتْ كَلَامُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ (٥)
 كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمَى مُعْجِزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْتَأْدِيبِ فِي الْيُسْمِ
 خَدَمْتَهُ بِمَدِيحِ اسْتَقِيلُ بِهِ ذُنُوبَ عُمَرُ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ
 إِذْ قَلْدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنِّي بِهِمَا هَدَى مِنْ النِّعَمِ (٦)
 أَطَعْتُ غَيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ
 فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تَجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالْدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ (٧)

(١) السيمي : العلامة . السلم : نوع من الشجر .

(٢) الخزم : قوة الثبات . والخزم جمع حزام : وهي ما يشد به سرج الفرس ونحوها .

(٣) البهم جمع بهمة : وهي السخلة . والبهم جمع بهمة ، وهي الشجاع . (٤) المنقصم : المنقطع .

(٥) جدل : صرع . والجدالة : الأرض . والجدل : كثير الجدال . خصمه : غلبه . والحصم :

شد يد الخصومة . (٦) الهدى : ما يهدي إلى الحرم ليذبح .

(٧) سام البائع السلعة : عرضها للبيع . وسامها المشتري : طلب شرائها .

وَمَنْ يَبِيعْ أَجَلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
 إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
 فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي
 حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِيَ مَكَارِمَهُ
 وَمُنْذُ أَرَمْتُ أَفْكَارِي مَدَاحَهُ
 وَلَنْ يَفُوتَ الْغَنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ
 وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
 فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
 بِأَنْفَسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
 لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
 يَا رَبِّ وَأَجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
 وَالطُّفَّ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنْ لَّهُ
 وَائْذَنْ لِحُبِّ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ

يَبِينُ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعِهِ وَفِي سَلَمٍ^(١)
 مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَيْلَ بِمُنْصَرِمٍ
 مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ
 فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
 أَوْ يَرْجِعِ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ
 وَجَدْتُهُ لَخْلَاصِي خَيْرَ مُنْتَزِمٍ
 إِنَّ الْخَلِيَاءَ يُنْبِتُ الْأَرْهَافُ فِي الْأَكَمِ^(٢)
 يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمٍ
 سَوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ^(٣)
 إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِهِ مُنْتَقِمٍ^(٤)
 وَمِنْ غُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ^(٥)
 إِنَّ الْكِبَارَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ^(٦)
 تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ
 لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ^(٧)
 صَبْرًا مَتَى تَذْعُهُ الْأَهْوَالُ يَهْزِمِ
 عَلَى النَّبِيِّ بِمَنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ^(٨)

(١) السلم في البيع: هو البيع المؤجل الدفع. (٢) تربت: افتقرت. والأكم جمع أكة: وهي الربوطة.

(٣) الحادث العمم: يوم القيامة، لأن هوله يعم الخلق. (٤) تحلى: اتصف. والمتنقم: من أسماء الله

(٥) ضرة الدنيا: هي الآخرة. (٦) اللمم: صفار الذنوب.

(٧) المنخرم: المنقطع. (٨) المنهل: السائل بشدة. والمنسجم: السائل بهدوء ورفق.

مَارَنَحَتْ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحٌ صَبَا
وَأُطْرَبَ الْعَيْسُ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّعَمِ (١)
وقال [عفا الله عنه (٢) من الكامل] :

عَرَجٌ بِرَامَةٍ إِنَّمَا لِمَرَامِي
نَزَلُوا الْعَقِيقَ فَأَدْمَعِي شَوْقًا إِلَى
مَا لِلدِّيَارِ وَالْمُحِبِّ كَأَنَّمَا
عَهْدِي بِهَا وَكَأَنَّ مُهْلَ الْحَيَا
وَشَدَا الْحُلُمِ عَلَى الثَّمَامِ (٣) وَمَا لِي
وَذَهَلْتُ لَا أَدْرِي بِمَا أَنَا مَائِلٌ
نَمَّ الْوُشَاةُ بِنَا أَلَا إِنَّ الْهَوَى
وَتَحَدَّثُوا أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكُمُ
وَضَرَبْتُ بَنِي وَبَيْنَ جَمَالِكُمْ
وَقَصَّتْ مَهَابَتَكُمْ بِتَرْكِ زِيَارَتِي
وَلَوْ أَنَّ نِي حَاوَلْتُ نَقْضَ عَهْدِكُمْ
مَا ضَرَّكُمْ جَبْرُ الْكَسِيرِ وَحَسْبُهُ
وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِذِكْرِكُمْ وَلِعَبَرَتِي
وَقَرَأْتُ سُلُوكَ السَّلَامِ فَلَيْسَ مِنِ
قَسَمًا يُحْسِنُكُمْ الْمُصُونُ وَإِنَّهُ
لَأُغْفِرَنَّ بِأَرْضِكُمْ خَدْيًا مِنْ

وَبِحَبِيرَةٍ فِيهَا عَلَى كِرَامِ (٣)
تِلْكَ الرُّبَا مِنْهُ الْعَقِيقُ دَوَامِ (٤)
مُزَجَّتْ حَامَتُهَا لَهُ بِحِمَامِ (٥)
دَمَعِي وَمُصْفَرَّ الْبَهَارِ سَقَامِي (٦)
مَرَّ الصَّبَا وَحَكَّتْهُ عُودُ مُنَامِ
بِشْدَا تَسِيمٍ أَوْ بِشْدُو حَامِ
لَمْ يَخْلُ مِنْ وَاشٍ وَلَا تَمَامِ
كَيْفَ السُّلُوكِ مِنَ الزَّلَالِ الطَّامِي (٨)
حُجْبًا مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ
مَنْ ذَا يَزُورُ الْأُسْدَ فِي الْأَجَامِ
لَأَبَى جَمَالَكُمْ وَحَفِظَ ذِمَامِي
مَا يَلْتَقِي فِي الْجَبْرِ مِنْ آلامِ (٩)
بِتَسَهَّدٍ فِي الْجَفْنِ أَيْ زِحَامِ
رَوْمٍ لَهُ مَنِي وَلَا إِتْمَامِ (١٠)
عِنْدَ الْحُبِّ لَا كَبِيرُ الْأَقْسَامِ (١١)
تَمْشَى أَلْمَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ (١٢)

- (١) رنحت: أمالت. وعذابات البان: أغصانه. والعيس: الإبل البيض. (٢) ما بين القوسين زيادة في ت.
(٣) رامة: موضع. ومرامى: طلبى وبغى. (٤) العقيق: موضع بظاهر المدينة، والعقيق الثانية: خرز أحمر. دوام: كالدوم.
(٥) بحمام: بموت.
(٦) مهل الحيا: منصب المطر.
(٧) الثمام: نوع من الشجر.
(٨) الزلال: العذب الصافي البارد من الماء. والطامى الكثير.
(٩) ت يلتقى في الخبر من إيلام.
(١٠) روم: طلب. إتمام: قرب ودنو. وهما من مصطلحات القراء. (١١) ت. أوكد.
(١٢) المهى: جمع مهاة وهى البقرة الوحشية. الآرام: جمع رُم، وهو الظبي الخالص البياض.

وَلَا تُكِبِّنْ عَلَى زَمَانٍ فَاتَنِ
وَلَا تُهْدِئَنَّ إِلَى الْوَزِيرِ وَاللَّهِ
هُدًى إِلَّا نَامُ بِهِمْ إِلَى طُرُقِ الْعُلَا
صَانَ الذِّدَى أَعْرَاضَهُمْ وَزَهَتْ بِهِمْ
وَتَأَثَّلَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِمْ
وَحَمَى الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ
لَمَّا أَصَابَ بِهَا مَقَاتِلَ لِلْعِدَا
اللَّهُ وَقَّعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَا
فَكَأَنَّمَا الْأَقْدَارُ فِي تَصْرِيفِهَا
وَوَصَلَ النَّهَارَ بِلَيْلِهِ فِي طَاعَةٍ
كُحِلَتْ بِتَقْوَى اللَّهِ مُقْلَتُهُ الَّتِي
يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَاوِيًا أَحْشَاءُهُ
عَجَبًا لَهُ يُطَوِّى حَشَاهُ عَلَى الطَّوَى
نَزَعَتْ^(١) وَمَا هَمَّتْ بِهِ النَّفْسُ الَّتِي
فَتَنَعَمُ الْأَرْوَاحَ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ
قَرْنَ الْوِزَارَةَ بِالْوِلَايَةِ فَوَوْ فِي

مِنْكُمْ بَعَيْنِي عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ^(١)
دُرُّ الْمَدَامِحِ فِي أَجَلٍ نِظَامٍ
لَمَّا غَدَوَا^(٢) فِي الْفَضْلِ كَالْأَعْلَامِ
فَكَأَنَّمَا الْأَزْهَارُ فِي الْأَكَامِ^(٣)
عَلَيَا تُخَلِّقُ حِدَّةَ الْأَيَّامِ^(٤)
جَنَبَاتِهَا مِنْ رَأْيِهِ بِحُسَامٍ
عَلِمُوا أَنَّ الْقَوْسَ فِي يَدِ رَامٍ
يَنْوِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَمِنْ إِبْرَامٍ
مُنْقَادَةً لِمُرَادِهِ بِزِمَامٍ
وَصَلَاتُهُ مَوْصُولَةٌ بِصِيَامٍ
لَمْ تَكْتَحِلْ أَجْفَاُهَا بِمَنَامٍ
كَرَمًا عَلَى سَفْبٍ وَحَرًّا أَوْامٍ^(٥)
وَتَحَضُّهُ التَّقْوَى عَلَى الْإِطْعَامِ
نَزَعَتْ عَنِ الشَّهَوَاتِ نَزْعَ هَامٍ^(٦)
إِلَّا بِتَرْكِ تَعْنَمِ الْأَجْسَامِ
حِلٌّ مِنَ التَّقْوَى وَمِنْ إِحْرَامٍ^(٧)

(١) د : على الزمان فإني ، وهذه رواية ت :
والجبل والراية . (٣) د : الآكام .
(٢) د : غدا . الأعلام : جمع علم ، وهو العلامة
(٤) تأثلت : تأصلت . تخلق : قبل .
(٥) سغب : جوع . أوام شدة العطش . (٦) د : دعه . ونزعت نفسه عن الشيء : أي رغبت عنه .
(٧) أي أنه حل في التقوى وأحرم بها .

فَاقَتْ مَنَاقِبُهُ الْعُقُولَ فَوَصَفُهُ مَا لَيْسَ بِدَرْكٍ فِي قُوَى الْأَفْهَامِ
فَقَرَأْنِي فِيهَا أَنْتَ مِنْ مَدْحِهِ كَالنَّحْلِ يَأْتِي الزَّهْرَ بِالْإِلْهَامِ
أَوْ مَا تَرَاهَا رِيقَهَا يُحِلِّي الْجَنَى وَيُنَاوِهَا فِي غَايَةِ الْإِحْسَامِ
وَإِذَا رَعَتْ كَرَمَ الْمَكَارِمِ أَخْرَجَتْ شَهْدَ الْمَدَائِحِ فِيهِ سُكْرَ مُدَامِ
تَكْسُو مُحَاسِنَهُ الْمَدِيحَ جَلَالَةً فَيَجِلُّ فِيهَا ^(١) قَدْرُ كُلِّ كَلَامِ
يَهْتَزُّ لِلْجَدِّ اهْتِزَازٌ مُنْقَفٍ كَرَمًا وَيُنْتَدِبُ انْتِدَابَ حُسَامِ ^(٢)
كَيْفَ بِإِسْدَائِ الصَّنَائِعِ مُغْرَمٌ لَا زَالَ ذَا كَلَفٍ بِهَا وَغَرَامِ ^(٣)
يَرْتَاحُ إِنْ سُئِلَ النَّوَالُ كَأَنَّمَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ بِشَارَةٌ بِغُلَامِ
تَقْدِيرُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ السُّؤَالِ صَحَائِفُ الْآثَامِ
كَمْ بَيْنَ ذِكْرِ الصَّاحِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِينَا وَذِكْرِ أَوْلَئِكَ الْأَقْوَامِ
شَوْقًا لِمَا مَسَّتْ أَنَامِلُهُ فَيَا هَوْنَ التُّضَارِ وَعِزَّةَ الْأَقْلَامِ
أَكْرَمَ بِالْأَقْلَامِ غَدَا قَسَمِي بِهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَوْفَرَ الْأَقْسَامِ
فَكَمْ اِزْتَرَقْتُ بِنَيْزِهَا لِضَرُورَةٍ فَكُنَّا اسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ ^(٤)
وَعَكَفْتُ آمَالِي عَلَيْهَا جَاهِلًا فَكُنَّا عَكَفْتُ عَلَى الْأَصْنَامِ
وَرَجَعْتُ عَنْهَا آيِسًا فَكُنَّا رَجَعَ الرِّضِيعُ مُرَوَّعًا بِفِطَامِ ^(٥)
زَانَ الْوُجُودِ بِخُمْسَةِ سَمَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ وَحُمْدٍ بِأَسَايِ
فَتَشَابَهَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ وَعَنُوا عَنِ التَّعْرِيفِ بِالْأَعْلَامِ
فَتَنَاهَ وَاحِدُهُمْ ثَنَاهَ جَمِيعِهِمْ فِي الْفَضْلِ لِلتَّعْجِيمِ وَالْإِدْغَامِ
مِثْلُ الثَّرَيَّا وَهِيَ عِدَّةُ أَنْجُمِ يَدْعُونَهَا بِالنَّجْمِ لِلْإِعْظَامِ

(١) ت : فيه . (٢) مثقف : الرفع المستوي . ينتدب : يدعى . حسام : سيف .

(٣) الصنائع : جمع صنعة ، وهي المعروف . (٤) استقسم : طلب القسم . والأزلام : جمع زلم ، وهو

السهم والقدح . (٥) د : آسأ . وهذه رواية ت .

أَتَيْتَنِي عَلَىٰ كُلِّكُمْ حَسَنٌ أَنَّى
فُتِحَتْ بِهِ سُنَنُ الْعُلَا وَفُرُوضُهَا
وَكَأَنَّكُمْ فِي فَضْلِكُمْ رَكَعَاتُهَا
إِنَّ الْعُلَا لَمْ تَسْتَقِمْ إِلَّا بِكُمْ
أَنْتُمْ أُنَامِلُهَا وَلَيْسَ لَهَا غَنَى
أَنْتُمْ قُوَى الْإِدْرَاكِ مِنْ إِحْسَاسِهَا
وَأَلَّكُمْ بِأَصْحَابِ الْعِبَادَةِ نِسْبَةً
حَامِيَةً عَنْهُمْ وَحَامُوا عَنْكُمْ
فَاللَّهُ حَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ صَاحِبَا
يَا مَنْ أَعَارَ الْبَدْرَ مِنْ أَوْصَافِهِ
جَعَلَ الْإِلَهَ بِكَ الْحَمِيسَ مُبَارَكِ الْحَرَكَاتِ
فِي الْإِنْبَادِ وَالْإِتِهَامِ
مُتَمَقِّلًا مِثْلَ الْبُدُورِ وَسَائِرَا
بِئْدَاكَ فِي الْآفَاقِ سَيْرَ عَمَامِ
جَادَتْ عَلَى سُكَانِ مِصْرَ غَيُومُهُ
وَدَهَتْ صَوَاعِقُهُ فَرَنَجَ الشَّامِ
وَتَعَاهَدَتْ مِنْهَا حِصَادَ الْهَامِ
فَرَدَّا بِجَيْشٍ لَا يُطَاقُ لُهَا^(٢)
وَلَهَا بِقَرْعِ النَّبْعِ أَيْ ضِرَامِ^(٣)
طَعْمَ الرَّدَى وَالصَّارِمِ الصَّمْصَامِ^(٤)
تُغْنِي الْكُمَاةَ عَنْ أَدْرَاعِ اللَّامِ^(٥)
فَأَبَى تَنَاوُلَهَا عَلَى الْمُسْتَامِ

- (١) أصحاب العبادة (هم النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام علي، والحسن، والحسين، وفاطمة) سموا بذلك لأن الذي دعاهم وغطاهم بعبادة، فنزلت فيهم آية «لنما يريد الله ليزهبن عنكم الرجس أهل البيت ويعطوكم تطهيرا» . (٢) هَام : عظيم . (٣) ه : بقرع .
(٤) الصميم : الخالص . كَأَنَّهَا : شجعانها . الردى : الموت . والصمصام : الذي لا ينثنى .
(٥) سَابِغَات : جمع سَابِغَة ، أى طويلة وافية . ادْرَاع : لبس الدرع . وَاللَّام : جمع لامة ، وهى الدرع . ويقال بالهمز أيضا .

اللَّهُ أَفْلامُ الْوَزِيرِ فَإِنَّهَا نَظَمُ الْعَلَاءِ وَمَفَاتِحُ الْإِظْلَامِ
 تَسَجَّتْ بُرُودَ بِلَاغَتِيهِ وَأَبْدَتِ الْإِبْدَاعَ فِي الْأَسَادِ وَالْأَجَامِ
 فَالنَّظَمُ مِثْلُ جَوَاهِرِ بَقْلَانِدٍ وَالتَّنْزِيلُ مِثْلُ أَزَاهِرِ بَكِيَامِ
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَوَاقِعِ نَقْشِهَا فِي الطَّرْسِ قُلْتَ أَخِلَّةُ^(١) الرَّمَامِ
 وَرِثْتَ مَكَارِمَهُ بَنُوهُ فَحَبَّذَا كَرَمُ السَّجَايَا مِنْ تَرَاثِ كِرَامِ
 مَا كَانَ إِلَّا الشَّمْسُ فَضْلاً أُعْقِبَتْ مِنْ وَارِثِيهِ بِكُلِّ بَذْرِ تَمَامِ
 أَوْ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَهُ وَمُحَمَّدٌ بَلَغَا مِنْ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَرَامِ
 فَلَيْتَ هَذَا أَنَّ هَذَا صِنُوهُ وَكِلَاهُمَا لِأَبِيهِ حَدُّ حُسَامِ
 ضَاهَتْكُمَا فِي الْمَكْرُمَاتِ بَنُوهُمَا وَالشُّبُلُ فِيمَا قِيلَ كَالضَّرْغَامِ
 بِأَبِيهِ كُلُّ يَقْتَدِي وَبِعَمِّهِ مِنْ أَكْرَمِ الْأَبَاءِ وَالْأَعْمَامِ
 مَوْلَايَ زَيْنَ الدِّينِ يَا مَنْ جُودُهُ كَنْزُ الْعُقَاةِ وَمُهْلِكُ الْإِعْدَامِ
 أَمَّا مَقَامُكَ فِي الصَّلَاحِ فَإِنَّهُ فِيمَا عَلِمْنَاهُ أَجَلُّ مَقَامِ
 بِمَزَادَعِنِكَ أَبُو يَزِيدَ^(٢) وَقَدْ غَدَتْ مِصْرُ مُقْضَلَةً عَلَى بَسْطَامِ
 لَمَّا عَمِلْتَ^(٣) بِمَا عَلِمْتَ مُرَاقِبًا لِلَّهِ فِي الْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ
 طَوَّحْتَ بِالْدُّنْيَا وَقُلْتَ لَهَا اخْلُقِي بِمَعَاشِرِ الْوُزَرَاءِ وَالْحُكَّامِ

(١) الْأَخِلَّةُ : هِيَ النُقُوشُ الَّتِي تَرَسُمُ عَلَى الثِّيَابِ بِالتَّطْرِيزِ .

(٢) هُوَ طَيْفُورُ بْنُ عَيْسَى أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ ، وَلَدَ فِي قَرْيَتِهِ بَسْطَامَ بِخُرَّاسَانَ سَنَةَ ١٦١ هـ وَاخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ
وَفَاتِهِ فَقِيلَ سَنَةَ ٢٣١ هـ أَوْ ٢٣٤ هـ وَذَكَرَ ابْنُ خُلِّكَانَ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ٢٦١ هـ أَوْ ٢٦٤ هـ وَكَانَ زَاهِداً مُتَصَوِّفاً .

(٣) د : لَمَّا عَمِلْتَ بِمَا عَمِلْتَ .

وَنَسِيتَ مَالَهُ يُمْسَ مِنْ لَذَائِهَا وَعَدَدَتْهَا مِنْ جُمْلَةِ الْآثَامِ
 مَوْلَايَ عَذْرَاءُ فِي الْقَرِيضِ فَلَيْسَ لِي فِي النَّظْمِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ الْمَامِ
 لَوْ لَمْ أَرْضُ عَقْلِي بِمَكْتَبِ صَبِيَّةٍ حَمِيتُ عَلَى عَوَارِضِ الْبِرْسَامِ^(١)
 مَا زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ مُعَلِّمًا فَيَكُونَ فَضْلِي مُكْمِلَ الْإِعْلَامِ
 قَدْ صَارَ كُتَابِي وَبَيْتِي مِنْ بَنِي غَيْرِي^(٢) وَأَبْنَائِي كَبُرُجِ حَمَامِ
 أَعْطَيْتُهُمْ عَقْلِي وَأَخَذُوا عَقْلَهُمْ فَأَبِيعُ نَوْرِي مِنْهُمْ بِظِلَامِ
 لَوْ أَنَّ لِي عَنْ كُلِّ طِفْلٍ مِنْهُمْ أَوْ طِفْلَةً شَاءَ مِنَ الْأَنْعَامِ
 لَصَرَبْتُ لِلْأَمْثَالِ لَابِنِ نَفَايَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ
 وَبَلَيْتِي عِرْسٌ بُلَيْتُ بِمَقْتِهَا وَبَلَيْتِي وَشَيْبِي حُجَّةَ
 جَعَلْتُ بِإِفْلَاسِي وَشَيْبِي حُجَّةَ إِذَا صِرْتُ لَخْلَفِي وَلَا قُدَايِ
 بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ الْعَتَى^(٣) وَنُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ وَهْيَ صَبِيَّةِ الْأَرْحَامِ
 إِنْ زُرْتُهَا فِي الْعَامِ يَوْمًا أَنْتَجَتِ وَأَتَتْ لِسْتَهْ أَشْهَرُ بَعْلَامِ
 أَوْ هَذِهِ الْأَوْلَادُ جَاءَتْ كُلُّهَا مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالْقَوَامِ
 وَأُظُنُّ أَنَّهُمْ لِعُظْمِ بَلَيْتِي حَمَلَتْ بِهِمْ لِأَشَكَّ فِي الْأَجْلَامِ
 أَوْ كُلٌّ مَا حَمَلَتْ بِهِ حَمَلَتْ بِهِ مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ نِيَامِ
 يَالَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا أَيْسًا أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَامِ
 أَوْ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِجِي بِهَا لَوْ كَفْتُ بَعْتُ حَلَالَهَا بِحَرَامِ

(١) البرسام : كلمة فارسية أطلقها العرب على التهاب الصدر . (٢) عرس : زوجة .
 (٣) د : غير . (٤) د : الفتي .

أَوْ لَيْتَنِي بِمَعْزُ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ مَنْ يُخَصِّنُ دِينَهُ يَغْلَامِ
كَيْفَ الْخِلَاصُ مِنَ الْبَيْنِ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَرَأَى وَآخِرُونَ أُمَامِي
لَمْ يَرْزُقِ الرَّزْقَ الْمَقِيمَ بِأَهْلِهِ فَشَكُّوا عَنَّا بُعْدِي وَفَقَرُ مُقَامِي
فَارْقَتْهُمْ طَلَبًا لِرِزْقِهِمْ فَلَا صَرْفِي يَسْرُهُمْ وَلَا اسْتِخْدَامِي
مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْعِيَالِ فَإِنَّهُ بَعْلُ الْأَرَامِلِ أَوْ أَبُو الْأَيْتَامِ
أَصْبَحْتُ مِنْ حَمَلِي هُمُومُهُمْ عَلَى هَرَمِي كَأَنِّي حَامِلُ الْأَهْرَامِ
فَإِنْ اعْتَذَرْتُ لَهُمْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي مَدْحِي الْوَزِيرَ فَحُجَّةُ الْأَفْدَامِ
كَالشَّيْبِ يُغْدِقُ بِالْهُمُومِ ذُنُوبَهُ وَالذَّنْبُ فِيهِ لَكَثْرَةُ الْأَعْوَامِ^(١)
لَا بَلَّ رَكِبْتُ لَهُمْ جَوَادَ خِلَافَةٍ مازَالَ يَجْمَعُ بِي بَغِيرَ الْحِلَامِ
إِنِّي أَمْرُوٌ مَامِدَّةَ عَيْنِ خِلَافَتِي طَمَعٌ لِدِينَارٍ وَلَا دِرْهَامِ
وَإِذَا مَدَحْتُ الْأَكْرَمِينَ مَدَحْتُهُمْ بِجَوَائِزِ الْإِعْزَازِ وَالْإِكْرَامِ
فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَن قَوَائِي الَّتِي حَظَّيْتُ لَدَيْكَ بِأَوْفَرِ الْأَقْسَامِ
إِنْ يُحْسِنِي جُودُكَ لِي أَبَادُفٍ غَدَا حَيًّا لَهُ فَضْلِي أَمَا تَمَامِ

وقال يهجو جماعة سرقوا حمارته :

أَرَى الْمُسْتَخْدِمِينَ مَشَوْا جَمِيعًا عَلَى غَيْرِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
مَعَاثِرُ لَوْ وَلُّوا جَنَاتِ عَدْنٍ لَصَارَتْ مِنْهُمْ نَارُ الْجَحِيمِ
فَمَا مِنْ بَلَدَةٍ إِلَّا وَمِنْهُمْ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيمِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ النُّجُومُ لَهَا رُجُومًا إِنْ خَلَّتِ السَّمَاءُ مِنَ النُّجُومِ

وقال أيضا لما دخل إلى المَحَلَّة وعزموا^(١) عليه بنو عَرَّام على دخول الحمام فأدخلوه ، فقال :

كُونُوا^(٢) مَعِيَ عَوْنًا عَلَى الْأَيَّامِ لَا تَحْذُلُونِي يَا بَنِي عَرَّامِ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ وَحَاشَا فَضْلَكُمْ صُرِّي^(٣) لِحُسْبَى زَلْفَةَ الْحَمَامِ

وقال وكتب بها للجناب العالى السابق ، يبسط له فى حق القاضى عماد الدين أبى طلحة
[رحمهم الله أجمعين^(٤)] :

مَا فِي الزَّمَانِ جَوَادٌ يُرْجَى لِدَفْعِ الْعَظَائِمِ^(٥)
وَلَا لِنَيْلِ مُرَادٍ وَلَا لِيَذِلِ الْمَكَارِمِ
سَوَاكَ يَا خَيْرَ وَالٍ يُدْعَى وَيَا خَيْرَ حَاكِمِ
انْظُرْ بِحَقِّكَ حَالِي فَأَنْتَ بِالْحَالِ عَالِمٌ
إِنَّ الْعِمَادَ أَرَانَا بِأَنَّهُ الْيَوْمَ صَائِمٌ
وَلَيْسَ يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخَافُ مَأْتِمِ
وَلَيْسَ يَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ لَا صِيَامَ لِظَالِمِ
وَصَوْمُنَا فِي اتِّبَاعِ لَهُ صِيَامُ الْبَهَائِمِ
فَخُذْ لَنَا الْيَوْمَ مِنْهُ غَدَاءَنَا وَهُوَ رَاغِمٌ

(١) د : وعزموا . (٢) ت : كانوا . (٣) د : صرري .

(٤) ما بين القوسين : زيادة فى ت . (٥) العظائم : الشدائد .

وقال :

سَارَتِ الْعَيْسُ يُرْجَعَنَّ الْحَنِينَا وَيُجَازِبَنَّ مِنَ الشَّوْقِ الْبُرِينَا^(١)
 دَامِيَاتٍ مِنْ حَتَّى أَخْفَافُهَا تَقَطَّعَ الْبَيْدَ سُهُولًا وَحُزُونًا
 وَكَلَى طَوْلٍ طَوَاهَا حُرِمَتْ عُشْبَهَا الْمُخْضَرَّ وَالْمَاءَ الْعَمِينَا
 كَلَّمَا جَدَّ بِهَا الْوَجْدُ إِلَى غَايَةٍ لَمْ تَدْرِهَا إِلَّا ظَنُونَا
 قُلْتُ لِلْحَادِي أَعِذْ أَشْوَاقَهَا بِالشَّرَى إِنْ مِنْ الشَّوْقِ جُنُونَا^(٢)
 آهٍ مِنْ يَوْمٍ بِهِ أَبْكِي دَمًا إِنَّ لِلْعَيْسِ وَلِي فِيهِ شُؤْنَا
 أَسَرْتُ أَلْبَابَنَا لَمَّا سَرَتْ تَحْمِلُ الْحَسَنَ بُدُورًا وَغُصُونَا
 كُلُّ سَمَاءٍ وَمَا أَنْصَفُهَا فَضَحَتْ سُمَرُ الْقَنَا لَوْنًا وَلِينَا
 أَعْدَتِ الْقَلْبَ فُتُورًا وَضَنَى لَيْتَهَا مِنْ وَسَنٍ تُعْدِي الْجُفُونَا^(٣)
 تَغْرُهَا الدَّرَى مِنْ أَنْفَاسِهِ مِسْكُ دَارِينَ وَخَرُّ الْأَنْدَرِينَا^(٤)
 أَخَذَتْ قَلْبِي وَصَبْرِي وَالسَّكْرَى يَوْمَ بَيَعِي النَّفْسَ مِنْهَا أَرْبُونَا^(٥)
 لَا أَقَالَ اللَّهَ لِي مِنْ حُبِّهَا بَيْعَةً يَوْمًا وَلَا فَكَّ رُهُونَا^(٦)
 صَاحِبِي قَفِ بِي فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لِي عَلَى الْوَجْدِ وَلَا الصَّبْرِ مُعِينَا
 وَسَلِ الرَّبْعَ الَّذِي سُكَّاهُ رَحَلُوا عَنْهُ عَاسُهُ أَنْ يُدِينَا
 نَسَخَتْ آيَاتِهِ أَيْدِي الْبَلَى فَأَرَتْ عَيْنِي مِنْهُ الصَّادَ شِينَا^(٧)

- (١) يرجع : يرددن . والبرين : جمع برة ، وهي حلقة توضع في أنف البعير ، ويشد بها الزمام .
 (٢) أعاده : حماه بالتماويل التي تقرأ على المجانين ليفيقوا : أي جعل السرى مكان التعاوين .
 (٣) الوسن : العناس . (٤) الأندرين : موضع بالشام . (٥) الأربون : العربون .
 (٦) أقال البيع : فسخه .
 (٧) الصاد شكله يشبه البيت المعمور ، والشين شكله يشبه البيت الحرب .

وَجَنُوبُ وَشَمَالُ جَعَلَا تُرْبَهُ فِي جَهَنَّمَ الدَّهْرَ غَضُونَا
 قَرَاهُ وَحَصَاهُ أَبَدَا يَفْضُلَانِ الْمِسْكَ وَالذَّرَّ الثَّمِينَا
 سَحَبَتْ فِيهِ الصَّبَا أَذْيَالَهَا بِمَدِيحِي لِإِمَامِ الْمُرْسَلِينَا
 أَحْمَدَ الْهَادِي الَّذِي أُمَّتُهُ رَضِيَ اللَّهُ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينَا
 كَانَ سِرًّا فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ كَوْنٌ أَوْ يَكُونَا
 تَشْرِيقُ الْأَكْوَانِ مِنْ أَنْوَارِهِ كَلَّمَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ جَبِينَا^(١)
 أَسْجَدَ اللَّهُ لَهُ أُمْلَاكُهُ يَوْمَ خَرُّوا لِأَيِّهِ سَاجِدِينَ
 وَدَعَا آدَمُ بِاسْمِ الْمُصْطَفَى دَعْوَةً قَالَ لَهَا الصَّدْقُ أَمِينَا
 فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ هُنَّ كَنْزُ الْمُذْنِبِينَ
 وَبِهِ جَنَاتُ عَذْنٍ رُفِعَتْ عِلْمًا أَبْوَابُهَا لِلْمُسْلِمِينَ
 وَدَعَا أَنْ تَلَكُمُ الدَّارُ لَكُمْ فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
 وَبِهِ نُوحٌ دَعَا فِي فُلْكَهٖ فَأَغَاثَ اللَّهُ نُوحًا وَالسَّفِينَا
 وَأَغَاثَ اللَّهُ ذَا النُّونِ بِهِ بَعْدَ مَا أَغْرَى بِهِ فِي الْبَحْرِ نُونَا^(٢)
 وَشَقَى أَيُّوبَ مِنْ ضُرِّ كَا سَرَّ يَعْقُوبَ وَقَدْ كَانَ حَزِينَا
 وَخَلِيلُ اللَّهِ هَمَّتْ قَوْمُهُ أَنْ يَكِيدُوهُ فَكَانُوا الْأَخْسَرِينَ
 وَبَنُورِ الْمُصْطَفَى إِطْفَاءُ مَا أَوْقَدُوهُ وَتَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ
 وَجَدَّتْهُ أَنْبِيََاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَاجِدًا مَا يَجِدُونَا

(١) الجبين : ناحية الجهة ، وهما جبينان ، عن يمين الجهة وشمالها . والمراد به هنا كل جد من أجداد الرسول . (٢) النون : الحوت .

مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 حَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَجْبُلَ مِنْ آدَمَ طِينًا
 فَهُوَ فِي آبَائِهِمْ خَيْرُ أَبٍ وَهُوَ فِي أَبْنَائِهِمْ خَيْرُ ابْنٍ
 قَدْ عَلَا بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ عَلَا رَجَعَتْ مِنْ دُونِهَا الرُّوحُ الْأَمِينَا
 وَرَأَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الَّذِي رَدَّ مُوسَى دُونَهُ مِنْ طُورِ سِينَا
 وَوَحِيهَا كَانَ مُوسَى عِنْدَهُ مِثْلَمَا قَدْ كَانَ جَبْرِيلُ مَكِينَا
 صَلَوَاتُ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ إِلَيْنَا أَجْمَعِينَ
 أَكْرَمُ الْخَلْقِ هُمُ الرُّسُلُ لَنَا وَأَبُو الْقَاسِمِ خَيْرُ الْأَكْرَمِينَ
 فَتَعَالَى مَنْ بَرَأَ صُورَتَهُ مِنْ جَهَالٍ أَوْدَعَ الْمَاءَ الْمُهَيَّنَا
 وَاصْطَفَى تَحْتَهُ مِنْ دَوْحَةٍ أَنْبَتَتْ أَفْنَانُهَا عِلْمًا وَدِينَا
 مِنْ أَنْاسٍ جَانَبَتْ أَحْسَابُهُمْ طُرُقَ الدِّمِّ شِمَالًا وَيَمِينَا
 مَا رَأَيْنَا كَرَمَ الْأَخْلَاقِ فِي غَيْرِ مَا يَأْتُونَهُ أَوْ يَدْعُونَا
 يَغْضَبُ الْمَوْتُ إِذَا مَا غَضِبُوا وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَا
 مَعَشَرُ صَانِهِمُ اللَّهُ لِأَنَّ يُودَعُوا مِنْ أَحَدِ السَّرِّ الْمَصُونَا
 هَذَبَ السُّودُودُ أَخْلَاقَهُمْ فَلَهُمْ مِنْ شَرَفٍ مَا يَدْعُونَا
 عَجَبًا وَالْمُصْطَفَى الشَّمْسُ الَّذِي ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُبْصِرِينَ
 شَهِدَ الْكَفَّارُ بِالْغَيْبِ لَهُ وَأَتَاهُمْ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ^(١)

(١) الإبلاس : الانكسار والحزن ، يقال أبلس فلان : إذا سكت عما .

أَغْلَقُوا بَابَ الْهُدَى مِنْ دُونِهِمْ بَعْدَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَفْتِحُونَا
وَعَمُوا عَنْهُ فَلَا وَاللَّهِ مَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ لَدَى الْقَوْمِ الْعَمِينَا
وَأَتَاهُمْ بِكِتَابٍ أَحْكَمَ مِنْهُ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
سَمِعْتَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ فَآ أَنْكُرُوا مِنْ فَضْلِهِ الْحَقِّ الْمُبِينَا
عَجَزُوا عَنْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَهُمْ الْيَوْمَ لَهُ مُسْتَسَامُونَ
قَالَ لِلْكَفَّارِ إِذْ أَفْجَاهَهُمْ بِالتَّحْدَى مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ
قَصَّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ مِثْلًا قَصَّ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْأُولَانَا
وَأَتَتْ أَخْبَارُهُ فِي حِكْمٍ فَتَأَمَّلْهَا ثَمَارًا وَفُتُونَا
قَسَمَ الرَّحْمَةُ فِي قُرْآنِهِ وَعَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْمُسْتَقْسِمِينَا^(١)
مَالَهُ مِثْلٌ وَفِي أَمْثَالِهِ أَبَدًا مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَا
رَحِمَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ وَكَمْ أَهْلَكَ اللَّهُ بآيَاتِهِ قُرُونَا

وقال على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر ، إلى الملك الصالح ؛ وكان قد أخرج ثلاثة آلاف دينار صدقة على طلبة المدارس ، وفرض أمرها إلى الفقيه بهاء الدين المسردى ، ففوض أمرها إلى والده الشهاب ، رحمه الله تعالى :

لَيْتَ شِعْرِي مَا مُقْتَضَى حِرْمَانِي دُونَ غَيْرِي وَالْآلِفُ لِلرَّحْمَنِ
أَتَرَانِي لَا أَسْتَحِقُّ لِكَوْنِي جَامِعًا شَمَلَ قَارِئِ الْقُرْآنِ

(١) المستقسمون : هم كفار قريش ، وكانوا يستقسمون بالمهام ، أى يضعون ويقولون أفعل أولا أفعل ، ويعملون بما يظهر لهم مهما كانت نتيجته .

أَمْ لِيَكُونِي فِي إِثْرِ كُلِّ صَلَاةٍ يَدْعَى لِدَوْلَةِ السُّلْطَانِ
وَبَأَى الْأَسْبَابِ يُعْطَى مَكَانَ صَدَقَاتِ السُّلْطَانِ دُونَ مَكَانِ
حُجَلَتِ مِنْ عَطَائِهِ أَلْفُ دِينَارٍ إِلَيْنَا مِنْ بَعْدِهَا أَلْفَانِ
مَا أَتَانِي مِنْهَا وَلَا الدَّرْهَمُ الْقَرْدُ وَهَذَا حَقِيقَةُ الْعُدْوَانِ
زَعَمَ ابْنُ الْبَهَاءِ أَنَّ عَطَايَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
مَا كَفَتْ سَائِرَ الْمَدَارِسِ أَوْ ضُمَّ إِلَيْهَا مِنْ مَالِهَا دِرْهَمَانِ
وَلَعَمْرِي لَقَدْ تَوَقَّرَ نِصْفُ الْمَالِ مِنْهَا وَرَاحَ فِي النَّسِيَانِ
إِنْ أَكُنْ مَا أَقُولُهُ مِنْهُ دَعَا فَاظْلُمُونِي عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
أَوْ مَا كَانَتْ عِدَّةُ الْفُقَهَاءِ أَلْفُ فَقِيهِهِ مِنْ بَعْدِهَا مِثْلَانِ
فَاخْشَوْهَا بِمُقْبَضِي الصَّرْفِ دِينَارًا وَرُبْعًا لِلْحِجَلَةِ الْأَعْيَانِ
تَحْدُودُهَا أَلْفًا وَخَمْسَ مِثَاطٍ غَيْرَ مَا خَصَّهَا مِنَ النُّقْصَانِ^(١)
وَالْيَخَاسِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَى النَّفَقَةِ وَالْبَخْسِ مِنْ يَدِ الْوَرَّانِ
أَنَا لَا أَنْسُبُ الْبَهَاءَ عَلَى ذَا لِكَ إِلَّا لِقِلَّةِ الْإِيمَانِ
هُوَ وَلَّى أَهْلَ الْخِيَانَةِ فِيهَا وَتَوَلَّى الْجَوَادِ كَالْخَوَّانِ^(٢)
كُلَّمَا جَاءَتْ الدَّنَائِيرُ يَنْقُضُ عَلَيْهَا الْبَهَاءُ كَالشَّيْطَانِ
مَدَّ فِيهَا يَدَ الْخِيَانَةِ فَامْتَدَّ إِلَيْهِ بِالذَّمِّ كُلُّ لِسَانٍ

(١) جاء تحت هذا البيت ما نصه : وهو منع الفياض منها ومن حوصص أيضا أو ضمه موضعان (شرح البيت الأخير) كانت ورقة عدة الفقهاء ألفا ومائتي طالب فأخروا عنهم النفقة حتى خرج من خورج من المدرسة أيام البطالة ، فنقص من العدة . وقوله : ومن حوصص يعني طلبة المدرسة . ابن سكري كان أعطى كل طالب ستة . وسلموا ومن ضمه موضعان ، أي يكون اسم الطالب في مدرستين وثلاثة ، فيعطى عن أحدهم وينزل عن الباقي . (٢) ت : هؤلاء أهل الخيانة فيها .

وَلَعَمْرِي لَوْ اتَّقَى اللَّهُ فِي السَّرِّ اتَّقَتُهُ الْأَنَامُ فِي الْإِعْلَانِ
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي مِنْ سُؤَالِهِ أَعْفَانِي
فَلَقَدْ حَلَّ فِي الْمَدَارِسِ فِي الْأَخْذِ كَثْرَةُ الْأَذَى وَالْهَوَانِ
وَأُزِيلَتْ بِالسَّبِّ أَعْرَاضُ مَنْ فِيهَا فَمَا قَامَ الرَّبُّعُ بِالْخُسْرَانِ
كَيْفَ أَنْسَى قَوْلَ الشَّهَابِ جِهَارًا قَبَّحَ اللَّهُ كُلَّ ذِي طَيْسَانِ
خَدَعُونَا وَاللَّهِ بِمَا يَمْدُونَا أَكْفَأَ كَكِفَّةِ الْمِيزَانِ
أَمْ وَاضِيعَةُ الْمَسَاكِينِ إِنْ وَلَّيَ أَمْرَ الطَّعَامِ فِي رَمَضَانَ
وقال يهبجو عامل أسوان :

انْظُرْ بِحَقِّكَ فِي أَمْرِ الدَّوَابِّينِ فَالْكُلُّ^(١) قَدْ غَيَّرُوا وَضَعَ الْقَوَائِنِ
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ إِلَّا تَغْيِيرَ مَنْ عَالٍ إِلَى دُونِ
الكَاتِبُونَ وَلَيْسُوا بِالرَّامِ فَمَا مِنْهُمْ عَلَى الْمَالِ إِنْسَانٌ بِمَا تُؤْنِ
وَالْكُلُّ جَمْعًا يَبْذُلُ الْمَالَ قَدْ خَدَمُوا وَمَا سَمِعْنَا بِهِذَا غَيْرَ ذَا الْحِينِ
فَهُمْ عَلَى الظَّنِّ لَا التَّحْقِيقِ بَذَلُهُمْ وَمَا تَحَقَّقُ أَمْرٌ مِثْلَ مَظْنُونِ
نَالُوا مَنَاصِبَ فِي الدُّنْيَا وَأَخْرَجَهُمْ حُبُّ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا^(٢) عَلَى الدِّينِ
قَدْ طَالَ مَا طَرُدُوا عَنْهَا وَمَا انْظَرَدُوا إِلَّا وَقَوْمٌ عَلَيْهَا كَالذَّبَابِ
وَطَالَمَا قُطِعَ أَذُنَابُ السِّكِلَابِ لَهُمْ^(٣) فَاسْتَخْدِمُوا بَعْدَ تَقْطِيعِ الْمَصَارِينِ

(١) ساقطة من د . (٢) ت : على الدين . (٣) ت : بهم : بدلا من لهم .

قَدْ يَنْفَعُ النَّاسَ حَتَّى الْحَشُّ مِنْ غَرَضٍ وَغَيْرُهُ مِنْ رِيَّاحِينَ وَبَشَنِينَ ^(١)
 ضَمَانُ رِيحٍ يَطِيرُ فَوْقَ طَائِرِهِمْ يَطِيرُ وَالرَّيْحُ شِيَاعٌ بِمَضْمُونِ
 لَوْ أَمَكَنَّ الْقَوْمَ وَزَنَ الْمَالَ لَا تَخْدُوا لَهُ الْمَوَازِينَ مِنْ بَعْدِ الْقَبَائِينِ
 وَمَسَحَهُمْ لِلْسَّمَوَاتِ الْعُلَى افْتَعَلُوا فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ الْمَسَاحُ لِلطَّيْنِ
 وَلَمْ يُبَالُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ مِنْ أَحَدٍ كَلَّا وَلَا رِجُومٍ لِلشَّيَاطِينِ
 عَزُّوا وَأَكْرَمَهُمْ قَوْمٌ لِحَاجَتِهِمْ مَا نَالَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعِزِّ مِنْ هُونِ
 وَطَاعَنُوا النَّاسَ بِالْأَقْلَامِ وَاسْتَلَبُوا مِنْهُمْ بِهَا كُلَّ مَعْلُومٍ وَمَكْنُونِ
 وَمِنْ مَوَاشٍ وَأَطْيَارٍ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ زُرُوعٍ وَمَكْيُولٍ وَمَوْزُونِ
 لَهُمْ مَوَاقِفُ فِي حَرْبِ الشَّرُورِ كَمَا حَرْبُ الْبَسُوسِ وَحَرْبُ يَوْمِ صِفِّينِ
 لَا يَكْتُبُونَ وَصُولَاتٍ عَلَى جِهَةٍ مُفَصَّلَاتٍ بِأَسْمَاءِ وَتَبَيِّنِ
 إِلَّا يَقُولُونَ فِيمَا يَكْتُبُونَ لَهُ مِنَ الْخُفُوقِ وَمَاذَا وَقْتُ تَعْيِينِ
 فَاسْمَعْ وَكَاسِرِ وَحَسَّ الرِّيحِ يَافِطِنًا فَلَسْتَ أَوَّلَ مَقْهُورٍ وَمَغْبُونِ
 هُمْ الْأَصْوَصُ وَمِنْ أَقْلَامِهِمْ عُتْلٌ بِهَا يَسْقُونَ أَمْوَالَ السَّلَاطِينِ
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوفٌ وَمَضْرُفُهُمْ لِلشَّيْخِ يُوسُفَ أَبِي هَبْصِ بْنِ لَطَمِينِ
 وَلِلشَّرَابِ وَتَبَيَّيْتُ الْخَطَاءَ بِهِ يَجْلُو الْعُقَارَ بِأَجْنَسِ الرِّيَّاحِينَ
 وَلِلْعُلُوقِ وَأَنْوَاعِ الْفُسُوقِ مَعًا وَلِلْخُرُوقِ الْكَثِيرَاتِ التَّلَاوِينِ
 وَلِلْبِغَالِ الْوَطِيَّاتِ الرَّكَابِ تَرَى غِلْمَانَهُمْ خَلْفَهُمْ فَوْقَ الْبَرَاذِينِ

(١) الحش بفتح الحاء : النخل القصير الناقص النمو . البشني : نوع من الأزهار .

وَالْمَنَادِيلِ فِي أَوْسَاطٍ مِّنْ مَّكَوَا وَالْمَنَاطِقِ فِيهَا وَالْهَمَائِينَ
وَاللَّرْبَاعِ^(١) الْعَوَالِي الْأَرْتِفَاعِ بِنَا وَلِلدَّسَانِ تَنْشَاً وَالْدَّكَ كَيْنِ
وَالْفَجَاجِ وَخُلَّانِ النَّعَاجِ وَأَطْيَارِ الدَّجَاجِ وَأَنْوَاعِ السَّمَائِينَ
وَاللِّشْبَارِ^(٢) وَاللَّاتَّاعِ تُفْرَشُ فِي تَمْوَزَ فَوْقَ رُحَامٍ فِي الْأَوَائِينَ
وَالْمَجَالِسِ فِي أَوْسَاطِهَا خَرَكُ^(٣) وَلِلطَّنَافِسِ فِي أَيَّامٍ كَانُونَ
وَلَسْتُ^(٤) أَخْضُرُ الْوَانَا لِأَطْعِمَةٍ تَفَنَّنَ الْقَوْمُ فِيهَا كُلَّ تَفَنِينِ
وَالْمَلَايسِ كَمْ ثَوْبٍ مُلَوَّنَةٍ فِيهَا الْعِرَاقِي مَعَ الْهِنْدِيِّ وَالْبُونِ^(٥)
وَكَمْ ذَخَائِرَ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ لَهَا مِثْلُ فَمِنَ مُودَعٍ سَقَقًا وَمَدْفُونِ
وَكَمْ مَجَالِسِ أَنْسٍ عُمِيتَ لَهُمْ تَنْسِي الْهُمُومَ وَتُسْلِي كُلَّ مَحْزُونِ
وَكَمْ حُلِيٍّ نِسَاءً لَا يُثْمَنُهُ مُقَوِّمَ قَطْ فِي الدُّنْيَا بِثَمَمِينَ
فَقُلْ إِسْطَاطَانَ مِصْرٍ وَالشَّامِ مَعَا يَا قَاهِرًا غَيْرَ خَفِيٍّ الْبَرَاهِينَ
وَمَنْ يُخَوِّفُ مِنْ سَيْفٍ رَاحَتِهِ ذَوِي السُّيُوفِ وَأَصْحَابَ السَّكَاكِينِ
اكَشِفْ بِنَفْسِكَ أَسْوَانًا وَمَنْ مَعَهَا مِنْ الصَّعِيدِ بَلَاءَ قَوْمٍ مَسَاكِينِ
عَمَّالِهَا^(٦) قَدْ سَبَّوْهُمْ مِنْ تَطَلُّبِهِمْ مَا لَا يَكُونُ بِمَقْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
كُلُّ تَرَى كَاتِبًا لِلْسُّوءِ يُنْظَرُهُ^(٧) لَمْ يَبْهَمِ كَمْ كَذَا^(٨) عَامٍ وَكَمْ حِينِ
سَبَّوْا الرَّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ وَلَا أَمَانَةَ لِلْقَبِيْطِ الْمَلَاعِينِ

(١) د : للرياح .

(٢) وللشاذي . والصواب الشباري جمع شبرية وهي كلمة عامية تطلق على سرير قوائمه من الخشب وسطحه من حبال متخذة من الليف . (٣) خرك : كلمة تركية ، وهي نوع من الأبسطة (٤) د : وليس .

(٥) البوني : نسبة إلى بون ، كورة في اليمن ، ويفتح الباب بلدة بإفريقية .

(٦) د : عامل (٧) تظلمهم . (٨) ت : يرى .

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقَهَا وَلَا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
وَاخْلَعْزَوْ^(١) هَلَاكُوا وَالْفَرَنْسِيُّ مَعَا
وَإِغْزَنَ عَامِلُ أَسْوَابٍ تَنَالُ بِهِ
وَكُلَّ أَمْنَالِهِ فِي الْقَبْطِ أُغْزُهُمْ
وَأَسْلَبَهُمْ نِعْمًا قَدْ شَاطَرُواكَ بِهَا
فَقَدْ تَوَاطَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْجَعَهَا
وَصَانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إِذَا رَفَعُوا
وَرَبَّحُوهُ فَقَالَ الشَّيْخُ وَالِدُنَا
مِنَّا لَهُ الْعُذْرُ فِيمَا حَلَّ يَقْبَلُهُ
وَاللَّيْثُوتِ وَإِقَادِ الْكُنَائِسِ كَمْ
فَذَاكَ فِي الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ بِهِ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ بَرًّا مِنْ مُصَانَعَةٍ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْهَا مِنْ مُصَانَعَةٍ
كَمْ هَكَذَا سَرَفُوا كَمْ هَكَذَا ظَلَمُوا
أَتْرَكَ ذَنْبٍ^(٥) وَسُؤَالَ لِمَغْفِرَةٍ
وَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَحْصَى مَنَالَهُمْ
فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا وَصَنِي لِأَنْتَرَهَا
وَإِنَّمَا ذَاكَ نَجْهُو دِي وَمَقْدَرَتِي

وَلَا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
وَاخْلَعْزَوْ^(٢) هَلَاكُوا وَالْفَرَنْسِيُّ مَعَا
وَإِغْزَنَ عَامِلُ أَسْوَابٍ تَنَالُ بِهِ
وَكُلَّ أَمْنَالِهِ فِي الْقَبْطِ أُغْزُهُمْ
وَأَسْلَبَهُمْ نِعْمًا قَدْ شَاطَرُواكَ بِهَا
فَقَدْ تَوَاطَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْجَعَهَا
وَصَانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إِذَا رَفَعُوا
وَرَبَّحُوهُ فَقَالَ الشَّيْخُ وَالِدُنَا
مِنَّا لَهُ الْعُذْرُ فِيمَا حَلَّ يَقْبَلُهُ
وَاللَّيْثُوتِ وَإِقَادِ الْكُنَائِسِ كَمْ
فَذَاكَ فِي الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ بِهِ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ بَرًّا مِنْ مُصَانَعَةٍ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْهَا مِنْ مُصَانَعَةٍ
كَمْ هَكَذَا سَرَفُوا كَمْ هَكَذَا ظَلَمُوا
أَتْرَكَ ذَنْبٍ^(٣) وَسُؤَالَ لِمَغْفِرَةٍ
وَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَحْصَى مَنَالَهُمْ
فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا وَصَنِي لِأَنْتَرَهَا
وَإِنَّمَا ذَاكَ نَجْهُو دِي وَمَقْدَرَتِي

يُسْحَبُ عَلَى الْوَجْهِ أَوْ يُقَلَّبُ بِسَجِينٍ^(٤)
وَمِنْ سَحَابٍ بِتَعْرِيكٍ وَتَسْكِينٍ
مِنْ كُلِّ مَسْكِينَةٍ فِيهِ وَمَسْكِينٍ
كَمْ هَكَذَا أَخَذُوا مَالَ السَّلَاطِينِ
عِنْدَ الْإِلَهِ لِقَوْمٍ كَالْجَانِينِ
وَقَامَ فِيهَا بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
فِيَا يَقُومُ بِهِ شَرَحِي وَتَبْيِينِي
وَطَاقَتِي فِي حِجَابَاتِ الثَّعَابِينِ

(١) في ص : هلاكون ، وفي ت : هولاء . (٢) ت : والفرنسي .

(٣) سحت : الخرام . (٤) سجين : واد بهجم .

(٥) د : فترك ذنب أسوال مغفرة . ت : فترك ذنب ولا سؤال مغفرة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقال :

نَكَلْتُ^(١) طَوَائِفَ الْمُسْتَحْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِنِّي شِفَاهًا وَأَنْظِرْنِي^(٢) لِأَخِيرِكَ الْيَقِينَا
فَقَدْ عَاشَرْتَهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ مَعَ التَّجْرِبِ مِنْ عُجْرَى سِينَا
حَوَتْ بُلْبَيْسُ طَائِفَةً لُصُوصًا عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَنَا
فُرَيْجِي^(٣) وَالصَّفِيَّ وَصَاحِبِيهِ أَبَا يَقْطُونَ وَالنَّشَوَ السَّمِينَا
فَكِتَابُ الشَّمَالِ هُمْ جَمِيعًا فَلَا صَحْبَتِ شِمَالَهُمُ الْيَمِينَا
وَقَدْ^(٤) سَرَقُوا الْغِلَالَ وَمَا عَلِمْنَا كَمَا سَرَقَتْ بَنُو سَيْفٍ الْجُرُونَا
وَكَيفَ يُلَامُ فُسَاقُ النَّصَارَى^(٥) إِذَا خَانَتْ عُدُولُ الْمُسْلِمِينَا
وَجُلُّ النَّاسِ خَوَانٌ وَلَكِنْ أَنَاسٌ مِنْهُمْ لَا يَسْتُرُونَا
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا لَبِسُوا حَرِيرًا وَلَا شَرَبُوا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
وَلَا رَبَّوْا مِنَ الْمُرْدَانِ قَوْمًا^(٦) كَأَغْصَانِ يَقْمَنَ^(٧) وَيَنْحَنِينَا
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمْ دُفُونٌ وَلَكِنْ بَعْدَ مَا نَتَفَقَّؤَا^(٨) ذُقُونَا
بَأَى أَمَانَةٍ وَبَأَى ضَبْطٍ أُرْدُ عَنْ الْخِيَانَةِ فَاسِقِينَا
وَلَا كَيْسًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ شَمْعًا وَلَا بَيْتًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَا
وَأَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ جَانِلَاتٌ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا
فَإِنْ^(٩) سَاوَقْتَهُمْ حَرَفًا^(١٠) بِحَرْفٍ فَكُلُّ اسْمٍ يَحْطُؤَا مِنْهُ سِينَا

(١) فوات الوفيات : نقدت . (٢) ت : انظر . (٣) ت : فريجا .

(٤) فوات : فكهم .

(٥) د : قتيان .

(٦) فوات : مردا . (٧) فوات : يملن .

(٨) فوات : حلقوا . (٩) فوات : فقد .

(١٠) بدل « فإن » ساوقتهم حرفًا ، كذا في الأصل ولعلها ساومتهم . وفي رواية الوفيات : ساوقتهم بالفاء .

وَلَا تَحْسَبْ حِسَابَهُمْ صَحِيحًا فَإِنْ بَخَصِمِهِ الدَّاءُ الدَّفِينَا
أَلَمْ تَرَ بَعْضَهُمْ قَدْ خَانَ بَعْضًا وَعَنْ فِعْلِ الصَّفَا سَلَّ الْمَكِينَا
وَلَمْ يَتَقَاسَمُوا^(١) الْأَسْفَالَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْخَ مَا احْتَمَلَ الْغُبُونَا
أَقَامُوا^(٢) فِي الْبِلَادِ لَهُمْ حُبَابَةٌ لِقَبْضِ مُغْلَبَا كَالْمُقْطَعِينَا
وَإِنْ كَتَبُوا لِيُجْنِدِي وَصُولًا عَلَى بَلَدٍ أَصَابَ بِهِ كَمِينَا
وَمَا نَقْدِيَّةُ السُّلْطَانِ إِلَّا مَعَ الْمُسْتَخْدَمِينَ مُجَرَّدِينَا
فَكَمْ رَكِبُوا لِيُخْدَمَتِهِمْ نَهَارًا وَلَيْسَ لَا يَسْأَلُونَ وَيَضْرَعُونَا
وَكَمْ وَقَفُوا بِأَبْوَابِ النَّصَارَى عَلَى أَسْيَافِهِمْ مُتَوَكِّدِينَا
وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْبَرْطِيلُ^(٣) شَيْئًا وَمَا زَادُوا بِهِ إِلَّا دُيُونَا
كَأَنَّهُمْ نِسَاءٌ مَاتَ بَعْلُ لَهُ وَلَدٌ قَوْرَتْنِ الثَّمِينَا^(٤)
وَقَدْ تَعَبَتْ خِيُولُ الْقَوْمِ مِمَّا يَطُوفُونَ الْبِلَادَ وَيَرْجِعُونَ
عَذَرُهُمْ إِذَا بَاعُوا حَوَالَا تِهِمْ بِالرُّبْعِ لِلْمُسْتَخْدَمِينَا
وَأَعْطَوْهُمْ بِهَا عَوَضًا^(٥) فَكَانُوا لِنِصْفِ الرُّبْعِ فِيهِ خَاسِرِينَا
أَمْوَالَنَا^(٦) الْوَزِيرُ غَفَلَتْ عَمَّا يُهَيِّئُ مِنَ الْكِلَابِ الْخَالِئِينَا
أَتُطْلَقُ جَامِكِيَّاتِ^(٧) الْقَوْمِ وَتُنْفَقُ فِيءُ قَوْمٍ آخِرِينَا
فَلَا تَهْمِلُ أُمُورَ الْمَلِكِ حَتَّى يَذِلَّ الْجُنْدُ لِلْمُتَعَمِّمِينَا
فَهَلْ مَلَكَوْا بِأَقْلَامٍ قِلَاعًا وَهَلْ فَتَحُوا بِأَوْرَاقٍ حُصُونَا

(١) ت : ولم يتقاسم . الأسفال : هكذا في الأصل ولعلها الأسفال بالعين ، جمع سفل يفتح فكون

أو سفل على وزن كفف ومعناه : المتخدد المهزول .

(٢) ت : وقاموا . (٣) البرطيل : الرشوة .

(٤) الثميننا : تصغير الثمن وهو ما يخص الزوجة ذات الأولاد من ميراث زوجها .

(٥) ت : عرضا . (٦) فوات : أموال . (٧) جامكيات : كلمة فارسية معناها معاشات .

وَمَنْ قَتَلَ الْفَرَنْجَ أَشَدَّ قَتْلٍ وَمَنْ أَسَرَ الْفَرَنْسِيَّ سِوَا الْلَّعِينِ
 وَمَنْ خَاضَ الْهَوَاجِرَ وَهُوَ ظَالِمٌ إِلَى أَنْ أُورِثَ التَّعَرُّ الْمُنُونَا
 وَلَا قُوَّةَ الْمَوْتِ دُونَ حَرِيمٍ مُضَرٍّ وَصَانُوا الْمَالَ مِنْهُمْ وَالْبَيْنِ
 وَلَمْ يَتُخَذْ كَمَا أُخِذَتْ دِمَشْقُ وَلَا حُصِرَتْ كَمَيَّا فَارِقِينَا
 وَمَا أَخَذَ أَحَقُّ بِأَخْذِ مَالٍ مِنَ الْأَنْرَاكِ وَالْمُتَجَدِّبِنَا^(١)
 وَمَنْ لَمْ يَذْخِرْ فَرَسًا جَوَادًا لِوَاقِعَةٍ وَلَا سَيْفًا مِمَّنَا
 فَبَعْدَ الْمَوْتِ قُلْ لِي أَيْ شَيْءٍ لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ
 إِذَا أَمَّاؤُنَا قِيلُوا الْهَدَايَا وَصَارُوا يَنْتَجِرُونَ وَيَزْرَعُونَ
 فَلَمْ لَا شَاطَرُوا فِيمَا اسْتَفَادُوا كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يُفْعَلُونَ
 وَكَلَّمَهُمْ عَلَى مَالِ الرِّعَايَا وَمَالِ رِعَايَتِهِمْ يَتَحَيَّلُونَ
 تَحَيَّلَتْ^(٢) الْقُضَاةُ فَخَانَ كُلُّ أَمَانَتِهِ وَسَمَوُهُ الْأَمِينَا
 وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهُ الْعَدْلَ ظُلْمًا وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مُبِينَا
 وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مُضَرٍّ سِوَى مَنْ مَعَشَرَ يَتَأَوَّلُونَا
 يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حُقُوقُ بِهَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى الْآخِذِينَا
 وَقَالَ الْقَبِيطُ إِنَّهُمْ بِمِصْرَ الْمُلُوكِ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونَا^(٣)
 وَحَلَّتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتِ لَهُمْ مَالِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا
 فَلَا تَقْبَلُ مِنَ النَّوَابِ عُدْرًا وَلَا النَّظَارِ فِيمَا يُهْمَلُونَا

(١) د : المستخديننا . (٢) د : تفقحت .

(٣) هذا البيت ورد في وفات الوفيات هكذا :

وقال القبط نحن ملوك مصر وإن سواهم هم غاصبوننا

فَلَا تَسْتَأْصِلِ الْاَمْوَالَ حَتَّى
وَالَا اَيُّ مَنَفَعَةٍ يَقُومُ
اَلَيْسَ الْاِخِذُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَأَنَّ الْكَازِبِينَ الْمَالَ مِنْهُمْ
تَوَرَّعَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوْا
وَقِيلَ لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ
فَلَا تَقْبَلْ عَفَافَ الْمَرْءِ حَتَّى
وَلَا تُغْنِبِ لَهُمْ عُسْرًا إِذَا مَا
فَإِنَّ الْأَصْلَ يَعْرِى عَنْ تِمَارٍ
فَإِنَّ قَطَارِعَ الْعُرَبَانِ صَارَتْ
فَوَلَّى أَمْرَهَا ابْنُ أَبِي مُلَيْسَحٍ
وَنَاطَحَ وَهُوَ أَفْرَعُ كُلِّ كَبْشٍ
وَقَدْ شَهِدَتْ بِذَاهِلِهَا سُورِدٌ
وَكَمْ رَاعَتْ لِبَعْلَتِهِ شِمَالًا
وَلَوْلَا ذَاكَ مَا وُلُّوا فِرَارًا
إِذَا نَثَرُوا الدَّرَاهِمَ فِي مَقَامٍ
إِذَا جَبِشَتْ (٢) جَيْشًا فِي غَزَاةٍ
يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينَ
إِذَا اسْتَحَفَّظَتْهُمْ لَا يَحْفَظُونَا
لِمَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ حَاشِنِينَ
أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
مِنَ الزَّهَّادِ وَالْمُتَوَرَّعِينَ
وَقَدْ مَلَّثُوا مِنَ السُّخْتِ الْبُطُونَا
تَرَى أَتْبَاعَهُ مُتَعَفِّفِينَ
غَدَتْ أَلْزَامُهُ مُتَمَوِّلِينَ
وَأُورَاقٍ وَيَكْسُوهَا الْفُصُونَا
لِعُمَالٍ لَهَا مُسَارِفِينَ
فَأَصْبَحَ لَا هَزِيلَ وَلَا سَمِينَا
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصَابَ لَهُ قُرُونَا
وَهَلْبَا بَعْجَةٌ (١) حَرْبًا زَبُونَا
وَكَمْ رَاعَتْ لِبَعْلَتِهِ يَمِينَا
مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ لَطُورِ سِينَا
ظَنَنْتَ بِهِ الدَّرَاهِمَ يَا سَمِينَا
تَرَى كُتَابَهُمْ مُتَبَايِرِينَ

(١) هلبا سويد وهلبا بعبجة : بلدتان من أعمال بلبيس .

(٢) ت : جهزت .

وَإِنْ رَجَعُوا إِلَى الْأَرْضِ مِنْكُمْ^(١) بِخَيْرٍ
وَقَدْ ثَبَّتَتْ عِدَاؤُهُمْ فَمَعِزٌّ
وَلَمَّا أَنْ دَعُوا لِلْبَابِ قُلْنَا
وَكأنُوا قَدْ مَضَوْا وَهُمْ غُرَاةٌ^(٢)
وَصَارُوا يَشْكُرُونَ السَّجْنَ حَتَّى
فَقُلْتُ لَعَلَّكُمْ فِيهِ وَجَدْتُمْ
فَقَالُوا : لَا وَلَكِنَّا أَسَانَا
وَقُلْنَا : الْمَوْتُ مَا لَا يَدُّ مِنْهُ
فَلَمْ تَتْرُكْ مِنَ الْأَقْوَالِ شَيْئًا
نُحِيلُ عَلَى الْبِلَادِ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَإِنْ مَنَعُوا تَقُولْنَا عَلَيْهِمْ
وَجَهَرْنَا وَلَاةَ الْحَرْبِ لَيْلًا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ
فَجِئْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا
وَجِئْنَا بِمَشَارِفِ^(٣) بُعِثُوا شُهُودًا
وَمَنْ أَلْفَ الْحَيَاةَ كَيْفَ يُرْجَى
وَمَا ابْنُ قُطَيْبَةَ^(٤) إِلَّا شَرِيكَ

فَلَمْ تَرَ كَاتِبًا إِلَّا حَزِينًا
بِعَيْنِكَ مَنْ يَكُونُ لَهُ مُعِينًا
بِأَنَّ الْقَوْمَ لَا يَتَخَلَّصُونَ
فَجَاءُوا بَعْدَ ذَلِكَ مُكْتَسِبِينَ
تَمَتَّى النَّاسُ لَوْ سَكَنُوا السُّجُونَ
بِطُولِ مَقَامِكُمْ مَا لَا دَفِينَا
بِأَنْفُسِنَا وَخَالَفْنَا الظُّنُونَا
فَإِذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَا
وَخَاطَرْنَا وَجِئْنَا سَالِمِينَ
أُنَاسًا يَعْسِفُونَ وَيَظْلَمُونَا
بِأَنَّهُمْ عُصَاةٌ مُفْسِدُونَ
عَلَى أَنْ يَكْذِبُواهُمْ مُضْبِحِينَ
وَصَلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
وَجَاءُوا بِالرَّجَالِ مُصَفِّدِينَ
فَإِنَّ مِنَ الْوُثُوقِ بِهِمْ جُنُونَا
لَهُ أَنْ يَحْفَظَ الْأَصْرَ الْخُنُونَا
لَهُ فِي كُلِّ مَا يَتَخَفَفُونَا

(١) ت : أرضهم . (٢) د : ولهم . (٣) ت : مشاف .

(٤) قطية : بلدة في مديرية الشرقية بالقرب من العاصمية .

أَغَارَ عَلَى قُرَى فَأَقُوسَ مِنْهُ
وَجَاسَ خِلَالَهَا طُولًا وَعَرَضًا
فَسَلَ أَذْنَيْنِ^(٢) وَالْبَيْرُوقَ عَنْهُ
فَقَدْ نَسَفَ التَّلَالَ الْحُمْرَ نَسْفًا
وَصَيَّرَ عَيْنَهَا حِمْلًا وَلَكِنْ
وَأَصْبَحَ شُعْلُهُ تَحْصِيلَ نَبْرٍ
وَقَدَّمَهُ الَّذِينَ لَهُمْ وَصُولُ
وَفِي دَارِ الْوِلَايَةِ^(٣) أَيْ نَهَبٍ
وَمَا فِرْعَوْنُ^(٤) فِيهَا غَيْرَ مُوسَى
إِذَا أَلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ
وَفِيهَا عُصْبَةٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ
وَشَاهِدُهُمْ إِذَا اتَّهَمُوا يُوَدَّى^(٥)
وَمَنْ يَسْتَعْطِ بِالْأَقْلَامِ رِزْقًا
وَكُنْتُ مُبَرِّئًا كُتَّابَ دَرَجٍ
فَهَاكَ قَصِيدَةٌ فِي السَّرِّ مَنَى
بِحُجُورٍ^(١) يَمْنَعُ النَّوْمَ الْجُفُونَا
وَوَاحِدَ عَالِيَا مِنْهَا حُزُونَا
وَمَنْزِلَ حَاتِمٍ وَسَلِ الْعَرِينَا
وَلَمْ يَتْرُكْ بَعْرَصَتَهَا جُرُونَا
لِمَنْزِلِهِ وَغَلَّتْهَا خَزِينَا
وَكَانَتْ رَاوُهُ مِنْ قَبْلُ نُونَا
فَتَمَّمَ نَقْصَهُ صِلَةُ الَّذِينَ
فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِبِينَ
يَسُومُ الْمُسْلِمِينَ أَذَى وَهُونَا
تَلَقَّفَتِ الْقَوَافِلَ وَالسَّفِينَا^(٥)
عَلَى كُلِّ الْوَرَى يَتَمَصَّيُونَا
عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةَ وَالْيَمِينَا
تَجِدُهُ عَلَى أَمَانَتِهِ ضَمِينَا^(٧)
إِذَا اتَّهَمْتَ لَدَى النَّاسِخُونَا
حَوَتْ مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ فُنُونَا

(١) ت : بجور . د : لجور (٢) د : أذنين (٣) فوات : الوكالة

(٤) هذا الشطر ورد في فوات الوفيات هكذا : فقام بها يهودى غيبى

(٥) ت : السينيا (٦) د : بقيوا . ت : بقيت . (٧) ظنينا

وقال لما سُرقت حماته :

قُلْتُ لَكُمْ عِنْدَ الشَّرَاقِ مُبَلِّغٌ أَخَذِي عَنِ الْمَذْكَورِ مَامَعْنَاهُ
لَا تَجْمَعُونِي فِي الْحَيْرِ كَنَظْمٍ سَرَقَتْ يَدَاهُ فَقَطَعْتَ أَذْنَاهُ

في بَعْضِ^(٢) توار يخ مصر أن الملك الظاهر عين أربعة نضاه. لكل مذهب قاضيا؛ فنظم
البوصيري هذه الأبيات :

غَدَا جَامِعُ ابْنِ الْعَاصِ كَهْفَ أُمَّةٍ فَفِيهِ كَهْفُ لِلْأُمَّةِ جَامِعُ
لَقَدْ سَرَقْنَا أَنْ الْقَضَاءِ ثَلَاثَةٌ وَأَنْتَ تَاجُ الدِّينِ لِلْقَوْمِ رَابِعُ
بِهِمْ بَنِيَّةُ الْإِسْلَامِ صَحَّتْ وَكَيْفَ لَا تَصِحُّ وَهُمْ أَرْكَانُهَا وَالطَّبَائِعُ
فَهُمْ رُخْصًا أَبَدُوا لَنَا وَعَزَائِمًا هُدَيْنَا بِهَا فَهِيَ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
فَلَا تَبْتَئِسْ إِنْ وَسَّعَ اللَّهُ فِي الْهَدَى مَذَاهِبَنَا بِالْعِلْمِ وَاللَّهُ وَاسِعُ
تَفَرَّقَتْ الْآرَاءُ وَالْدِّينُ وَاحِدٌ وَكُلٌّ إِلَى رَأْيٍ مِنَ الْحَقِّ رَاجِعُ
فَهَذَا اخْتِلَافٌ جَرَّ لِلخَلْقِ رَاحَةً^(١) كَمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

القصيدة الْمُضَرَّبَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ^(٣) :

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَاجْمَعْ الرُّسُلَ مَاذُ كَرُّوا
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَشِيعَتِهِ وَصَحْبِهِ مَنْ لَطَى الدِّينَ قَدْ نَشَرُوا
وَجَاهِدُوا مَعَهُ فِي اللَّهِ وَاجْهَدُوا وَهَاجَرُوا وَلَهُ أَوْزَا وَقَدْ نَصَرُوا
وَبَيَّنُوا الْفَرَضَ وَالسَّنُونَ وَاعْتَصَبُوا لِلَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَانْتَصَرُوا

(١) هكذا في الأصل .

(٢) هذه القصيدة وردت في « ت » ولم ترد في د : ولذلك وضعتها في نهاية الديوان

(٣) نقلتها عن المجوعة الكبرى في القصائد الفخرى لطبع تركيا ص ٧٠ .

أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا يُعْطَرُ الْكَوْنُ رَبًّا نَشْرِهَا الْعَطِرُ
مَفْتُوحَةً بِعَبِيرِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً مِنْ طَيِّبِهَا أَرْجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ
عَدَدَ الْخَصَى وَالْتَرَى وَالرَّمْلِ يَنْبَعُهَا نَجْمُ السَّمَاءِ وَنَبْتُ الْأَرْضِ وَالْمَدَرُ
وَعَدَدَ مَا حَوَتْ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ وَكُلُّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ
وَعَدَدَ وَزْنِ مَنَاقِيلِ الْجِبَالِ كَذَا يَلِيهِ قَطَرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ
وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْأَنْمَاطِ مَعَ نَعَمٍ يَتَلَوْنَهُمُ الْجِنُّ وَالْأَمْلاكُ وَالْبَشَرُ
وَالذَّرُّ وَالنَّمْلُ مَعَ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالْأَرْيَاشُ وَالْوَبَرُ
وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا وَعَدَدَ نِعَمَاتِكَ الْآلَاتِ مَنَنْتَ بِهَا
وَعَدَدَ مِقْدَارِهِ السَّامِيِّ الَّذِي شَرُفَتْ وَغَدَدَ مَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ يَاسَنْدِي
فِي كُلِّ طَرْفَةٍ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِهَا وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّورُ
مِلءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَعَ جَبَلٍ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ أَوْ يَذَرُ
مَا أَعْدَمَ اللَّهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعَهُ وَالْفَرَشُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْبِيُّ وَمَا حَصَرُوا
تَسْتَفْرِقُ الْعَدَمَ مَعَ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا دَوْمًا صَلَاةً دَوْمًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
لَا غَايَةَ وَإِنْهَاءً يَا عَظِيمُ لَهَا يُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ
مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدَرْتَهُ مِنْ عَدَدٍ وَلَا لَهَا أَمَدٌ يَقْضَى وَيَنْتَظَرُ
وَعَدَدَ أَضْعَافٍ مَا قَدَرْتَهُ مِنْ عَدَدٍ رَبًّا وَضَاعَفَهَا وَالْفَضْلُ مُنْتَشِرُ
كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا مَعَ ضِعْفٍ أَضْعَافِهِ يَأْمَنُ لَهُ الْقَدَرُ
وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي أَمْرَتِنَا أَنْ نُصَلِّيَ أَنْتَ مُقَدَّرُ
أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قُلُوا وَإِنْ كَثُرُوا أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قُلُوا وَإِنْ كَثُرُوا

يَا رَبِّ وَاغْفِرْ لِنَالِيهَا وَسَامِعِهَا
وَوَالِدَيْنَا وَأَهْلَيْنَا وَجِيرَتَنَا
وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغَيْهِ أَشْغَانِي
أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْجُمَنَا
يَا رَبِّ أَعْظِمْنَا لَنَا أَجْرًا وَمَغْفِرَةً
وَكُنْ لَطِيفًا بِنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
بِالْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ
تُمِّمُ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
تُمِّمُ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ
وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ
وَجَدُّ لُعْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمَلَتْ
كَذَا عَلَيَّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمِّهِمَا
سَعْدُ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةُ وَأَبُو
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ قَاطِبَةً

القصيدة الحمديّة للإمام البوصيري^(١) :

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ
مُحَمَّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعَةٌ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

(١) نقلتها عن المجموعة الكبرى المتقدم ذكرها .

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسُلِ اللَّهِ قَاطِبَةٌ
 مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ
 مُحَمَّدٌ حُبِيتَ بِالنُّورِ طِينَتُهُ
 مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ
 مُحَمَّدٌ مُجْمَلٌ حَقًّا عَلَى عِلْمٍ
 مُحَمَّدٌ ذَكَرَهُ رُوحٌ لِأَنفُسِنَا
 مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
 مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ
 مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخَيْرَتُهُ
 مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلصَّيْفِ مَكْرُمَةٌ
 مُحَمَّدٌ طَابَتْ الدُّنْيَا بِبِعْتَتِهِ
 مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعَثَ النَّاسَ شَافِعِنَا
 مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمٍ

القصيدة الهائية للإمام البوصيري^(١) :

الصُّبْحُ بَدَأَ مِنْ طَلْعَتِهِ
 فَاقَ الرُّسُلَا فَضْلًا وَعِلًّا
 كَنَزُ الْكَرَمِ مُوَلَّى النِّعَمِ
 وَاللَّيْلُ دَجَا مِنْ وَفْرَتِهِ
 أَهْدَى السُّبُلَا لِدَلَالَتِهِ
 هَادِي الْأُمَمِ لِشَرِيعَتِهِ

(١) نقلتها عن المجوعة المتقدم ذكرها .

أَذْكَى الذَّنْبِ أَعْلَى الْحَسْبِ كُلُّ الْعَرَبِ فِي خِدْمَتِهِ
 سَعَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الْحَجَرُ شُقَّ الْقَمَرُ بِإِسَارَتِهِ
 جَبْرِيلُ أُنَى لَيْلَةٍ أُسْرَى وَالرَّبُّ دَعَاهُ لِحَضْرَتِهِ
 نَالَ الشَّرَفَا وَاللَّهُ عَفَا عَمَّا سَلَفَا مِنْ أُمَّتِهِ
 فُحِّمَدْنَا هُوَ سَيِّدُنَا فَالْعِزُّ لَنَا لِإِجَابَتِهِ

أبيات وقصائد للبوصيري وردت في فوات الوفيات .

قال فيمن اسمه عمرو ، وعلى عينيه فص :

سَمَوُهُ غَمْرًا فَصَحَّفْنَا اسْمَهُ غَمْرًا
 قَبَيْنَ الدَّهْرِ مِنَّا مَوْضِعَ الْغَلَطِ
 فَأَصْبَحَتْ عَيْنُهُ غَيْنًا بِنُقْطَتِهَا
 وَطَالَمَا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقْطِ

وقال من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ
 وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُغْوَنَهُ
 أَبَتْ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ
 إِنَّ حَيَّ لَا يَدْخُلُ الْقَيْنِنَهُ
 كَيْفَ أَغْصَى الْهَوَى وَطِينَهُ قَلْبِي
 بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمٍ مَعْجُونَهُ
 سَلَبَتْهُ الرُّقَادَ بَيْضَةُ خِدْرِ
 ذَاتُ حُسْنٍ كَالدَّرَةِ الْمَكْنُونَهُ
 سُمِّهَا قُبْلَةٌ تُسَرُّ بِهَا النَّفْسُ فَقَالَتْ كَذَا أَكُونُ حَزِينَهُ
 قُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ تَسِيرِي إِلَى اللَّهِ
 أَرِ فَقَالَتْ : عَسَى أَنَا مَجْنُونَهُ
 قُلْتُ سِيرِي فَإِنِّي لَكَ خَيْرُ
 مِنْ أَبِي رَاحِمٍ وَأُمِّ حَنُونَهُ
 أَنَا نِعَمَ الْقَرِينُ إِنْ كُنْتَ تَبْغِينَ حَلَالًا
 وَأَنْتِ نِعَمَ الْقَرِينَهُ
 قَالَتْ : اضْرِبْ عَنِ وَصْلٍ مِثْلِي صَفْحًا
 وَاضْرِبِ الْخَلَّ أَوْ يَصِيرَ طَحِينَهُ
 لَا أَرَى أَنْ تَمْسَنِي يَدُ شَيْخٍ
 كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لِطَشَتِي مَشِينَهُ

قُلْتُ : إِنِّي كَثِيرٌ مَالٍ فَقَالَتْ هَبْكَ أَنْتَ الْمُبَارِزُ الْقَارُونَ
سَيِّدِي لَا تَخَفْ عَلَى خُرُوجَا فِي عَرُوضِي فَقَطِنْتِي مَوْزُونَةً
كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبَرَنِي لَا تُكَذِّبْ فَإِنِّي بِقَطِينَةٍ
وقال، وكتب بها إلى بعض الأصدقاء :

قُلْ لِعَلِّي الَّذِي صَدَّقْتُهُ عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤَمَّنَةً
أَخُوكَ قَدْ عُوِّدْتَ طَبِيعَتُهُ بِشِرْبَةٍ فِي الرَّيْسِ كُلِّ سَنَةٍ
وَالآنَ قَدْ عَفَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ هَدَّتْ قُورَاهُ وَجَفَفَتْ بَدَنُهُ
وَعَاوَدَتْ يَوْمَهَا زيارَتُهُ وَمَا اعْتَرَاهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ سَنَةٍ
وَعَادَ عِنْدَ الْقِيَامِ يَحْمِلُهَا بِرَاحَتِهِ كَأَنَّهَا زَمِنَةٌ
جِئْتُ بِهَا لِلطَّيِّبِ مُسْتَكِيًّا وَدَمَعَتِي كَالْعَوَارِضِ الْهَتِنَةِ
فَقَالَ عُدْلِي إِذَا اخْتَمَيْتَ وَكُلُّ فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجَاجَةٌ دَهْنَةٌ
كَيْفَ وَصُولِي إِلَى الدَّجَاجَةِ وَالسَّبِيضَةِ عِنْدِي كَأَنَّهَا بَدَنَةٌ
جَزَاكَ رَبِّي إِذَا انْمَهَلْتُ بِمَا شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَرِيَةٍ حَسَنَةٍ
وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيْ سِر
طَمَسَ الْيَمِينَ بِكُوكِبٍ وَسَيَطَمُسُ الْيُسْرَى بِفَجَرٍ
وقال في الشيخ ^(١) زين الدين الرِّعَاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِّيَّةِ شَاعِرٌ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يَهْجَا
وَشِعْرِي بِحَرْمٍ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يَقْطَعُ الرِّعَادُ ^(٢) يَوْمًا لَهُ لُجَا

(١) كان يعمل خياطاً بالمحلة ويقول الشعر .

(٢) في كلمة « الرِّعَاد » تورية ، فهي اسم الشاعر ، واسم النوع من السمك .

أبيات للبوصيريّ وجدتها على الورقة الأولى من كتاب « الفاضل، من إنشاء الفاضل » ،
لابن نباتة مخطوط رقم ٧٠٦٥ أدب - المكتبة الأزهرية بالقاهرة .

فِدَاؤُكَ مَنْ إِذَا رُمْتُ امْتِنَانًا عَلَى لَهُ أَبَى إِلَّا امْتِنَاعًا
فَلَا عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ تُجَازَى وَلَا لِي عِنْدَهُ ذِمَّةٌ تُرَاعَى
أَبَاسُهُ وَأَخْذَرُهُ كَأَنِّي أُمَارِسُ مِنْ خَلَاتِقِهِ السَّبَاعَا
فَلَا أَنَا آمِنٌ مِنْهُ ضِرَارًا وَلَا هُوَ آمِلٌ مِنِّي انْتِفَاعًا
فَلَسْتُ أَوْدُهُ إِلَّا رِيَاءَ وَلَيْسَ يَوْدُنِي إِلَّا خِدَاعًا
أَصْعَتُ حُقُوقَهُ وَأَضَاعَ حَقِّي فَيَالِكَ صُحْبَةً ذَهَبَتْ ضِيَاعَا

وقال يمدح أبا العباس المُرسي . وهذه الأبيات وردت في كتاب لطائف المنن
« في مناقب ^(١) أبي العباس المُرسي وشيخه أبي الحسن » تأليف ابن عطاء الله السكندري .

أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَهِيَ بَذْلُ نَفْسٍ فَتَنَعَمِي يَا مُهْجَتِي بِالْبُوسِ
بَذْلَ الْمُحِبِّ لِمَنْ أَحَبَّ دُمُوعَهُ وَطَوَى حَشَاهُ عَلَى أَحَرِّ رَسِيسِ ^(٢)
صَدَقَ وَقُلْ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ امْرُؤٌ بِجُلُوسِ
قَبْلِ الْإِلَهِ تَقَرُّبِي بِمَدِيحِهِ وَتَوَجُّهِي لِجَنَابِهِ الْحَرُوسِ
رُمْتُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَعْجَزَنِي الشَّرَى وَأَبَاحَنِي مَرَاهُ غَيْرَ يَتُوسِ
أَكْرَمَ يَوْمٍ الْأَرْبَعَاءَ زِيَارَةً لَكَ إِنَّهُ عِنْدِي كَأَلْفِ حَمِيسِ
كُلُّ اتِّصَالٍ السَّعِيدِ سَعِيدَةٌ بِمَثَابَةِ التَّثْلِيثِ وَالتَّسْدِيسِ

(١) انظر هامش لطائف المنن للشعراني (الجزء الثاني ص ٢٦ ط الميمنية بمصر) .

(٢) الرئيس : ابتداء الحمى .

شَرَفًا لِشَاذِلَةٍ وَمَرْسِيَةً سَرَتْ لَهَا الرِّبَاةُ مِنْ أَجْلِ رَئِيسٍ
مَا إِنْ نَسَبْتُ إِلَيْهِمَا شَيْخِيهِمَا إِلَّا جَلَوْنَهُمَا جِلَاءَ عُرُوسٍ
وقال^(١) :

تَجَنَّبْ أَحَادِيثَ الْحَسُودِ فَوَاجِبُ تَجَنُّبِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَكُلُّ حَسُودٍ مَا عَدَّتْهُ مَلَامَةٌ وَكُلُّ لَنِيمٍ مَا عَلَيْهِ مُعَوَّلٌ
مَتَى قَالَ عَنِّي الشُّوءُ عِنْدَكَ إِنَّهُ كَذَلِكَ يَقُولُ الشُّوءُ عَنْكَ وَيَنْقُلُ
وقال^(٢) فِي الْمَرْكَبِ الَّتِي فَوْقَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

بِقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ سَفِينَةٌ رَسَتْ مِنْ بِنَاءِ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُلُودِ
وَمُذْ غَاضَ طُوفَانُ الْعُلُومِ بِمَوْتِهِ اسْمُ
تَوَى الْفُلَاكُ فِي ذَاكَ الضَّرِيحِ عَلَى الْجُودَى
وفي^(٣) كِتَابِ السُّلُوكِ لِلْمَقْرِزِيِّ مَا نَصَهُ :

وَاتَّقِ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ شَرْفَ الدِّينِ الْبُوصَيْرِيَّ رَأَى فِي مَنَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَ الْأَشْرَفَ
إِلَى عَكَ قَائِلًا يَنْشُدُهُ :

قَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَكَ وَأَشْبَعُوا الْكَافِرِينَ صَا
وَسَاقَ سُلْطَانَنَا إِلَيْهِمْ خِيَلًا تَدْكُ الْجِبَالَ دَكًا
وَأَقْسَمَ التَّرْكُ مِنْذُ سَارَتْ لَا تَرَكَوْا لِلْفَرَنْجِ مُلْكًا

(١) هذه الأبيات وردت في نسب البوصيري للسيوطي ، مخطوط ، رقم ٥٠٣٧ — أدب ورقة رقم ١٨٧
دار للكتب بالقاهرة وفي كتاب المقفى للمقريزي لوحة رقم ٢٥١ مخطوط رقم ٥٣٧٢ تاريخ دار الكتب .
(٢) الجزء الأول : القمم الثالث ص ٧٦٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٩
(٣) مخطوط المقريزي ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

ولما مات ^(١) صاحب فخر الدين، ولد صاحب بهاء الدين، المشهور بابن حنا في الحرم سنة ٦٧٢ وأُزِلَ في لحدّه، قام البوصيرى وأنشد :

نَمْ هَنِئِثًا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بِجَمِيلٍ قَدَمْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ
لَمْ تَزَلْ عَوْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى غَلَبْنَا يَدَ الْمُنُونِ عَلَيْكَ
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الْحَيَاةِ إِلَيْنَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الْمَمَاتِ إِلَيْكَ

فتباكى الناس، وكان لها محل كبير ممن حضر :

ومن ^(٢) قوله، وكان قد أشيع أنه مات :

عَاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ الْبُوصِيرِيُّ وَحَيَاةَ الْكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ
عَاشَ قَوْمٌ مُذْقِلَ إِيَّيْ قَدَمَتْ فَمَاتُوا قَبْلِي بِوَحْزِ الصَّدُورِ
لَسْتُ بِمَنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي وَأَبْكِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُبُورِ
وَصَحِيحٌ بَأَنِّي كُنْتُ قَدَمْتُ وَأُحْيَانِي جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ

ومن ^(٣) قوله، وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر، وشدد فيها .

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحُمَيَّا وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْيَمَانِي
فَمَا جَسَرَتْ مُلُوكُ الْجِنِّ مِنْهُ لَخُوفِ الْقَتْلِ تَدْخُلُ فِي الْقَنَانِي

ومن ^(٤) قوله يمدح الأمير سنجر الشجاعى الذى أشرف على بناء المدرسة المنصورية

والمارستان المنصورية سنة ٦٨٤ هـ

أَنْشَأَتْ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانًا لِتُصَحِّحَ الْأَجْسَامَ وَالْأَبْدَانَا

(١) خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

(٢) (٤٣٠٢) منقولة عن كتاب المقق للمقرئى المحفوظ بدارالكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧٢ تاريخ تصوير

شمى مجلد رقم ٢ من لوحة ٢٥٠ - ٢٥٣ .

وكان^(١) له صديق يعرف بالحشاء، له غلام حبشي مليح الصورة . وكان شخص يدعى سليمان المفتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرى من سليمان المذكور، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد . فقال له : أنا عبدى شيطان ، ما أخاف عليه، فقال البوصيرى :

كَمْ قُلْتُ لِلْأَكْرَمِ الْحَشَاءُ أَنْصَحُهُ بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلْقَانِ
فَقَالَ عَبْدِي عَفَرِيْتُ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُلَيْمَانَ

وبات مرّةً بالقرافة فى رُفقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبي ، اسمه النجم .

فقال البوصيرى :

مُسَافِرٌ سَارَتْ أَحَادِيثُهُ مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
سَرَى عَلَى النَّجْمِ وَلَا غَرَوِ فِي مُسَافِرٍ يَسْرِي عَلَى النَّجْمِ

انتهى ما وجدناه من شعر البوصيرى مفرقا فى الكتب

(١) نقلا عن المصدر السابق فى ص ٢٣٢ .

البوصيرى فى كتب التراجم

— ١ —

فوات الوفيات — تأليف محمد بن شاذى الكتبى

للتوفى سنة ٧٦٤ هـ

الجزء الثانى ص ٢٥٦ — ٢٦١ ط بولاق سنة ١٢٨٣ هـ

محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى . كان أحد أبويه من أبوصير ، والآخر من دلاص ، فركبت له نسبة منهما . وقيل الدلاصيرى ، لكنه اشتهر بالبوصيرى . كان يعانى صناعة الكتابة والتصرف ، و باشر الشرقية ببُلْبَيْس ، وله تلك القصيدة المشهورة التى نظمها فى مباشرى الشرقية التى أولها :

نَقَدْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَحْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
الخ . . .

وهى طويلة إلى الغاية ، وقد اختصرت من أبياتها كثيرا ، وله فىهم غير ذلك . وشعره فى غاية الحسن والطفافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التركيب . وقال فىمن اسمه عمرو ، وعلى عينه فص .

سَمَوْهُ عَمْرًا فَصَحَّفْنَا اسْمَهُ عَمْرًا ' فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مِنَّا مَوْضِعَ الْغَلَطِ

الخ . . .

وقال فيه من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُعُونَهُ

الخ ...

وقال رحمه الله من قصيدة أولها :

يَأْيُهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي طَائِعُهُ طَائِعَةُ أُمْرَةٍ

الخ ...

وقال وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِيَّ الَّذِي صَدَّقْتُهُ عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَنَهُ

الخ ...

قال الشيخ تقي الدين بن سيد الناس: كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية، فأعجبته

فأخذها وجعل له ثمنها مائتي درهم، فسكتب على لسانها إلى الناظر :

المملوكة حمارة البوصيري

يَأْيُهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدَتْ أَخْلَاقُهُ لِي بَأَنَّهُ فَاضِلٌ

الخ ...

فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدرهم منه .

وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ سِرًّا أَى سِرِّهِ

الخ ...

وقال في الشيخ زين الدين بن الرِّعَاد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَا

الخ...

وللبوصيرى في مدائح النبي صلى الله عليه وسلم قصائد طنانة ، منها قصيدة

مهموزة أولها :

كَيْفَ تَرَفَّى رُفِيكَ الْأَنْبِيَاءِ

وقصيدة على وزن بانت سعاد ، وأولها :

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولٌ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ يَدَمٍ

قال البوصيرى : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

منها ما كان اقترحه على صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير . ثم اتفق بعد ذلك أن أصابي

خِلَطُ فَالِجٍ أَبْطَلَ نَصْفِي ، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة ، فعملتها ، واستشفعت به

إلى الله في أن يعافيني ، وكررت إنشادها ، وبكيت ودعوت ، وتوسلت ونمت ، فرأيت النبي

صلى الله عليه وسلم ، فسح على وجعي بيده المباركة ، وألقى عليّ بردة ، فانتبهت ووجدت في نهضة ،

فقممت وخرجت من بيتي ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، فلقيني بعض الفقراء ، فقال لي :

أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال :

التي أنشأتها في مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتمايل وأعجبه ، وألقى

عليّ من أنشدها بردة ، فأعطيتني إياها ، وذكر الفقير ذلك ، وشاع المنام ، إلى أن اتصل بالصاحب

بهاء الدين بن حنا ، فبعث إليّ ، وأخذها ، وحلف ألا يسمعهما إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ،

وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقيّ الموقع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام قائلاً يقول له : اذهب إلى الصاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على عينيك ، فتعافى بإذن الله عز وجل . فأتى إلى الصاحب ، وذكر منامه ، فقال : ما أعرف عندى من أثر النبىِّ ، صلى الله عليه وسلم بُرْدَة ، ثم فكر ساعة وقال : لعل المراد قصيدة البردة التى للبوصيرى . يا ياقوت ! افتح الصندوق الذى فيه الآثار ، وأخرج القصيدة التى للبوصيرى ، وأت بها ، فأتى بها ، فأخذها سعد الدين ، ووضعها على عينيه ، فعوفى . ومن ثم سميت البردة ، والله أعلم .

— ٢ —

المقفى للمقرئ المتوفى سنة ٨٤٥هـ

مصور . المجلد الأول ، لوحة رقم ٢٥٠ — تاريخ ٥٣٧٢

دار الكتب المصرية

محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبى سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن صنهاج .
وقيل محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن عبد الله بن حَيَّانَ الحَبْنُونِ الصَّنَهَاجِيّ ، أبو عبد الله
شرف الدين الدلاصيّ المولد ، المغربى الأصل ، البوصيرى المنشأ ، صاحب القصيدة
المعروفة بالبردة .

أصله من قلعة حَمَّادَ ، ببلاد المغرب ، من قبيل يقال لهم بنو حَبْنُون ، بجاء مهملة ، ثم باء موحدة ،
بعدها نون وواو ، ثم نون على وزن زيدون .

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دَلاص ، فركب لنفسه منهما نسبا ، وقال :
الدلاصيرى ، واشتهر بالبوصيرى .

ومولده بناحية دلاص ، في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ست وقيل سنة عشر ، وقيل سبع وستائة ، فبرع في النظم ، وتخصّص بالوزير زين الدين يعقوب بن الزبير ، وانقطع إليه بمصر ، وصار مفتوحا عليه ، فاتفق أنه أصابه فالج أبطل نصفه ، وتعطل مدة ، بحيث عجز عن الانقلاب في القرش من جانب إلى آخر . فلما أمضت ذلك ، عزم على نظم قصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستشفع بها إلى الله تعالى ، عساه ينجيه مما به ، فنظم القصيدة التي تعرف بالبردة وأولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانَ بِذِي سَلَمٍ مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

وكرر إنشادها مرارا ، وتشفع إلى الله سبحانه ؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في إزالة كربته ، وأكثر من البكاء والدعاء ، ونام فرأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في منامه ، وكأنه يمسح بيده المقدسة على مابه من الوجع ، ثم ألقى عليه بردة ، فانتبه وقد عوفى مما به من فؤره ، وخرج من منزله ، وكان ماتقدم ذكره سرا فيما بينه وبين الله ، سبحانه ، لم يُطْلِع عليه أحدا من الناس ، فلقى بعض الفقهاء وقد خرج من بيته وقال له : أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : وأي قصيدة تريد ؟ فأبى مدحته صلى الله عليه وسلم بقصائد كثيرة ، فقال التي أنشأتها في مرضك ، التي أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانَ بِذِي سَلَمٍ

والله لقد سمعناها البارحة ، وهي تُشَدُّ بين يدي من صُنِعَتْ فيه ، ورأيتها ، صلى الله عليه وسلم ، يتمايل عند سماعها ، كتمايل القضيبي الرطب ، وأعجبت ، وألقى على من أنشدتها بردة . فأعطاه القصيدة ، وشاع المنام بمصر ، حتى بلغ صاحب الكبير بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ، فانتسخها ، ونذر أن لا يسمعها إلا وهو قائم مكشوف الرأس ، فسمعها كذلك ، وأعجب بها ، وتبرك هو وأهله بسماعها ، وشاع ذلك بين الناس ، فاتفق أن سعد الدين الفارقي موقع صاحب رمد رمد شديدا أشفى منه على العمى ، فرأى في منامه كأنه يقال له : اذهب إلى صاحب بهاء الدين ، وخذ منه البردة ، وضعها على عينيك ، تبرأ من وقتك . فلما أتاه ، وقص عليه ما رأى

قال : والله ما عندي من آثار النبي صلى الله عليه وسلم بردة ، وفكر ساعة ثم قال : لعل المراد قصيدة البردة ، فنحن نتبرك بها ، وأمر عبده ياقوت أن يقول للخادم : افتح صندوق الآثار ، وأخرج القصيدة من حق العنبر ، وأت بها ، فلها جاءت وضعها الفارقى على عينيه ، وقرئت عليه ، وكان الشفاء ، فسميت من حينئذ البردة ، واشتهرت بديار مصر والشام والمغرب والحجاز واليمن ، شهرة لا مزيد عليها ، وزادوا في تعظيمها ، حتى عملوها تيممة تعلق على الرؤوس ، وزعموا فيها مزاعم كثيرة من أنواع البركة ، وهم على ذلك إلى يومنا هذا .

وكان البوصيرى شيخا مختصر الجرم ، وفيه كرم ، وله شعر فائق . قال فيه فتح الدين محمد بن سيد الناس : هو أحسن شعرا من الجزار والوراق .

وكان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف فى المباشرات ، وباشر فى الشرقية بيليس ، ورمى المباشرين بأوابد ، ومات فى يوم [^(١) سنة خمس وتسعين وستائة ، بالمراستان المنصورى فى القاهرة . ومن شعره :

تَجَنَّبَ أَحَادِيثَ الْحُسُودِ فَوَاجِبُ تَجَنُّبِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ

الخ . . .

وقال فى المركب التى فوق رقة الإمام الشافعى رحمه الله عليه [تقدم ذكر ما قاله فى شعره] .

وذكره الشهاب أحمد بن فضل الله ، فى كتابه مسالك الأبصار وقال : حكى لى شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله ، قال : كان البوصيرى على غزارة فضله ، بمقوتاه ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . قال : وكنت أشتى أن أراه ، وأتمنى قدوم مصر للقيام ، فلما نقلت إلى مصر فى الأيام الأشرفية ، سألت عنه فى الطريق قبل دخول البلد ، فقيل لى إنه مات ، وكان قد مرض مرضة طويلة ، أغمى عليه فيها ، فشنَّع عليه أنه مات ، وطارت هذه الشناعة ، واستقرت فى كثير من النفوس .

قال : فأسفيت على فوات لقائه ، ثم لم يمض على إلا مدة ، حتى طرق على الباب ، فقلت : من أنت ؟ فقال : البوصيري . فشرعت أردد السؤال لأستنبته ، إلى أن قال : كأنه قيل لك إنى مت ! فقلت : قد قالوا هذا ؛ فأنشدني بديها :

عاشَ بَعْدَ مَوْتِهِ الْبُوصِيرِيُّ وَحَيَاةُ الْكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ

إلى أن قال :

وَصَحِيحٌ بِأَنِّي كُنْتُ قَدْ مِتُّ وَأَخْيَانِي جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ

فقلت له الحمد لله على بقاءك وسلامتك . ثم أدخلته الدار ، فتحادثنا وشكا إلى فاقة عظيمة ، وضرورة زائدة . فقلت له : أ تقول إن جود هذا الوزير أحياك ، وهذه شكواك ، فقال : أحياني بتجبره بها ، ولا الفعلة الصنعة الكتاب : فقلت : دع هذا ، وكل على هذه الأبيات في مدح الوزير ، لأعرضها لك عليه ، فلعلها تكون سببا لإحسانه إليك . ففعل وكان كما قلت .

قال : وأما البردة ؛ فحكى لي غير واحد من أئق به : أن رجلا كان من الكتاب بمطابخ السكر السلطاني بمصر ، مُعَرِّى بكتابة هذه القصيدة ، يعنى البردة ، مغرما بها ، ولا يزال يذكر عظيم النفع لها ، وأنه ما استشفى بها أحد ، إلا شُفِيَ واستغنى بها عن الدواء ، وكان له رفيق نصراني معاند يهزأ به إذا قال مثل هذا ، ولا يقدر أن يتكلم ، إلى أن حصل لابن صغير له رمد ، كاد يذهب بعينه . فأتاه غلام له يحمله ، فوقف وهو في مكان مباشرته ، والنصراني إلى جانبه ، فلما رآه أبوه ، قال للغلام : اذهب إلى الكحال ، فأره له ، ودعه يكحله . فرأى النصراني أن قد جاءه وقت الكلام . فقال : لا حاجة إلى الكحال ! يكفيك البردة ففضب المسلم ، وقال : نعم يكفيك البردة ! والله لا طيبته بغيرها . خذ يا غلام هذه البردة ، وضعها على عينيه ، ولا تسكحله ، ودعه يأكل ما أراد ، ودفعها إليه . فأخذ الغلام ، وذهب به ، وكان ذلك يوم السبت . فلما أصبح بكرة يوم الأحد ، نظر إليه أبوه فرأى الحمرة قد تَقَشَّعت ، وصفت

حرمة عينيه ، وسكن مابه ، فغمله وأتى به النصرانيّ في كنيسته ، وقال . انظر كيف ترى
نفع البردة ! فوجم النصرانيّ ، ولم يتكلم . فلما كان يوم الاثنين زال ما كان بالصغير ، حتى
كانه لم يكن ، فأتى به أبوه النصرانيّ ، فقال له : انظر كيف هو اليوم ؟ فقال النصرانيّ :
لا شك بعد عيان ، وأسلم وحسن إسلامه ، ثم كان أشد الناس كلفاً بها .

وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر ، وشدد فيها ، فقال :

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحَمِيَّاءِ وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْيَمَانِيِّ

الخ ...

فبلغت السلطان ، فقال : لو كنت أجمع شاعر لاجتمعت به . ولما عمر المدرسة المنصورية
والمارستان بالقاهرة ، أكثر الشراء في وصفها ، ومدحوا الأمير سنجر الشجاعيّ متولى عمارتها .
فمن أنشده البوصيريّ ، قصيدة أولها :

عَمَرْتَ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانًا لِتُصَحِّحَ الْأَذْيَانَ وَالْأَبْدَانًا^(١)

فقال له حسبك في هذا كفاية . ولم يسمع تنمة القصيدة استحسانا للبيت ، وظل يومه كله
ينشده ويترنم به ، وأجزل جائزته ، وهي كلها طنانة ، قد ذكرتها عند ذكر المدرسة المنصورية
في كتاب الاعتبار بذكر الخطط والآثار . وقد أورد الصفديّ هذا البيت في ترجمة عثمان
ابن سعيد بن تولو ، وإماما هو للبوصيريّ . وله فيه أخرى أولها :

جَوَارِكُ مِنْ جَوْرِ زُؤْمَانٍ يُجِيرُ وَبَشْرُكَ لِلرَّاحِي نَدَاكَ يَشِيرُ

ومنها في وصف ذلك :

بَنَى مَا بَنَى كَسْرَى وَمَا قَلَبَ مُؤْمِنٍ يُبَاهِي بِهِ فِيمَا بَنَاهُ كَقَوْرٍ

وكان له صديق من الكتاب ، يعرف بالأكرم الحشّاء ، له عبد حبشيّ مليح الصورة ،

(١) ورد أمام هذا البيت بالهامش ما نصه : « وهذه القصيدة التي ذكر المترجم مطلعها إماما هي للراج

حمر بن الحسين الوراق ، وهي مذكورة في ديوانه بخطه وليست للبوصيريّ » .

وكان شخص يعرف بسلیمان المقتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرى من سليمان المذكور ، وقال له ما بلغه من خير حبه للعبد ، فقال له : أنا عبدى شيطان ، ما أخاف عليه ، فقال :
كَمْ قُلْتُ إِلَّا كَرَمَ الْخِشَاءِ أَنْصَحُهُ بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلْقَابِ
الخ . . .

وبات ليلة بالقرافة فى رفقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبي اسمه النّجم .
فقال :
مُسَافِرٌ سَارَتْ أَحَادِيثُهُ مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُرْبِ وَالْعُجَمِ
الخ . . .

وحكى أنه كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يبأسرها ، ويبغض طائفة الكتاب ،
ويضطر إلى أن يعاشرها ، ولا يزال رزقه مقترًا ، ويرى الكتاب فى النعمة يتقلبون ، فقال :
نَقَذْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدَمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
وهى طويلة .

المنهل الصافى لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ — مخطوط رقم ١١١٣ تاريخ دار الكتب
المجلد الثالث ورقة رقم ١٥٨ — ١٦٠

البوصيرى ناظم البردة

محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى بن صنهاج بن هلال ؛ الشيخ
الأديب الشاعر شرف الدين أبو عبد الله الصنهاجى ، صاحب القصيدة الموسومة بالبردة :
« أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بَذَى سَلَمِ »

مولده ببهشيم ، من أعمال البهنسة ، في يوم الثلاثاء مستهل شوال سنة ثمان وستمائة .
 ونشأ بدلاص . وكان أحد أبويه من بوسير والآخر من دلاص ، فركب له نسبة منهما ،
 وقال : الدلاصيرى ، ولكن ما اشتهر إلا بالبوسيرى . وكانت له أشياء مثل هذا يركبها من
 لفظتين ، مثل قوله في كساء له : كساط ، فقيل له : لماذا تسميه بذلك ؟ قال : لأني تارة أجلس
 عليه ، وتارة أرتدى به ، فهو كساء وبساط . وأهل العلم تسمى هذا النوع منحوتا ، كقولهم
 عبشى : نسبة إلى عبد شمس ، وحضرى : نسبة إلى حضرموت .

قال البوسيرى : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفق
 بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي ، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة ، فعملتها
 واستشفعت به إلى الله ، عز وجل ، في أن يعافيني ، وكررت إنشادها ، وبكيت وتوسلت به ،
 ونمت ، فرأيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فمسح وجهي بيده الكريمة ، وألقى عليّ
 بردة ، فانتبهت ووجدت في نهضة ، فخرجت من بيتي ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، حتى
 لقيني بعض الفقراء ، فقال : أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال : التي أنشأتها في مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد
 سمعناها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورأيت ، صلى الله عليه وسلم ،
 يتمايل ، وأعجبته وألقى علي من أنشدتها بردة ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ، ذلك فشاع المنام إلى
 أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزير الملك الظاهر بيبرس ، فبعث إلى واستفسخها ،
 ونذر أن لا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ،
 ثم بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقاني الموقّع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام
 قائلا يقول له : اذهب إلى صاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على عينيك ، تعافى بإذن الله تعالى ،
 وذكر منامه . فقال صاحب : ما عندي من أثر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، شيء يقال له البردة
 ثم قال : لعل المراد قصيدة البوسيرى . يا باقوت ! قل للخادم يفتح صندوق الآثار ، ويخرج القصيدة
 من حُق العنبر ، ويأت بها . فأخذها فوضعها على عينيه فعوفيت ، ومن ثم سميت البردة .

قلت والبردة حقيقة هي قصيدة كعب بن زهير ، التي أنشدتها كعب بحضرة النبي صلى الله

عليه وسلم :

« بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ »

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى : أخبرنى الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو من لفظه بعد ما أملى على نسبه : هو كما ذكرناه ، قال : أصله من المغرب ، من قلعة سماد قبيلة يعرفون ببني حبنون ، بجاء مهمله ، وباء موحدة ونونين بينهما واو ، على وزن زيدور قال : وولد كما ذكرناه . ثم قال : وأنشدنى نفسه ما قاله فى الشيخ زين الدين بن رعد :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِى فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ وَنَ عَابَ أَشْعَارِى فَلَا بَدَّ أَنْ يَهْجَا
فَشِعْرِى بَحْرٌ لَا يُوَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يُدْرِكُ الرِّعَادُ يَوْمًا لَهُ عَجَا

ثم قال : قال الشيخ أثير الدين : كان البوصيرى مختصر الجرم ، وفيه كرم . قلت : وأظن وفاته كانت فى سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستائة . وله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم عدة قصائد طنانة ، منها قصيدة مهموزة ، أولها :

كَيْفَ تَرْتَفَى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءُ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
وَأَبْيَاتُهَا تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ بَيْتٍ . وقصيدة على وزن بانت سعاد ، أولها :

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَمْتَ مَشْغُولُ

انتهى . وقيل كان للبوصيرى حمارة ، فاستعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته . فأخذها ، وجهاز له ثمنها مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر : الملوكة حمارة البوصيرى ، تنشد :

[قد مرت الأبيات فى قافية اللام]

فلما وقف الناظر على الأبيات ردها عليه ، ولم يأخذ الدرهم . انتهى .

بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، قد تم طبع :

« ديوان البوصيرى »

بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلانى

مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة الشيخ أحمد سعد على
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده

القاهرة فى { ٢٦ ذى القعدة ١٣٧٤ هـ
١٦ يوليو ١٩٥٥ م }

(١٩٥٥/٣٠٠٠/٧/٤٥)

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران